



Wasit University
Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

المفاهيم القرآنية للتربية
الأخلاقية في كتاب جامع
السعادات للشيخ النراقي (ت1209هـ)

Qur'anic Concepts of Moral Education in the Book Jami' al-Sa'adat by Sheikh Naraqī

الكناني، أمل حسن عبد النبي

إشراف: الأستاذ الدكتور مجيد طارش الربيعي

جامعة واسط — 2026

<https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/281>

<https://doi.org/10.31185/uowasit-124>

حُمِّلَ هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية

في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩ هـ)

رسالة قدمتها

أمل حسن عبد النبي الكناني

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة واسط

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير

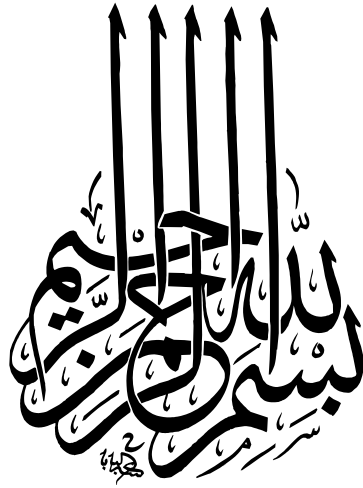
في علوم القرآن والتربية الإسلامية / الدراسات القرآنية

بإشراف

الأستاذ الدكتور مجيد طارش الربيعي

٢٠٢٦ م

١٤٤٨ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدق الله العلي العظيم

سورة الشمس: ٧-١٠

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ (المفاهيم القرآنيّة للتربية الأخلاقيّة في كتاب جامع السعادات للشّيخ النّراقي (ت ١٢٠٩ هـ))، التي تقدّمت بها الطالبة (أمل حسن عبد النبي)، قد جرى بإشرافي في قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة في كليّة التربية للعلوم الإنسانيّة / جامعة واسط، وهي جزء من متطلّبات نيل درجة الماجستير

في علوم القرآن والتربية الإسلاميّة / الدراسات القرآنيّة.

الإمضاء: 
أ.د. مجيد طارش عبد الربيعي
التاريخ: ٢٠١٢ / ٦ / ٢٠

بناء على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة

الإمضاء: 
أ.م.د. عامر هاشم محمد الدريعي
رئيس قسم علوم القرآن والتربية الإسلاميّة
التاريخ: ٢٠١٢ / ٦ / ٢٠

إقرار الخبير اللغوي

أشهدُ أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ(المفاهيمُ القرآنيّةُ للتّربية الأخلاقيّة في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩ هـ))، التي تقدّمت بها الطالبة (أمل حسن عبد النبي)، قد راجعتها من الناحية اللغويّة، وأصبحت مكتوبةً بأسلوبٍ لغويٍّ سليمٍ خالٍ من الأخطاء اللغويّة.

الخبير اللغوي:

الإمضاء:

الاسم:

الكلية:

التاريخ:

إقرار الخبير العلمي

أشهدُ أنّ هذه الرسالة الموسومة بـ(المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩ هـ)) التي تقدّمت بها الطالبة (أمل حسن عبد النبي)، قد تمّ تقويمها من قبلي، وأنها جديرة بالمناقشة لنيل درجة الماجستير.

الخبير العلمي:

الإمضاء:

الاسم:

الكلية:

التاريخ:

إقرار لجنة المناقشة

نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها الموقعون في أدناه؛ نشهد أننا أطلعنا على الرسالة الموسومة بـ (المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩ هـ)) التي أعدتها الطالبة (أمل حسن عبد النبي)، وقد ناقشناها فيما له علاقة بها، فوجدناها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في علوم القرآن والتربية الإسلامية / الدراسات القرآنية، بتقدير (جيد جداً) .

عضو اللجنة

الإمضاء:

الاسم: أ. د. علاء حنيف

التاريخ: ٢٠٢٦/٩/٢٨

رئيس اللجنة

الإمضاء:

الاسم: أ. د. حيدر رتقي فضل

التاريخ: ٢٠٢٦/٩/٢٨

عضو اللجنة (المشرف)

الإمضاء:

الاسم: أ. د. مجيد طارش عبد الربيعي

التاريخ: ٢٠٢٦/٩/٢٨

عضو اللجنة

الإمضاء:

الاسم: أ. وليد عبد الرحمن اسماعيل

التاريخ: ٢٠٢٦/٩/٢٨

أصادق على ما جاء في قرار لجنة المناقشة

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

الإمضاء: أ. د. محمود حمود عراك

الاسم: أ. د. محمود حمود عراك

التاريخ: ٢٠٢٦/٩/٢٨

الإهداء

إلى: جلال وجه الله تعالى

وإلى عظمة الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)

ومعدن الرسالة الكرام من أهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم)

والصديقة الطاهرة مولاتنا فاطمة الزهراء (عليها السلام)

وبقية الله في أرضه الإمام المنتظر الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)

والأرواح الطاهرة والدماء الزكية التي بها أقيم الدين وثبتت العقيدة (شهداء الإسلام)، ولا

سيما روحي أخوي المرحومين (علي، وصالح) (رحمهم الله)

ووالديّ الكريمين (أطال الله أعمارهما)

ورفيق دربي وسندي (زوجي الحبيب)

وأولادي وأخوتي وأخواتي (أدامهم الله)

ومن ملك يراع العلم والمعرفة، وكان مناراً يضيء طريقي (أساتذتي الأفاضل)

أهدي ثمرة جهدي، وأسأل الله القبول



الباحثة

شكر وامتنان

الحمد لله حمد الذاكرين؛ حمداً يليق بعظيم نعمه، وجلال كرمه، حمداً كثيراً دائماً على ما من عليّ من فضله وكرمه، ولا سيّما نعمة النظر في كتابه العزيز واقتباس الفضل والرحمة منه، فله الحمد الجليل، والثناء الجميل، والشكر الجزيل؛ أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خير الأنام محمّد وآله الطيّبين الكرام.

وبعد، لا بدّ لي أن أرفع أبهى آيات الشكر والعرفان إلى جميع أساتذتي، وأهلي وأخواني، وإلى كلّ من منحني العون وأيدني بالكلمات المشجّعة والدعوات الصادقة، وأخصّ بالذكر أستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور (مجيد طارش عبد الربيعي)؛ الذي كان متفضّلاً بالإشراف على هذه الرسالة مشكوراً، وذلك شرف لي، فله منّي الشكر لما قدّمه وأبداه من عناية أخويّة وأبويّة، ولما أضفى على الرسالة من درر وشذرات علمه القيم الثرّ، وعقله النير، وفهمه السامي بملاحظ دقيقة ومهمّة، وتوجيهات سديدة، ثمّ أشكر أساتذتي جميعاً في قسم (علوم القرآن والتربية الإسلامية)؛ لما قدّموه لي، وتفضّلوا به عليّ، في مدّة الدراسة، وأقدّم الشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة لتحملهم عناء قراءة الرسالة، وتصويبها، وما يسعني إلّا أن أقول لهم: بوركتم وجزاكم الله عني خير جزاء المحسنين.

وأ تقدّم بالشكر والامتنان إلى والدَيّ حفظهم الله، وأمدّ في عمريهما؛ لما قدّماه لي من دعوات صادقة، وإلى زوجي الحبيب (مالك) لما مدّني به من العون والتأييد والمؤازرة، أسأل الله تعالى أن يحفظه ويديمه سنداً لي، وأهل زوجي الداعمين والمساندين بالكلمة الطيبة، والأخوة والزملاء، فجزاهم الله جميعاً عني خيراً كثيراً.

المحتويات

المحتويات	رقم الصفحة
الآية القرآنية	أ
إقرار المشرف	ب
اقرار الخبير اللغوي	ج
اقرار الخبير العلمي	د
إقرار لجنة المناقشة	هـ
الإهداء	و
الشكر والأمتنان	ز
المحتويات	ح
المقدمة	٩_١
التمهيد: مفاهيم البحث	٢٢-١١
الفصل الأول: المفاهيم القرآنية العقلية	٩١- ٢٤
المبحث الأول: المفاهيم العقلية التربوية	٥٩ - ٢٥
المبحث الثاني: المفاهيم العقلية الأخلاقية	٩١ - ٥٩
الفصل الثاني: المفاهيم القرآنية النفسية	١٥١ - ٩٣
المبحث الأول: المفاهيم النفسية التربوية	١٢١-٩٣
المبحث الثاني: المفاهيم النفسية الأخلاقية	١٥١-١٢٢
الفصل الثالث: المفاهيم القرآنية التشريعية	٢٢٠-١٥٣
المبحث الأول: المفاهيم العقديّة	١٨٥-١٥٣
المبحث الثاني: المفاهيم الفقهية	٢١٦-١٨٥
الخاتمة	٢١٩-٢١٧
المصادر	٢٤٥-٢٢٠
العنوان باللغة الإنجليزية	A
الملخص باللغة الإنجليزية	b - d

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

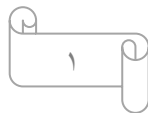
الحمد لله الذي منّ علينا بسابغات نعمه الظاهرة والباطنة؛ من الإدراك والفهم، والذي أنزل القرآن على عبده، فيه آيات بيّنات من الهدى والفرقان، وصلى الله على نبيّه وصفيّه وخاتم أنبيائه؛ الرسول الكريم الذي بُعثَ لِيُتِمَّ للناس مكارم الأخلاق، وَيُتِمَّ الله به على البشريّة نعمة الإسلام؛ أبي القاسم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم) أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وبعد، فلا ريب في أنّ القرآن الكريم يُعدُّ الدستور في إقامة الدعائم الأساسيّة في بناء المجتمع الإسلامي ومنظومته الأخلاقيّة التي تشمل كلّ المفاهيم السامية التي تُساعد في تهذيب النفس البشريّة وتحسين سلوكها وتقويمه، ولما كان على المسلمين أن يعملوا بما في القرآن الكريم من تشريعات وإرشادات؛ فقد بحث علماء الإسلام في آياته وكتبوا فيها المؤلّفات، ومن أبرزهم كان الشيخ النراقي (رحمه الله) الذي ألّف كتابه الأخلاقيّ الكبير (جامع السعادات) مستوحياً مضامينه من هدي القرآن العظيم.

سبب اختيار العنوان:

جاء سبب اختيار موضوع الرسالة الموسومة (المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩هـ)؛ لما يقدمه الجانب الأخلاقي من أهمية في حياة البشر، ولما يشتمل عليه القرآن الكريم من مفاهيم تربوية و أخلاقية تساهم في تنمية وبناء شخصية الفرد وإنسانيته وتهذيب سلوكه.

كذلك أن كتاب جامع السعادات يُعد من أهم كتب الأخلاق التي تناولت تربية الإنسان وتهذيب النفس، وقد تضمن عدد من المفاهيم التي أوردها القرآن الكريم، مما أدى



بي الدافع إلى دراسة هذه المفاهيم وإبراز أبعادها التربوية والأخلاقية، والكشف عن أثرها في تكوين شخصية الإنسان وتقويم سلوكه.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث لما تقدمه التربية الأخلاقية من أهمية في إنشاء وبناء الفرد والمجتمع، ومن أهمية القرآن الكريم ومكانته؛ إذ يمثل المصدر التشريعي الأساسي لهداية البشر نحو السلوك القويم. كما تظهر أهمية الدراسة في ربط هذه المفاهيم في الواقع والحياة المعاصرة، مما يبين أثرها في توجيه السلوك البشري وتعزيز هذه القيم في المجتمع.

ولأهميّة دراسة المفاهيم الأخلاقية التي وردت في هذا الكتاب، وبعد التشاور مع الأستاذ المشرف؛ جاءت هذه الرسالة بعنوان (المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩ هـ)؛ لتسليط الضوء على الجوانب الجوهرية المهمة التي ذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) مستشهداً بما ورد من المفاهيم في الآيات القرآنية؛ إذ أسعى فيه إلى إبراز الأبعاد القرآنية المتعلقة بالمفاهيم الأخلاقية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث بأن الشيخ النراقي (رحمه الله)، قد تناول في كتاب جامع السعادات العديد من الموضوعات الأخلاقية مستنداً في كثير منها إلى الآيات القرآنية وبعض من تفسيراتها، بينما المفاهيم ذات الصلة بالتربية الأخلاقية لم تُجمع في دراسة

واحدة مستقلة ، تبين مدلولاتها التربوية وتكشف الترابط الوثيق في بناء الإنسان وتقويم سلوكه. ويمكن هنا طرح أسئلة لمشكلة البحث من أهمها :

١. ما أهم المفاهيم القرآنية في كتاب جامع السعادات المتعلقة بالتربية العقلية ذات الصلة بالأخلاق؟

٢. كيف أبرز المفاهيم القرآنية النفسية التي تناولها النراقي في سياق التربية الأخلاقية؟

٣. لماذا المفاهيم القرآنية التشريعية لها صلة بالتربية الأخلاقية؟

٤. هل يمكن تطبيق هذه المفاهيم والإفادة منها بناء شخصية الفرد وتهذيب سلوكه؟

أهداف البحث:

١. بيان المفاهيم القرآنية المرتبطة بالتربية الأخلاقية، والتعريف بها، وإبراز دلالتها ومضامينها على النهج القرآني.

٢. إستقراء بعض المفاهيم القرآنية التي ذكرها الشيخ النراقي للتربية الأخلاقية في كتابه جامع السعادات.

٣. تصنيف المفاهيم القرآنية التربوية والأخلاقية الواردة في كتاب جامع السعادات إلى مضامينها العقلية والنفسية والتشريعية، وبيان صلتها بتطوير شخصية الإنسان.

٤. إظهار الأبعاد التربوية والأخلاقية للمفاهيم القرآنية التي تناولها النراقي، والكشف عن دورها في تقويم السلوك وتهذيب النفس الإنسانية.

٥. بيان منهج الشيخ النراقي في معالجة القضايا الأخلاقية والتربوية، من خلال توظيف الآيات القرآنية في كتاب جامع السعادات.

٦. الكشف عن أهمية المفاهيم القرآنية في بناء الشخصية الإنسانية. وإبراز هذه المفاهيم المتعلقة بالتربية الأخلاقية التي ذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتاب جامع السعادات، وشرح كلامه عن هذه المفاهيم؛ عن طريق تفسير الآيات القرآنية التي تتضمن المفهوم الأخلاقي.

٧. تعزيز المفاهيم القرآنية التربوية والأخلاقية، وربطها بالواقع المعاصر، وبيان دورها وإمكانية الاستفادة منها في معالجة بعض القضايا الأخلاقية.

فرضيات البحث:

- هناك فرضيات جملة ينطلق منها البحث، من أبرزها:
١. أن الشيخ النراقي (رحمه الله)، ذكر في كتابه (جامع السعادات)، عدد من المفاهيم القرآنية ذات الأبعاد التربوية والأخلاقية.
 ٢. أن المفاهيم القرآنية في كتاب جامع السعادات التي تناولها الشيخ (رحمه الله)، تساهم في تقويم سلوك الفرد وتهذيب النفس.
 ٣. أن استقراء هذه المفاهيم وتصنيفها يؤدي إلى الكشف عن التكامل بين الهداية القرآنية والتربية الأخلاقية.
 ٤. أن هذه المفاهيم بإمكانها أن تساعد في معالجة بعض الجوانب المهمة في السلوكية في حياة الفرد المعاصر.

الدراسات السابقة:

عند مراجعتي للمتوافر من الرسائل والأطاريح والدراسات التي لها صلة بموضوعي (المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (ت ١٢٠٩ هـ) وجدت دراسات سابقة عن الأخلاق بشكل عام، ودراسات

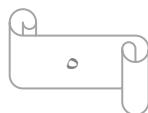
تناولت موضوعاً قريباً من موضوع رسالتي، وقد كان هناك اختلاف في جوانب الدراسة، وفي الأهداف، والمنهجية، وقد وجدت الدراسات الآتية:

أولاً: "منهج الشيخ النراقي (رحمه الله) في معالجة الانحرافات العقديّة والعباديّة في كتابه جامع السعادات"، حيدر عبد الحسين، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ٢٠٢٠م، استهدفت تتبّع الأسباب المؤدّيّة إلى الوقوع في الانحرافات المعاصرة، والقضاء عليها، مبيّنة الأسباب والطرق التي اتّبعتها الشيخ النراقي (رحمه الله) لمعالجة هذه الانحرافات.

وقد التقت هذه الدراسة مع دراستي في معالجة الانحرافات، والتركيز على الجانب النفسي، والجانب المجتمعي، في كتاب جامع السعادات، والأسباب العصريّة المؤدّيّة إلى الانحراف، واختلفت عنها في دراسة منهج الشيخ النراقي، وفي تحديد معالجة الانحرافات بالجوانب العقديّة والعباديّة فقط في كتاب جامع السعادات.

ثانياً: "المفاهيم القرآنية في أحاديث الإمام الحسين (عليه السلام) دراسة في ضوء التربية الإسلامية"، أحمد عباس عبد، جامعة واسط ٢٠٢٢م، استهدفت تربية الناس وتقويم أخلاقهم التي يمكن عدّها أحد أهم الأسباب في بعثة الأنبياء (عليهم السلام).

وهذه الدراسة تلتقي مع دراستي في تناول المفاهيم القرآنيّة في ضوء التربية وتقويم أخلاق الناس، وتختلف عنها في دراسة المفاهيم القرآنيّة في أحاديث الإمام الحسين (عليه السلام)، بينما دراستي تتناول المفاهيم القرآنيّة للتربية الأخلاقيّة في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي.



ثالثاً: "التربية الأخلاقية وأثرها الدعوي من خلال الآيات المكيّة في ضوء التفسير الحديث لمحمّد عزّت دروزة"، آسيا خضير عباس، جامعة ديالى ٢٠٢٣م، تستهدف هذه الدراسة مجموعة من الأخلاق والقيم الإنسانية التي تعدّ جزءاً أساسياً في بنية دعوتهم إلى الله تعالى، وذكرت هذه الدراسة الأخلاق، ودلّت عليها من التفسير الحديث لمحمّد عزّت دروزة، وحصرت الدراسة في الآيات المكيّة. وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في تناول الأخلاق، وتختلف عنها بأنها لم تربط المفاهيم القرآنيّة بالتربية الأخلاقية في كتاب الشيخ النراقي، بل استندت إلى التفسير الحديث للأستاذ محمّد دروزة، بينما استندت إلى التفاسير المتنوّعة للآيات الوارد ذكرها في جامع السعادات.

رابعاً: "الأصول القرآنيّة المصرّحة لمعالجة القوّة الشهوانيّة في كتاب جامع السعادات"، هيو طاهر عباس، بحث منشور في مجلة الجامعة العراقيّة ٢٠٢٤م، هدفت هذه الدراسة إلى تأصيل الأخلاق من منظور قرآني، وحدّدت القوّة الشهوانيّة وكيفية معالجتها في كتاب جامع السعادات، ولم تُحدّد مفهوماً معيّناً؛ بل أوردتها مجملّة، وتتفق هذه الدراسة مع دراستي في البحث في القرآن الكريم لتأصيل ما ورد في كتاب جامع السعادات، وتختلف عنها في الاقتصار على القوّة الشهوانيّة، بينما اشتملت دراستي على المفاهيم القرآنيّة للتربية الأخلاقية.

خامساً: "الآثار الوضعية للأخلاق في القرآن الكريم والسنة الشريفة، دراسة موضوعيّة" حيدر علي كريم، أطروحة دكتوراه، جامعة بابل ٢٠٢٥م.

استهدفت هذه الدراسة تحديد الآثار الوضعية للأخلاق، وتتبع هذه الآثار من المنظور القرآني والسنة الشريفة، مع التحليل الموضوعي للآيات لتقديم رؤية متكاملة عن الأخلاق وأثرها في بناء أساس الحضارة.

وجه التشابه في هذه الدراسة مع دراستي في تناول الأخلاق في القرآن الكريم.

تختلف عنها في العناية بالآثار الوضعية للأخلاق، بينما عُنِيَتْ بالتربية الأخلاقية ومفاهيمها القرآنية المأخوذة من كتاب جامع السعادات، وتفسير هذه الآيات التي استشهد بها النراقي، ثم ربطها بالواقع المعاصر.

يتضح مما تقدم من عرض للدراسات السابقة أن **أوجه الاستفادة** منها:

ـ بأن هذا الموضوع للمفاهيم القرآنية والتربية الأخلاقية قد وجد حيزاً واهتمام عدد من الباحثين. وقد تناولت البعض منها كتاب جامع السعادات للشيخ محمد مهدي النراقي من جوانب مختلفة، إلا أن هذه الدراسات لم تتوجه لدراسة المفاهيم القرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب جامع السعادات دراسة منفردة ومستقلة تصنف وتستقرئ هذه المفاهيم، وتبرز مضامينها التربوية والأخلاقية.

ـ وعالية جاء هذا البحث الحالي مكماً لما سبق من بحوث علمية، ومتميزاً عنها في ما قدمه من موضوعه ومادته ومعالجته؛ لما يسعى إليه من كشف عن المفاهيم المتعلقة في التربية الأخلاقية ومضامينها. وبما ينسجم مع حاجة الإنسان و المجتمع في الحياة المعاصرة.

منهجية البحث:

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي، بعد استقصاء المفاهيم الأخلاقية الواردة في كتاب جامع السعادات، فكنت أشرح كلام الشيخ النراقي (رحمه الله) عن المفاهيم التي أوردها في كتابه بعد تتبع تفاسير الآيات التي تتعلق بالموضوعات الأخلاقية مع الاستعانة بالأحاديث الشريفة التي تخص موضوعات المفاهيم، ثم ألخص ما قاله المفسرون، وأحاول أن أربطه بالواقع والحياة المعاصرة.

ولا بد من الإشارة إلى أنّ الشيخ النراقي (رحمه الله) أحياناً لم يذكر الآية القرآنيّة التي تخصّ المفهوم التربويّ بشكل مباشر، فأقوم بتتبّع الآيات التي تعطي المفهوم وأستخرج من تفسيرها المفهوم القرآنيّ وأربطه بالمفهوم التربويّ الوارد في (جامع السعادات).

تقسيمات البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون الرسالة في مقدّمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة؛ على النحو الآتي:

التمهيد: يتضمّن التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان الرسالة.

الفصل الأوّل: المفاهيم القرآنيّة العقلية، ويشتمل على بحثين:

المبحث الأوّل: المفاهيم العقلية التربوية.

المبحث الثاني: المفاهيم العقلية الأخلاقية.

الفصل الثاني: المفاهيم القرآنيّة النفسيّة، ويشتمل على بحثين:

المبحث الأوّل: المفاهيم النفسيّة التربوية.

المبحث الثاني: المفاهيم النفسيّة الأخلاقية.

الفصل الثالث: المفاهيم القرآنيّة التشريعيّة، ويشتمل على بحثين:

المبحث الأوّل: المفاهيم العقديّة.

المبحث الثاني: المفاهيم الفقهيّة.

الخاتمة: تتضمّن أبرز النتائج، مع التوصيات المقترحة.

ومن الصعوبات التي واجهتها في كتابة هذه الرسالة: الوضع العائلي الخاص، والحالة الصحيّة، فضلاً عن صعوبة تحديد المفاهيم القرآنيّة التي ذكرها النراقي (رحمه الله) وانتقاء الأنسب منها لهذا البحث؛ فقد كان الشيخ النراقي (رحمه الله) في كثير من المواضع لم يستشهد بالآيات القرآنيّة، وكان غالباً ما يتناول المسائل الفلسفيّة في التكوين النفسي للإنسان، في حين أنّ بحثي عن المفاهيم الخاصّة بالتربية الأخلاقيّة.

وقد كان لجهد المشرف (الأستاذ الدكتور مجيد طارش الربيعي) الأثر الفعّال في تذليل الصعوبات، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، بدءاً من تحديد عنوان الرسالة وصياغته بما يتلاءم والمادة المراد دراستها، ووضع الخطوط البارزة في المنهجية المتّبعة، مع التوجيه والإرشاد في كل جزئيّة من البحث، وصولاً إلى إتمام هذه الرسالة بصورتها النهائيّة.

وبعد التوكّل على الله تعالى وبمساعدة عائلتي وتوجيهات مشرفي الفاضل وتشجيعه لي، فقد أنجزت هذا العمل في رسالتي هذه، وفي نهاية عملي هذا الذي لا أدعي له الكمال؛ فالكمال لله وحده، إنما هو جهدٌ متواضع أقدمه قربةً إلى جِه من خضعت له السماوات والأرض ويقبل القليل ويعفو عن الكثير، وأرجو أن يتقبّل منّي عملي على ما فيه من تقصير وما فيه من قصور إنه سميع مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله المصطفى الأمين محمد و آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

التمهيد

التعريف بمصطلحات العنوان بمفاهيم البحث

أولاً: المفهوم القرآني

ثانياً: التربية الأخلاقية

ثالثاً: الشيخ النراقي

رابعاً: كتاب جامع السعادات

أولاً: المفهوم القرآني:

ورد في القرآن الكريم كثير من المفاهيم التربوية والأخلاقية والتشريعية، وهذه المفاهيم توجه العقل وتهذب النفس وتعلم العقيدة وتشرع الفقه؛ لترسم للإنسان المسلم أفضل طريق يعرف بها الله تعالى، وأحسن طريقة يعبد به حقّ عبادته.

ولتبيان تعريف المفهوم القرآني لا بدّ أولاً من التعريف بجزأيه (المفهوم، والقرآن) في اللغة والاصطلاح.

المفهوم في اللغة: ورد في المعجمات العربية أنّ الفهم في اللغة يأتي بمعنى (المعرفة، والتعلّل)، فقد قال الخليل (ت ١٧٠هـ): في مادة (فهم): " فَهِمْتُ الشَّيْءَ فَهِمًا وَفَهْمًا: عَرَفْتُهُ وَعَقَلْتُهُ"^(١).

وكذلك قال الأزهري (ت ٣٧٠هـ): "تَفَهَّمْتُ المعنى: إِذَا تَكَلَّفْتُ فَهْمَهُ"^(٢)، وهذا ما أكّده ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) الذي أيّد ما قاله السابقون من المعجميين، وخصّ الفهم بالعلم بالشيء، فقال في معجمه مقاييس اللغة: "الفاء والهاء والميم: عِلْمُ الشَّيْءِ، كَذَا يَقُولُونَ أَهْلُ اللُّغَةِ"^(٣).

وقد تقرّد ابن منظور (ت ٧١١هـ) بتعريف آخر يختلف عن سابقيه في بيان معنى الفهم في اللغة؛ فهو قد أضاف أنّ الفهم متعلّق بالمعرفة في القلب، فقد قال: "الفهم:

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هندأوي، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ٣ / ٣٤٤ (فهم).

(٢) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد فرج العقدة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٦ / ١٧٧ (فهم).

(٣) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ٤ / ٤٥٧ (فهم).

مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ" ^(١)، وزاد الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في شرح المعنى اللغوي للفهم وتفصيله، إذ فرق بينه وبين العلم، فقد ذكر أنّ "الْعِلْمَ مُطْلَقُ الْإِدْرَاكِ، وَأَمَّا الْفَهْمُ فَهُوَ سُرْعَةُ انْتِقَالِ النَّفْسِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَارِجِيَّةِ إِلَى غَيْرِهَا، وَقِيلَ: الْفَهْمُ: تَصَوُّرُ الْمَعْنَى مِنَ اللَّفْظِ، وَقِيلَ: هَيْئَةُ لِلنَّفْسِ يُتَحَقَّقُ بِهَا مَا يَحْسُنُ" ^(٢)، أي: إنّ الفهم هو معرفة المقصود باللفظ عندما ترتسم صورة المعنى في الذهن.

ويُتَّضح ممّا تقدّم أنّ مادة (فهم) في اللغة تدور حول معاني (المعرفة، والتعلّل، وتصوّر المعنى)، ويمكن القول: إنّ الفهم هو تحقيق المعنى في النفس أو معرفة المعنى في العقل بتصوّر اللفظ في الذهن بما يلائمه والربط بينهما منطقيّاً إذ إنّ السامع يعي ويسمع ويقرأ ويرى من الحقائق والمعارف المختلفة.

المفهوم في الاصطلاح: عرّفه الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) بأنّه: "تصوّر المعنى من لفظ المخاطب" ^(٣)، والقصد بهذا التعريف أنّه عند سماع المخاطب اللفظ من المتكلّم يتألّف في ذهنه معنى ذلك اللفظ؛ فيفهم المطلوب منه، وهذا التعريف يعتني بالمفهوم لإعطاء صورة للمعنى من الكلمات وألفاظها.

وعرّف الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) المفهوم بأنّه: "الصورة الذهنيّة سواء وضع، بإزائها الألفاظ أو لا، كما أنّ المعنى هو الصورة الذهنيّة من حيث وضع بإزائها الألفاظ، وقيل: هو ما

(١) لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق: د. عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٩م: ٤٥٩/١٢ (فهم).

(٢) تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: إبراهيم الترازي، مطبعة حكومة الكويت، دار التراث العربي، الكويت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢٢٤/٣٣ (فهم).

(٣) التعريفات، الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ١٧٥.

دلّ عليه اللفظ لا في محل النطق"^(١)، وقد ركّز الكفويّ على الصورة الذهنيّة التي تتكوّن في الذهن، ولا فرق عنده في أن يُعبّر عنها بالكلمات أو لا، وبذلك اختلف عن تعريف الشريف الجرجانيّ، لأنّه لم يحدّد الصورة الذهنية باللفظ مخصوصة بل أطلقها بشكل عامّ.

وقال التهانوي(ت١١٥٨هـ) أنّ الفهم هو "ما حصل في العقل أي من شأنه أن يحصل في العقل سواء حصل بالفعل أو بالقوة بالذات كالكلّيّ أو بالواسطة كالجزئيّ، ... المفهوم والمعنى متحدان بالذات؛ فإنّ كلّاً منهما هو الصورة الحاصلة في العقل أو عنده مختلفان باعتبار القصد والحصول، فمن حيث إنّها تقصد باللفظ سمّيت معنى، ومن حيث إنّها تحصل في العقل سمّيت بالمفهوم"^(٢)، ونرى في هذا التعريف أنّه قد وضّح المفهوم بدقّة بوصف عمليّة التصور الحاصلة في العقل، كما أنّه ساوى بين المفهوم والمعنى.

المعنى القرآنيّ للفهم: "الفهم حياة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن"^(٣).

وممّا تقدّم من التعريفات لمصطلح المفهوم يبدو أنّ تعريف الكفويّ هو الأنسب؛ لأنّه شمل اللفظ والمعنى في الصورة الذهنيّة، أي إنّهُ لم يخصّص اللفظ دون المعنى.

ويمكن أن نستنتج أنّ المفهوم: هو معرفة معاني الأشياء من خلال ما يحصل في العقل من ارتسام صورة ذهنيّة تتكوّن عند سماع الألفاظ، وهذا ينطبق على وجوب إدراك الحقائق والمفاهيم، ولا سيّما في القرآن الكريم من خلال فهم الآيات القرآنيّة وتدبرها، وتدوّن

(١) الكلّيّات في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفويّ(ت١٠٩٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م: ٨٦٠.

(٢) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي(ت١١٥٨هـ - ١٧٤٥م)، تحقيق د. علي دحروج، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م: ١٦١٧/٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الدوري، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، ط١، ١٤١٢: ١٦٤٦/٦.

جمال ما تحدث في النفس من تأثير وخشوع، وبما يؤدي ذلك إلى تغيير في سلوك الإنسان نحو التفاعل مع القرآن بتطبيق تعاليمه من أوامر ونواه، ووجوب الالتزام بالقيم الإنسانية والمفاهيم المعبرة عن سمو الإنسان ورفعته.

القرآن في اللغة: مصدر من الفعل قرأ؛ أي لفظ الكلمات، ويفيد معنى الجمع، "ومعنى قرآن معنى الجمع ... وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً"^(١)، إذن معنى القرآن في اللغة هو جمع الحروف والكلمات، وقراءتها مجموعةً.

القرآن في الاصطلاح: قال الشريف الجرجاني: "هو المنزل على الرسول (صلى الله عليه وآله) المكتوب في الصحف المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة"^(٢).

ومما تقدم يتبين أن القرآن الكريم هو الألفاظ الربانية المنزلة عن طريق الوحي على النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، المكتوب بين دفتي المصحف المنقول إلينا بالتواتر.

ويمكن أن نعرّف المفهوم القرآني بأنه: معرفة معاني النصوص القرآنية عن طريق ارتسام صورة ذهنية عن موضوعات الآيات بعد قراءتها وتدبرها.

ثانياً: التربية الأخلاقية:

لقد غني الدين الإسلامي الحنيف بتربية الإنسان وبناء المجتمع، إذ إنه يقوم على مبادئ قرآنية قادرة على تعزيز روابط التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع الإسلامي، والسبيل إلى تحقيق هذا هو اتباع هذا المنهج التربوي القرآني الذي يضمن الحياة الرغيدة والسعادة الدنيوية والآخرة للمسلمين.

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) : ٣٧٢/٩ (قرأ).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : ١٧٥.

التربية في اللغة: مأخوذة من الفعل (رَبَّ) الذي يدلّ على "إصلاح الشيء والقيام عليه"^(١)، فالتربية في اللغة تعني العناية بشيء ما ورعايته والعمل على إصلاحه حتّى يصل إلى كماله، وتربية الإنسان تعني: المداومة على إصلاحه ليلبغ المقصود والغاية التي من أجلها خُلق.

التربية في الاصطلاح: التربية هي التدرّج في الوصول إلى تمام الشيء وكماله، قال الكفوي: "التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً"^(٢)، وهذا ما اتفق عليه أغلب أصحاب المعاجم الاصطلاحية؛ فقد ذكروا أنّ التربية: "إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام"^(٣).

ونلاحظ هنا أنّ تعريف الكفوي للتربية قد تشابه مع التعريف الأخير؛ فكلّ منهما قد بيّن أنّ التربية هي إنشاء وتمام الشيء من خلال تنميته شيئاً فشيئاً إلى أن يصل إلى كماله، وتابعهم على ذلك المعاصرون، فقالوا عن التربية: "هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون تنمية الوظائف النفسية بالتمارين حتّى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً"^(٤)، وزادوا الشرح والتوضيح عن مفهوم التربية المعاصرة فقالوا: "التربية عملية إنسانية تتأثر بظروف الزمان والمكان، وهي تتأثر بالظروف والعوامل البيئية والخبرات الإنسانية والاتجاهات الفلسفية والنفسية والاجتماعية عامة"^(٥).

(١) مقاييس اللغة، أبو فارس: ٣٨١/٢ (رب).

(٢) الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي (ت ١٠٩٤هـ): ٤٨٤.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد عبد الرؤف بن تاج العارفين أبو علي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م: ٩٦.

(٤) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م: ٢٦٦.

(٥) أسس التربية، الدكتور عطية خليل عطية، دار البداية ناشرون وموزعون، عمّان، ط ١، ٢٠١٢م: ٢.

ومما تقدّم يمكن أن نعدّ التربية عمليّة إعداد للفرد وتنميته في جوانب حياته كافة، وبها يحصل تغيير في سلوكه نحو الصلاح بما يتلاءم مع قدراته ليحدث الانسجام بينه وبين المجتمع والبيئة المحيطة به؛ ليستطيع أن يصل إلى المبتغى الحقيقي الذي خلقه الله تعالى من أجله، وبذلك يكون قد أدّى رسالته في الحياة.

الأخلاق في اللغة: هي الخُلُق الإنسانيّ، والطبيعة البشريّة، قال الخليل: "الخَلِيقَةُ: الخُلُق، والخَلِيقَةُ: الطبيعة"^(١)، وأضاف ابن فارس أنّ الأخلاق تعني تقدير الشيء، والخُلُق يفيد معنى السجّية، فقد قال: "الخلق: الخاء واللام والقاف أصلان أحدهما تقدير الشيء ... ومن ذلك الخُلُق وهو السَجِيَّة"^(٢)، وهذا ما ذكره ابن منظور وزاد عليه معنى الدين فقد قال: "الخُلُق، بضمّ اللام وسكونها: وهو الدين والطبع والسجّية"^(٣).

إذن، فالأخلاق في اللغة هي: تقدير الشيء، وهي الطبيعة والسجّية والدين.

الأخلاق في الاصطلاح: عرّفها الشريف الجرجاني بأنّها: "عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُمّيت الهيئة خُلُقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُمّيت الهيئة التي هي المصدر خُلُقاً سيّئاً"^(٤)، وقيد الكفويّ الأخلاق بالقصد أو العمد فقال: "الخُلُق: كلّ فعل وُجد من فاعليه مقدّراً لا على سهو وغفلة فهو الخُلُق"^(٥)، وزاد القنوجي^(٦) في تعريف الأخلاق بأن عدّها علماً من

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (هـ ١٧٠هـ) : ١ / ٤٣٨ - ٤٣٩ (خلق) .

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٢١٤/٢ (خلق).

(٣) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ) : ١٠ / ٨٦ (خلق).

(٤) التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) : ١٠٥ .

(٥) الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء أيوب الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) : ٤١٤ .

(٦) "هو محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب: من رجال النهضة الإسلامية المجددين. ولد ونشأ في قنوج (بالهند) وتعلم في دهلي. ومن مؤلفاته فتح

العلوم، ورفعها إلى مرتبة الحكمة، وجعلها من الفضائل؛ فقال: "علم الأخلاق هو قسم من الحكمة العملية ... هو علم يعرف منه أنواع الفضائل، وهي اعتدال ثلث قوَي وهي القوة النظرية والغضبية والشهوية منها أوساط بين الرذيلتين"^(١).

ومما تقدّم يتّضح أنّ الأخلاق من الحقائق الفطرية المهمة والجوهرية في حياة الإنسان، فهي التي ترسم للإنسان طريقه نحو حياة مليئة بالنجاح والتفوّق، فالخلق الحسن يرفع شأن المرء فيرتقي به ويسمو إلى آفاق العزة والكرامة، وضده الخلق السيء الذي يؤدي به إلى طريق الشر ويلقيه في المهالك، والحياة التافهة الخالية من الإحساس الإنساني السليم، والمعاني السامية، فيكون هنا أحوج لمن يقوّم له سلوكه ويعدّله، ويعيد له توازنه، ويرجعه إلى الفطرة السليمة والسجية التي خلقه الله تعالى عليها، "وفيما يتعلّق بالأخلاق الدينية فقد أخذت أحكامها السلوكية باعتمادها على مصادر دينية"^(٢)؛ إذ إنّ أساس الأخلاق هو الفطرة السليمة، ومصدرها هو الجانب الدينيّ على مرّ العصور، وعندما تجتمع التربية بمعناها الذي هو الإصلاح مع الأخلاق بمعناها الذي هو السجية يمكن أن نعرّف التربية الأخلاقية بأنها: عملية إصلاح النفس الإنسانية وتعديل طبائعها للوصول بها إلى مرتبة الكمال، وهذا لا يتحقّق بالكلام والتنظير فقط بل لا بدّ من العمل به وتحقيقه في الواقع؛ فإنّ "التربية الأخلاقية ليست معلومات ونقل خطابات أخلاقية بل توفير الأرضية لتحقيق السيرة الطيبة للإنسان وتبلور وتفعيل الوجدان الأخلاقيّ عند

البيان في مقاصد القرآن عشرة أجزاء، حصول المأمول من همم الأصول "الأعلام، خير الدين الزركلي: ١٦٧-١٦٨.

- (١) أبجد العلوم، السيد صديق خان الحسيني البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ - ١٨٨٩م)، وضع حواشيه وفهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨م: ٣١/٢-٣٢.
- (٢) العلاقة بين الجودة والأخلاقيات ومعايير الأداء وأثرها في جودة الأداء، دراسة تطبيقية في جامعة ذي قار، الدكتور أمين محمد حسن علوان، مجلة كلية التربية-جامعة واسط، المجلد ٦٠، العدد الثاني، ٢٠٢٥م: ٣٠٧.

الشخص ليتمكّن، بالاستناد إلى مذكراته الفطرية، من الاهتداء إلى الخير والفضيلة بنفسه" (١).

ويمكن القول: إنّ الأخلاق عبارة عن ملكات نفسية راسخة، تبعث الإنسان إلى الأفعال التي تصدر منه بشكل عفويّ من غير قصد أو تفكّر، فتميل النفس إلى إصدار الأفعال الحميدة والحسنة أو الأفعال القبيحة، وقد تكون متوسطة بين الجميلة والقبيحة من الصفات والأفعال، وإنّ "أحسن الخلق هو القيام بحقوق المسلمين، والخلق صورة الإنسان الباطنية ... والثواب والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصورة الباطنية أكثر ما يتعلّقان بأوصاف الصورة الظاهرية" (٢)، وبالأخلاق يتحدّد المجتمع الصالح من المجتمع الفاسد، فإنّما تزدهر الأمم بمدى تخلّق أبنائها، وبمقدار تحليّهم بالصفات الحميدة الباطنية قبل الظاهرية، فإنّها خير وسيلة للقضاء على مشكلة ازدياد الجرائم والانحرافات بجميع أشكالها وألوانها، لأنّ وظيفة التربية الأخلاقية بناء جيل ملتزم بالخير، متجنّب للشرور والجرائم" (٣).

ثالثاً: الشيخ النراقي:

لقد وردت ترجمة الشيخ النراقي (رحمه الله) في المؤلفات التي عُيّنت بالتاريخ والتراجم، وفي الكتب المستقلة التي درست حياته، وكذلك في مقدّمات عدد من مؤلّفاته؛ وسأذكر هنا جانباً من جوانب حياته الجديرة بالذكر بشكل مختصر.

(١) التربية. وما ليس بتربية، الدكتور عبد العظيم كريمي، ترجمة زهراء يكانه، دار الهادي، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧ م: ٣٢.

(٢) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السقاريني الحنبلي (ت ١١٨٨ هـ)، مؤسسة قرطبة مصر، ط ٢، ١٤١٤ هـ. ١٩٩٣ م: ٣٦٠/١.

(٣) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن (ت ١٤٤٢ هـ)، دار عالم الكتب . الرياض المملكة العربية السعودية، (د. ط)، (د. ت): ٥.

ورد في مقدّمة كتابه جامع السعادات: "هو الشيخ الجليل المولى محمّد مهدي بن أبي ذر النراقيّ "نسبه إلى نراق بوزن عراق بلدة من أعمال كاشان"^(١), وهو أحد أعلام المجتهدين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة, ومن أصحاب التأليفات القيّمة, ويكاد أن يُعدّ في الدرجة الثانية أو الثالثة من مشاهير علماء القرنين"^(٢).

وفي مقدّمة كتاب جامعة الأصول ذُكر أنّ: "تولّد الشيخ الجليل في نراق, وتُوفّي سنة ١٢٠٩هـ في كاشان, ودُفِنَ في النجف الأشرف, كان عمدة تحصيله في أصبهان عند مشايخه الكرام وطبع من مصنفاته:

١- تجريد الأصول: في أصول الفقه. ٢- جامع السعادات. في علم الأخلاق. ٣- شرح الإلهيات. من الشفاء لأبن سينا. ٤- اللمعة الإلهية في الحكمة (وهو تلخيص اللمعات العرشية له). ٥- الكلمات الوجيزه في الحكمة. ٦- مشكلات العلوم. ٧- محرق القلوب. فارسي"^(٣).

ومن أساتذته الوحيد البهبهاني^(٤) (ت ١٢٠٥هـ), وهو آخر أساتذته كما ورد في جامع السعادات: "ولا شكّ أنّه انتقل إلى كربلاء والنجف, فدرس على الأعلام الثلاثة:

(١) أعيان الشيعة، السيد محسن أمين (ت ١٣٧١هـ)، تحقيق سن الأميم، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ط)، ١٣٦٢هـ: ١٤٣/١٠.
(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ت ١٢٠٩هـ)، تحقيق: السيد محمد كلانتر، دار المرتضى، بيروت، ١٤٤٣م - ٢٠٢٢هـ: ٥/١.
(٣) جامعة الأصول، مهدي النراقي رحمه الله (ت ١٢٠٩هـ)، تحقيق رضا الأستاذي، قم - إيران، ط ١، ١٤٢٢هـ: ٧.

(٤) هو محمد باقر بن أكمل الدين محمد الأصبهاني البهبهاني الحائري، فقيه، صاحب فكر عميق، إماماً للعلم، ومرجع للدين، له مؤلفات عديدة في الفقه وأصول الفقه، والرجال، ولد بأصبهان وعاش فيها ثم انتقل إلى بهبهان ثم هاجر إلى كربلاء وتُوفّي فيها ودُفِنَ فيها. ينظر: تتميم أمل الأمل، العلامة الفقيه المحقق الشيخ عبد النبي القزويني (من أعلام القرن الثاني بعد سنة ١١٩٧هـ)، تحقيق: السيد محمد المرعشي، مكتبة آية الله المرعشي، قم، (د.ط)، ٧٤: ١٤٠٧-٧٥.

الوحيد البهبهاني - وهو آخر أساتذته وأعظمهم، وتخرجه كان على يديه ...^(١). ومما ذكر عنه في كتب التراجم "نلاحظ قوّة شخصيّة المترجم له في صبره وقوّة إرادته، وتقانيه في طلب العلم ثمّ عزّة نفسه، وإن كانت هذه ألفاظاً عامّة قد يُعبر بها عن كثير من الناس، ويصبح التعبير بها بلا كذب ولا خداع إلّا أنّ الدرجة الخاصّة من الصبر والإرادة والحبّ، والعزّة، ونحوها التي بها يمتاز الشخص النابغ تضيق اللغة عن التعبير عنها بخصوصها إلّا بهذه الألفاظ العامّة الدرجة وتظهر الدرجة الخاصّة التي يختصّ بها صاحبنا من هذه الأمور بحوادث منقولة"^(٢).

ومن هذه الأمور التي ذكرت عنه أنّه كان أيام دراسته وتحصيله في أشدّ حالة من الفقر والفاقة، وهذه الحالة كانت دائماً من شيم العلماء، ومن أوّل ما يشترط بالنبوغ في العلم، فتصقل النفس وتبرز معدنها الحقيقي والجوهري؛ فكان الشيخ تشتّد به الفاقة، إلى درجة عجز عن تدبير ثمن لشراء السراج الذي هو عبارة عن شمع أو زيت، فيدفعه حرصه على طلب العلم والتزود منه إلى الدخول في مكان بيوت مراحيض المدرسة، ليقراً على سراجها، لأنّه يأبى عزّته أن يجعل غيره يعرف أو يشعر بفقره، يؤهم الأشخاص الداخليين - بالتحنح -؛ وكأنّه جالس للحاجة الخاصّة، وهنا في هذه الحادثة الصغيرة تتجلّى عزّة نفسه، وصبره، وقوّة إرادته في تحصيل العلم بدرجة غير معتادة، إلّا بمن كانوا نوابغ الأفاضل^(٣).

وحادثة أخرى أهمّ من الأولى، هو أنّه كان لا يفتح الكتب المرسلة إليه، بل يضعها تحت فراشه في أيام دراسته، حتّى لا يجد فيها شيئاً يشغل تفكيره عن طلب العلم، والصبر

(١) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/٧.

(٢) جامع الأفكار وناقد الأنظار، محمد مهدي أبي ذر النراقي، صححه وقدم له مجيد هادي زاره، مؤسسة انتشارات حكمت، إيران، (د. ط)، ١٣٨١ هـ: ح.

(٣) ينظر: جامع الأفكار وناقد الأنظار: ط/١ (المقدمة).

في هذه المسألة، يحتاج إلى قوّة إرادة ليست اعتيادية لسائر البشر، فعندما قتل والده في مكانه الذي يقيم فيه بنراق - موطنه الأصلي -، وهو كان حينذاك في أصفهان يدرس، فكان يكتبون له من نراق بأن يحضر لتصفية التركة وتوزيع الإرث وما شابه، ولكنه كما اعتاد لم يفتح هذه المكاتيب، فلم يكن يعلم بكلّ المجريات، وعندما طالت المدّة على غيابه عن أهله في نراق، عاودوا إرسال الكتب له مرة أخرى، وكذلك لم يجبههم، ولمّا يؤسوا من جوابه، أرسلوا إلى أستاذه ليخبره بنبأ وفاة والده؛ ليحضر، والأستاذ على عادة الناس، خاف عليه من المفاجأة بالخبر، وعند حضوره الدرس، قام بالتمهيد للخبر بإظهار الحزن والكآبة، فذكر له أنّ والده مجروح، وطلب منه أن يذهب إلى بلاده، ولكنّ هذا الولد القويّ الصلب العزيمة لم يلن قلبه، ولم يزد إلاّ أنّه قام بالدعاء لوالده بالعافية وطلب من أستاذه أن يعفيه من السفر لبلاد، وعندئذ أصبح الأستاذ مضطراً إلى أن يخبره بصراحة وبما وقع، ولكنّ الولد لم يكثرث بالأمر، وأصرّ على مواصلة العلم وتحصيله، وهنا الأستاذ لم يجد سبيلاً إلاّ أن يفرض عليه السفر، فذهب امتثالاً لأمر الأستاذ، ولم يبقَ هناك في نراق إلاّ أياماً قليلة لا تتجاوز الثلاثة أيام، على الرغم من بعد المسافة والمشقة في السفر، ثمّ عاد إلى دار هجرته، وهذه الحادثة تظهر المغزى العميق في معرفة ما يتّصف به هذا العالم من نفسيّة عظيمة، على احتقاره للمال وجميع مغريات الحياه في سبيل السعي في طلب العلم^(١).

رابعاً: كتاب جامع السعادات:

لا ريب في أنّ التأليف موهبة يعطيها الله تعالى لمن يشاء من الناس، وهي تضاهي موهبة الفهم والعلم، ولا يكون بالضرورة بوسع كلّ عالم أن يؤلّف.

(١) ينظر: جامع الأفكار وناقد الأنظار: المقدمة ط/١.

ومن أهمّ الخدمات التي يستطيع العالم أن يقدّمها للناس في مسيرته العلميّة هي التأليف، وعندما نريد أن نرفع المؤلفات في الأدراج بالترتيب من حيث قيمتها العلميّة نجد أنّ كتاب (جامع السعادات) تحديداً يعدّ من التراث التألّيفيّ الأصيل الذي يبرز من بين كتب الشيخ النراقي، ولهذا الكتاب أهميّة روحيّة قيّمة لمن يقرأه ويفهم ما فيه ويعمل به، ويمكن أن نلتمس هذه القيمة في المفاهيم التربويّة التي قدّمها، ولذلك اشتهر وراج هذا الكتاب بين أفراد المجتمع الإسلامي في وقتنا الحالي؛ لما له من آثار ملموسة ومحسوسة في إرشاد هذه الأمة وتقويمها وتوجيهها نحو طريق الخير والصلاح^(١)، وكانت منهجية الشيخ في كتاب جامع السعادات أعتمد على القرآن الكريم في الاستدلال على ما طرحه من موضوعات أخلاقية وتربوية، كذلك الاستفادة من الأحاديث الشريفة والروايات، والاستدلال العقلي إذ لم يقتصر على عرض الفضائل والردائل؛ بل بين أسبابا وحقيقتها وطرق علاجها وآثارها على سلوك الإنسان "ولكنّ الذي إنماز به كتابنا- بعد أن بحث مؤلفه بحثاً فلسفياً متوسطاً عن النفس وهواها، والخير والسعادة، والفضائل، والردائل، في البابين الأوّل والثاني، كما صنع أسلافه؛ أن جعل أساس تقسيمه الكتاب على القوى الثلاث: العاقلة والشهويّة والغضبّيّة معللاً ذلك بأنّ جميع الفضائل والردائل لا تخرج عن التعلّق بالقوى الثلاث"^(٢)، فقد بيّن كلّ قوة من الفضائل وأجناسها، والردائل البارزة والمتداخلة مع الأخرى وبيّن أصنافها، وهنا أهمّ الجوانب الفنّيّة في محتوى الكتاب، وقام بفتح طريق جديد في مجال تأصيل الأساس الذي نشأ منه حدوث صنع الفضيلة من الأخلاق الحميدة والقبيحة منها.

(١) ينظر: جامع السعادات: محمد مهدي النراقي ١/١٤.

(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/٧.

الفصل الأول

المفاهيم القرآنية العقلية

المبحث الأول: المفاهيم العقلية التربوية

المطلب الأول: البصيرة _ المطلب الثاني: التفكير

المطلب الثالث: مكانة العلم _ المطلب الرابع: الغفلة

المطلب الخامس: اليقين _ المطلب السادس: القناعة

المطلب السابع: الصبر.

المبحث الثاني: المفاهيم العقلية الأخلاقية

المطلب الأول: الأخلاق تهذيب _ المطلب الثاني: التواضع

المطلب الثالث: الصدق _ المطلب الرابع: العُجب

المطلب الخامس: التوكل _ المطلب السادس: العفو

المطلب السابع: الشكر.

الفصل الأول: المفاهيم القرآنية العقلية

إن القرآن الكريم ركز على عقل الإنسان وإلى أهمية استعمال القدرات الفكرية والإدراكية، وضرورة ربطها بالسلوك القويم والتفكير السليم، فجاءت الكثير من الآيات التي توجه الفرد على التدبر والنظر والتفكر وأخذ العبرة والحكمة، للوصول إلى المعرفة التي تساعد على فهم وإدراك الحق، وإتباع طريق الخير والصالح النافع في الدنيا والآخرة .

ومن هنا يظهر الأبعاد التربوية والأخلاقية للمفاهيم القرآنية العقلية، ودورها المهم في بناء الإدراك وتنمية القدرات الإبداعية، وعليه تناول هذا الفصل المفاهيم العقلية في كتاب جامع السعادات، والتي اشتمل على مبحثين للمفاهيم العقلية التربوية، والمفاهيم العقلية الأخلاقية المستنبطة من كتاب جامع السعادات، والمستمدة من المنهج القرآني والتي يظهر من خلالها الأثر الكبير في بناء شخصية الإنسان المؤمن القوي القادر على تمييز وإدراك الحق والسعي للوصول إلى الغاية التي خلق من أجلها.

المبحث الأول

المفاهيم العقلية التربوية

إنّ من أعظم النعم وأجلّها هي نعمة (العقل) الذي كرّم الله تعالى به الإنسان، وبه فضّله وميّزه عن سائر المخلوقات، وجعله محور الهداية والتكليف الشرعيّ، وقد غني القرآن الكريم عناية كبيرة بعقل الإنسان، فجملة من الآيات القرآنيّة كانت تدعو إلى التفكّر والنظر والتدبّر في كلّ ما ذكره القرآن من آيات ومعجزات، وتدعو إلى التأمل في ملكوت الله (عزّ وجلّ) وآياته الباهرة؛ لكي تتزكّى النفس الإنسانيّة وتسمو إلى مراتب القيم العليا. وعلى هذا الأساس تتجلى مكانة التربية العقلية في منهج القرآن الكريم، لأنها تسعى إلى بناء العقل البشريّ وتطويره ليكون واعياً ومتيقّظاً، فالعقل هو الذي يميّز الحقّ ويتّبعه، ويكشف الباطل ويتجنّبه.

العقل في اللغة: قال الخليل: "العقل نقيض الجهل"^(١)، وقال ابن فارس: إنّ العقل هو "الحابس عن ذميم القول والفعل"^(٢).

العقل في الاصطلاح: قال الشريف الجرجانيّ: "العقل: جوهر مجرّد عن المادّة، والعقل ما يعقل به حقائق الأشياء"^(٣). **والعقل في المعنى القرآنيّ:** "يقال للقوة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل"^(٤). إذن، العقل هبة من الله (عزّ وجلّ) للإنسان ليميّزه من سائر المخلوقات، وهو القوة المدركة التي تجعل الإنسان يفرّق بين الخطأ والصواب، ويميّز بين الحقّ والباطل، وبه يختار طريق العلم والمعرفة، ويكتسب

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): ٢٠٣/٣ (عقل).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): ٦٩/٤ (عقل).

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ): ١٥٤.

(٤) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٧٧/١.

الفضائل ويمتنع عن الرذائل، ولولا العقل لما وصل الإنسان إلى التطوّر في مجالات الحياة كلّها، والإسلام يؤكّد هذه القيمة للعقل؛ إذ "إنّ الإسلام دين التعقّل لا دين عاطفة، ودور العقل محرّر سواء في مجال العقيدة أو في مجال الفقه والشريعة، والكتاب والسنة كليهما الداعمان الأساسيّان إلى التوسّع في استعمال الطرق العقلية الصحيحة ما دام المجال، مجال العقل" (١).

وقد بيّن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وظيفة العقل وحثّ الإنسان على التفكير في الكون والوجود والتدبّر في الآيات، فقال عزّ وجل: ﴿قُلْ أَفَلَا يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢)، وذكر الذين لا يستعملون عقولهم، وشبّههم بالدواب؛ في قوله تعالى: ﴿يُرْجَوْنَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (٣).

ويمكن أن نقول: إنّ التربية العقلية هي تنمية وإعداد القدرات الفكرية للفرد وفق نظام من استعمال المعارف والحقائق لتوصيل الإنسان إلى التفكير الصحيح، وتوجيهه نحو الطريق القويم على نهج القرآن الكريم؛ ليصبح عضواً فاعلاً ومؤثراً في المجتمع يسعى إلى الخير والصالح، والرفعة، والرقى.

وسنتناول في هذا الفصل المفاهيم العقلية التي أوردها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتابه (جامع السعادات)، والتي استند فيها إلى المفاهيم القرآنية.

المطلب الأول: البصيرة

(١) دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية، الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي، دار الهادي، بيروت، ط ٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ١١٧.

(٢) سورة الشعراء: ٢٨.

(٣) سورة الأنفال: ٢٢.

والبصيرة في اللغة: "البَصَرُ: نَفَازٌ فِي الْقَلْبِ ... وَاسْتَبْصَرَ فِي أَمْرِهِ وَدِينِهِ إِذَا كَانَ ذَا بَصِيرَةٍ، وَالبَصِيرَةُ اسْمٌ لِمَا اعْتُقِدَ فِي الْقَلْبِ مِنَ الدِّينِ وَحَقِيقِ الْأَمْرِ"^(١).

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ١/١٤١ (بصر).

(٢) كشف اصطلاحات العلوم والفنون، محمد على التهانوي: ١ / ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٣) سورة القيامة: ١٤.

(٤) ينظر: مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١ / ٦٢ - ٦٣.

۲۷

وقد بيّن الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ البصيرة من الأمور المهمّة التي تُتجى الإنسان وتوصله إلى طريق السعادة الأبديّة، والطريق إليها هي فضائل الأخلاق، وأنّ من الأمور التي تُهلك الإنسان والتي تسبّب التعاسة والشقاء الدائم هي الرذائل التي تؤدّي إلى عمى البصيرة، لذا؛ فالانسحاب عن المهلكات والالتزام بالمنجيات من المهمّات العظيمة، وهذه من واجبات العاقل، وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) ذلك فقال: "يجب على كلّ عاقل أن يجتهد في اكتساب فضائل الأخلاق التي هي الأوساط المثبتة من صاحب الشريعة، والاجتناب عن رذائلها التي هي الأطراف، لو قصر أدركته الهلكة الأبديّة"^(١)، وقد ذكر شاهداً على كلامه قوله تعالى: **تَجَوَّزْتُمْ مَدَنًا لَّيْسَ بِهَا مِنْكُمْ مَرْجِعٌ وَلَا أَنتُمْ بِعَائِلٍ فِيهَا ذَلِكُمْ أَشَدُّ عَذَابًا يُغْنِي عَنْكُمْ وَالْأُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** (٢).

وقد بيّن الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ من المنجيات أن يكون الإنسان مدركاً بكلّ قواه العقليّة، وأن يسعى لاكتساب الفضائل، وأن يكون ذا بصيرة، وفطناً، وواعياً لما يدور حوله، ويتجنّب الوقوع في الذنوب والمعاصي التي تستوجب الخسران في الدنيا والآخرة.

وقد عبّر القرآن الكريم عن فاقد البصير بأنّه (أعمى)، وهذا ما أشار إليه المفسرون، فقد ورد في تفسير القمي (ت ٣٢٩هـ) عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ هذه الآية "نزلت فيمن يُسوّف الحجّ حتّى مات ولم يحجّ؛ فهو أعمى، فعمي عن فريضة من فرائض الله"^(٣)، فهنا التسويف عن إداء الفرائض تؤدي إلى خسارة الإنسان كالأعمى الذي لا يرى حقيقة الأشياء الباطنية.

وقد ورد في عيون أخبار الرضا: "قال لأمام الرضا (عليه السلام): (إياك وقول الجهّال من أهل العمى والضلال، الذين يزعمون أنّ الله جل وتقدّس موجود في الآخرة

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١ / ٣٠.

(٢) سورة الإسراء: ٧٢

(٣) تفسير القمي، ابو الحسن علي بن ابراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه السيد طيب الموسى الجزائري، مؤسسة دار الكتاب، قم . إيران، مطبعة النجف، ١٣٨٧هـ: ٢٤ / ٢ .

للحساب في الثواب والعقاب وليس بموجود في الدنيا للطاعة والرجاء، ولو كان في الوجود الله عز وجلّ نقص واهتضام لم يوجد في الآخرة أبداً، ولكن القوم تاهوا وعموا وصمّوا عن الحقّ من حيث لا يعلمون، وذلك قوله عزّ وجلّ: تُجْتَنَّبُ وَتُتَجَمَّعُ ۖ تَهْتَفُ ۖ وَتُجْمَعُ ۖ

يعني أعمى عن الحقائق الموجودة، وقد علم ذوو الألباب أنّ الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هي هنا، ومن أخذ علم ذلك برأيه وطلب وجوده وأدركه عن نفسه دون غيرها، لم يزد من علم ذلك إلا بعداً، لأنّ الله عزّ وجلّ جعل علم ذلك خاصّة عند قوم يعقلون ويعلمون ويفهمون^(٢).

وهذا ما ذهب إليه الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) في تفسيره، فقد ذكر أنّ من كان عمله في الدنيا باطلاً ولا يمنع نفسه عن ارتكاب الآثام، كأنّه أعمى لا يرى الحقيقة، فهو أعمى عن آيات الله تعالى، منحرف عن طريق الحق والدين، كذلك هو في الآخرة أكثر تخبطاً وانحرافاً وتحيراً عن طريق الجنّة^(٣)، وذكر الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) أنّ: "أعمى القلب لا يبصر رشده، ولا يهتدى إلى طريق النجاة"^(٤).

(١) سورة الأسراء: ٧٢.

(٢) عيون أخبار الرضا، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تصحيح السيد مهدي الحسيني اللاجوري، الناشر الميرزا رضا المشهدي، ط ١، ١٣٧٧هـ. ١: / ١٧٥. ونقل في تفسير البرهان في تفسير القرآن : ٥٥٨/٣ .

(٣) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي الملقب بأمين الإسلام (ت ٥٤٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والنشر، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٦/ ٢٠٩.

(٤) كتاب الصافي في تفسير القرآن، محمد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) تحقق السيد محسن الحسيني الآميني، دار الكتب الاسلامية، إيران، طهران، ط ١
١٤١٩هـ: ٤/ ٤٣٤.

يتَّضح ممّا تقدّم أنّ (الأعمى) في الدنيا هو الأعمى عن الهداية، وعن الإيمان بالله، وعن المعرفة، وعن طريق الحقّ، وهو بذلك أعمى عن الجنّة والثواب ونعيم الآخرة الأبديّ، وفي هذه الآية إشارة إلى الدنيا، وبيان أنّ العمى هو عمى البصيرة، فهي التي تجعل الإنسان يميّز بين الحقّ والباطل، وهذا يطابق ما طرحه الشيخ النراقي (رحمة الله) عن مفهوم البصيرة. وفي آية أخرى من القرآن الكريم يتّضح هذا المعنى أكثر، إذ قال تعالى: ﴿لَا يَهْدِي اللَّهُ الْبَاطِلَ إِلَى الْبَاطِلِ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ ظَاهِراً وَسِرّاً﴾ (١).

ويتبين أنّ (الأعمى) هنا هو الأعمى عن المساجد، وعن كتاب الله، وعن طاعة الله بشكل عامّ، لكنّه بصير بالمعاصي والآثام، والقبائح التي تعمي بصيرة الإنسان بالإصرار عليها والتمسك بها دون توبة ودون استغفار، فإنّ مخاطر المعاصي والذنوب على الفرد في والآخرة (٢)، وهنا يتبيّن أنّ (أعمى البصيرة) في الدنيا تعني أعمى القلب، وتسمّى في المصطلحات المعاصرة الطاقة السلبية التي يمتلئ القلب بها عندما يقدم الإنسان على الأفعال المحرّمة التي هي الأفعال السلبية.

وبما أنّ القلب هو المسؤول عن الفهم والوعي والإدراك، ورؤية الأشياء غير الماديّة، غير المرئية مثل الإحساس، والشعور بالأمان أو بالخطر، فإنّ هذه الطاقة السلبية تجعل إدراك القلب للأمور غير واضح، ولا يستطيع أن يدرك عمق الوعي والفهم من أيّ شيء يسمعه أو يقرؤه، وبالعكس ذلك فإنّ كانت أفعال الإنسان إيجابيّة؛ إن كان مبتعداً تماماً عن المحرّمات (٣).

ولتجنّب العمى يجب أن نأخذ ديننا وعقيدتنا من النبيّ وأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنّهم لا ينطقون عن الهوى، وكلامهم هو كلام الله تعالى، ومن اهتدى بهم فاز ونجا ومن

(١) سورة الحجّ: ٤٦.

(٢) ينظر: عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق: ٥٥٨/٣.

(٣) ينظر: كتاب الصافي في تفسير القرآن، المولى محسن الكاشاني: ٤/ ٤٣٤.

تخلف عنهم هلك وغوى، قال الإمام الصادق (عليه السلام)، في أحد خطبه: "لا يسعكم فيما ينزل بكم ممّا لا تعلمون إلّا الكفّ عنه والتّثبت، والرّدّ إلى أئمة الهدى حتّى يحملوكم فيه على القصد ويجلّوا عنكم فيه العمى، ويعرّفوكم فيه الحقّ، قال الله تعالى: ﴿آآآآ﴾^(١) نعم في آآ^(٢).

إذن، فإنّ منجيات الإنسان التي وصفها الشيخ النراقي (رحمه الله) هي التي توصله للسعادة الأبديّة في الدنيا قبل الآخرة، من خلال ذكر الله دائماً، والإيمان به عزّ وجلّ، وعمل ما أمر به والابتعاد عن ما نهى عنه، فربّ العباد دائماً مع الذين يؤمنون به حقّ إيمانه، ويعملون ما يرضيه، فيكون في عون الإنسان، ويمدّه بالتوفيق في أموره المادّيّة، والمعنويّة الدنيويّة منها والآخريّة، فكلّ ما يخصّ جوانب حياته، من نجاح وتطوّر في الذات، وانفراج الهموم، وإصلاح جميع ما أشكل من أمور مع الناس في المجتمع^(٣)، وكذلك ما يواجهه أزمات قد يتعرّض لها، واحتياجات مادّيّة ونفسيّة؛ كلّ ذلك وكلّ ما يحصل للإنسان إنّما هو بيد الله تعالى من تيسير وتسخير وراحة وطمأنينة في القلوب لمن نقى قلبه من الآثام والفواحش، وأدخل مكانها الجميل من الأقوال والأفعال التي تنير القلوب بنور الهداية الربّانيّة التي تستوجب النعيم الذي ما لا عين رأت من السعادة الحقيقيّة في الدنيا، والجنّة ونعيمها في الآخرة.

المطلب الثاني: التفكير

(١) سورة النحل: ٤٣.

(٢) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، صححه وضبطه وعلق عليه محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ت): كتاب فضل العلم، باب النوادر، ٢٩/١، حديث رقم (١٠).

(٣) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣٠/١.

وقد أبرز الشيخ النراقي (رحمه الله) التفكر في كتابه جامع السعادات ووصفه بالمفتاح لكل أبواب المعرفة.

التفكر في الاصطلاح: هو "حركة النفس في المعقولات بواسطة القوة المتصرفة"^(٢).
والتفكر في المعنى القرآني: مأخوذ من الفكرة، و"الفكرة قوة مطرقة للعلم إلى المعلم،
والتفكر جولان تلك القوة بحسب نظر العقل للإنسان دون الحيوان، قال تعالى: □ □ □
□ □ □ □ □ ني^(٣)"^(٤). ومما تقدّم من التعريفات يتّضح أنّ التفكر بشكل عام
هو: إعمال القلب والعقل في النصوص القرآنيّة وإمعان النظر في الكون والمخلوقات
وعظمة صنعها، وروعة خالقها وإبداعه في إيجادها، ويكون القصد من التفكر هو التوصل
إلى معرفة معاني النصوص القرآنيّة، وفهم الحكمة التي يريدها الخالق والغاية الحقيقيّة
لوجود هذا الكون بما فيه من موجودات ومخلوقات. والتفكر بالمعنى الأخلاقي القرآني

(٤) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٩٦ .

: "هو أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة لتقوية جوانب الخير والصلاح ومقاومة دواعي الشر والفساد" (١).

وقد ورد التفكير ممدوحاً في كلمات أهل البيت (عليهم السلام)، فقد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنه قال: "ليس العبادة كثرة الصلاة والصيام؛ إنما العبادة التفكير في أمر الله عز وجل" (٢).

ويعدّ التفكير من العادات الجليلة التي تنقل عقل الإنسان من ظواهر الأمور إلى معرفة جوهرها وباطنها، وهو الطريق لفتح أبواب المعرفة والوصول إلى معرفة الله تعالى، ثم الكشف عن الحكمة من الحياة وخلق الوجود والإنسان والكون، كما قال تعالى: **لِخَلْقِ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ** (٣)، فإنّ القرآن الكريم يستعمل الصور الذهنيّة والتشبيهات بطريقة تتماشى مع العمليات الإدراكيّة البشريّة، الأمر الذي يجعل معانيه حيّة و مؤثّرة على مرّ العصور (٤).

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) التفكير في كتابه قائلاً: "التفكير: هو سير الباطن من المبادئ إلى المقاصد، والمبادئ: هي آيات الآفاق والأنفس، والمقصد: هو الوصول إلى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة، ولا يمكن لأحد أن يترقّى من حضيض النقصان إلى أوج الكمال إلّا بهذا السير، وهو مفتاح الأسرار ومشكاة الأنوار، ومنشأ الاعتبار ومبدأ الاستبصار، وشبكة المعارف الحقيقيّة ومصيدة الحقائق اليقينيّة، وهو أجنحة النفس للطيران إلى وكرها القدسيّ، ومطيّة الروح للمسافرة إلى وطنها

(١) موسوعة أخلاق القرآن، أحمد الشرباصي، دار العرب، بيروت - لبنان، ط ٢، ١: ١٩٨٧/٢٢٦.

(٢) الكافي: أبو جعفر بن محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق قسم أحياء التراث مركز بحوث دار الحديث، قم - إيران، ط ٣، ١٤٢٨هـ: كتاب الكفر والأيمان، باب التفكير، ٣/ ١٤١ - ١٤٢، حديث رقم (١٥٥٨). ونقل في تحف العقول: ٤٤٢. وفي الوافي: ٤/ ٣٨٤.

(٣) سورة يونس: ٢٤.

(٤) ينظر: مقارنة المزج المفهومي في القرآن الكريم، الدكتور نيا عثمان شريف، مجلة كلية التربية. واسط، المجلد ٦٠، العدد ٢، ٢٠٢٥م (بحث منشور): ١١٩.

الأصليّ، وبه تتكشف ظلمة الجهل وأستاره وتنجلي أنوار العلم وأسراره^(١)، ويمثّل الشيخ بهذا الكلام التّفكّر كأنّه رحلة ينتقل العقل فيها من الملاحظة الظاهرية للأمور إلى بواطنها الجوهرية، ثمّ استشهد هنا بقوله تعالى: **يُذْ ذُرِّيُّ** □ □ □ □ (٢). وقد ذكر الفخر الرازي (ت ٦٠٤هـ) في تفسير هذه الآية أنّها نزلت ردّاً لما صدر من الكفار من الإنكار لوعده الله وإنكار الخلق، وإنكار الحشر، فبيّن القرآن أنّ هذا الإنكار جاء بسبب الغفلة وعدم العلم منهم بتقدير الله، وإلّا فأسباب التذكر حاصلة في أنفسهم؛ فلو تفكّروا فيها لعلموا وحدانيّة الله وصدّقوا بالحشر^(٣)، وكذلك فسّر التّفكّر في هذه الآية أبو جامع العاملي^(٤) (ت ١١٣٥هـ)؛ فذكر أنّ (في أنفسهم) ظرف، كقولك تفكّر في قلبه، أو أنّها صلة؛ أي: أو لم يتفكّروا في أمرها، فإنّها أقرب شيء إليهم، وفيها ما في العالم من عجائب الصنع ليعلموا أنّ من قدر على إبدائها قادر على إعادتها^(٥).

ومما تقدّم يتبيّن أنّ القرآن الكريم دعا إلى التّفكّر والتدبّر والنظر في الملكوت، وهي دعوة صريحة في كثير من آياته، كما في قوله تعالى: **يُذْ ذُرِّيُّ** □ □ □ □ (٦)، ففي النظر والتدبّر يظهر دليل واضح وبيّن على قدرة الله عزّ وجلّ ووحدانيّته

(١) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١٢٢/١.

(٢) سورة الروم: ٨.

(٣) ينظر: التفسير الكبير، محمد الرازي فخر الدين أبّن العلامة ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م : ٢٥ / ٩٩.

(٤) هو الشيخ علي ابن الشيخ محي الدين الحارثي الهمداني العاملي النجفي من العلماء الفضلاء،

من كتبه توقيف السائل على دلائل المسائل في الفقه، وكتاب بالمنطق، ومنظومات في النحو

والأصول والمنطق والهيئة. ينظر: أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين (١٣٧١هـ)، تحقيق حسن

الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د.س): ٢٠١/٨.

(٥) ينظر: الوجيز في تفسير القرآن العزيز، المفسر المحدث النحوي الاديب: الشيخ علي بن الحسين

بن أبي جامع العاملي (١١٣٥هـ)، حققه وراجعاه الشيخ مالك المحمودي، دار القرآن الكريم، قم، إيران،

ط ١، ١٤١٧هـ: ٢ / ٥٠٦.

(٦) الأعراف: ١٨٥.

وتفوّده في خلق الإنسان وخلق الكون الواسع المبهر العظيم الذي أعجز العرب وأذهل عقول المفكرين بإبداعه وروعة قدرته سبحانه وتعالى، "وإذا تأملت ما دعا الله سبحانه في كتابه عباده إلى الفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله، من عموم قدرته وعلمه وكمال حكمته ورحمته وإحسانه وبرّه ولطفه وعدله ورضاه وغضبه وثوابه وعقابه؛ فهذا تعرّف إلى عباده، وندبهم إلى التفكر في آياته"^(١). وفي زماننا هذا الذي تكثر فيه الفتن وكلّ ما يلهي الإنسان من التطوّرات الرقمية، فتتشابك الأمور وتختلط الموازين من غير إدراك لحقيقة هذا الخطر الفادح الذي يستحوذ على عقول الناس وقلوبهم؛ فأصبح الفرد أحوج إلى التفكر والتأمل الذي يرجع إلى الإنسان اتّزانه النفسي والروحي، وهذا ما أكدّه الشيخ النراقي (رحمه الله)، في مفهوم التفكر، ووافق ما ذهب إليه المفسّرون؛ فالتفكر التأمليّ "نوع من أنواع التفكيرية التي تستند على الموضوعية ومبدأ العملية السببية في مواجهه المشكلات التي تفسّر الأحداث والظواهر"^(٢)، فالتفكر بكلّ مقاصده بات ضرورة عقلية ونفسية ملحة تحوط الإنسان وتحميه من هذه الملهيات والمشتتات، وتنبّه وعيه وإدراكه بحقيقة وجوده الذي خلق من أجله في الحياة.

وبهذا يتبيّن ما أكدّه الشيخ (رحمة الله)؛ بأنّ التفكير من أهمّ الوسائل القويّة للتأثير في الإنسان، لأنّه يُحوّل الخطاب الدينيّ من الوعظ إلى تطبيق عمليّ في داخل الإنسان وخارجه، فيه ينشأ جوهر الإيمان الثابت، ويهدّب السلوك الإيجابي الذي يعود بالنفع إليه

(١) مفتاح دار السعادة، محمد ابي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزي (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، لسعودية، (د. ط)، (د. ت): ٥٣٨.

(٢) أثر استخدام استراتيجية تومس وروبينسن في تحصيل وتنمية مهارات التأمل في مادة علوم القرآن لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية، الدكتور وليد عبد الرحمن إسماعيل العبيدي، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٥٧، العدد ١، ٢٠٢٤، (بحث منشور): ٧.

والى المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه هي من الغايات الحقيقية التي خلق من أجلها الإنسان ليكون خليفة لله في الأرض.

المطلب الثالث: مكانة العلم

لا شك في أنّ العلم من أجلّ المفاهيم التي حظيت بالمكانة المرموقة في كتاب الله العزيز، لما له من منزلة عظيمة، وهو من فضائل الصفات الجميلة وأشرفها، وهو من أسمى الصفات الإلهية، وهو يقرب إلى الله تعالى ويوصل إلى المنزلة الرفيعة عند ربّ العالمين، وهو جزء من الغاية للخلق والوجود، ويوصل الإنسان إلى الشرف والعزة في الدنيا؛ لذلك أورد الشيخ النراقي هذا المفهوم في كتابه وأظهر مكانة أهله وتوقيرهم.

العلم في اللغة: قال ابن فارس: "العِلْمُ: نَقِيضُ الْجَهْلِ"^(١).

العلم في الاصطلاح: قال الشريف الجرجاني: "هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع"^(٢).

والعلم في المعنى القرآني: هو "إدراك الشيء بحقيقته"^(٣).

وهناك صلة وثيقة بين العلم والأخلاق "إنّ العلم على اختلاف أنواعه، كعلم الطبيعة والمنطق والرياضة والنفس والاجتماع والتاريخ والحياة مثلاً، لا يعارض الأخلاق، لأنّ العقل العلمي يدفعنا لمعرفة الحقائق على ما هي عليه وفهمها، دون أن تتدخل في

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس : ١٠٩/٤ (علم).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٥٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٤٦/١

هذا البحث أيّة فكرة أو نظريّة لم تُمَحَّص بعد، لكنّه لا يمنع مطلقاً أن نقابل بين الواقع وبين ما يجب أن يكون^(١).

وقد تجلّى في القرآن الكريم توقير العلم وتكريم العلماء، فالعلم هو القاعدة الأساسيّة في بناء الإدراك والوعي للإنسان والمجتمع، وقد قدّمت لنا النصوص القرآنيّة التمييز بين مرتبة العالم ومرتبة الجاهل؛ ليتبيّن أنّه ليس فقط تفضيل بالألفاظ، بل هو يدلّ على أنّ العالم به مزايا وصفات تخصّ السلوك وتخصّ القلب (كالدعاء، والخشوع)؛ تؤثر في الفرد عملياً بكلّ أفعاله وأقواله التي تقربه إلى ربّه، وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) في بيان منزلة العلم والحثّ على طلبه أنّه قال: "إنّ الذي يُعلّم العلم منكم له أجر مثل أجر المتعلّم وله الفضل عليه، فتعلّموا العلم من حملة العلم، وعلمّوه إخوتكم كما علمكموه العلماء"^(٢).

وقد أكّد العلماء المعاصرون منزلة العلم والحثّ على طلبه، وذكروا لطالب العلم نصائح منها: "أن يخلص النية، ويكون إقدامه على سلوك هذا الطريق من أجل أن يُحصّل العلم لأنّه أفضل شيء وأعظمه، إذ به شرف الإنسان على غيره وشرف أبونا آدم (عليه السلام) على الملائكة"^(٣)، فبالعلم ينال الإنسان العزّة والكرامة والاحترام في المجتمع، وينال المرتبة السامية في الحياة الدنيا والآخرة، وهو من الوسائل التي تجعل الإنسان مقبولاً عند الناس.

(١) مباحث في فلسفة الاخلاق، محمد يوسف موسى، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة، ١٩٤٨م : ١٩ .

(٢) أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، ضبطه وصححه وعلق عليه محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د. ط)، (د. ت)، كتاب فضل العلم، باب العلم والمتعلّم ٨٤/١، حديث رقم (٢/٦٢).

(٣) الدين النصيحة، سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي، دار الضياء للطباعة والتصميم . مؤسسة للأنوار النجف، ط ٢، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م : ٦٠ .

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) العلم ومنزلته بقوله: "من فوائد العلم في الدنيا العزّ والاعتبار عند الأخيار والأشرار، ونفوذ الحكم على الملوك وأرباب الاقتدار، فإنّ طباع الأنام الخاصّ والعام مجبولة على تعظيم أهل العلم وتوقيرهم ووجوب إطاعتهم واحترامهم"^(١)، وبهذا القول يبيّن الشيخ أنّ للعلم تأثيراً مهماً، إذ يجعله في أعلى المقامات وأرفعها، ويكون مهاباً في المجتمع، فيبجّله الجميع، سواء العامة، أم الخاصة، وكذلك فإنّ من طبيعة البشر دائماً أنّها تميل وتنحذب إلى تقدير وتوقير العلماء، وهذا من دلائل التكوين الفطريّ الذي خلق الله تعالى الإنسان عليها، وبعد ذلك يقرّر النراقي (رحمه الله) أنّ الإنسان لا يكون مميّزاً بما لديه من الجاه أو النسب أو المال، بل بما يملكه من العلم والمعرفة الذي يزيده قوّة وإدراكاً ووعياً، ويرفع مرتبته، وأنّ كلّ ما يجعل الإنسان متفوّقاً على أقرانه من الناس، إنّما يرجع إلى ما يملك من العلوم التي تقوّي مداركه وتهدّب سلوكه، وقد استشهد الشيخ النراقي (رحمه الله) بالآيات القرآنيّة الخاصّة بالعلم، ومنها قوله تعالى: ﴿لَا يَرْفَعُ دَرَجَةً إِلَّا بِالْعِلْمِ﴾^(٢) وفي هذه الآية القرآنيّة بهذا المعنى الذي بيّنه الشيخ النراقي (رحمه الله) ووضّحه، إذ بيّن أنّ معيار التميّز بين الناس هو العلم، وأنّ التميّز والفضل لا يتحقّق لا بالمال ولا بالحسب والنسب أو الجاه، إنّما بما يدركه الإنسان من الوعي والمعرفة وقوّة البصيرة التي تؤدّي به إلى تقوى الله تعالى وطاعته وأوامره.

وقد تناول المفسّرون هذه الآية ومنهم القمي، فقد قال في تفسيرها: "نزلت في أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)"^(٣)، أي إنّ الإمام عليّاً هو المصداق الأكبر للذين يعلمون في هذه الآية، وقد أكد هذا المعنى الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، فنذكر في تفسيرها أنّه لا يستوي الذين يعلمون الحقّ ويعملون به مع الذين لا يعلمون به، فإنّهما لا

(١) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٨٥/١.

(٢) سورة الزمر: ٩.

(٣) تفسير القمي، أبي الحسن علي بن أبراهيم القمي (ت ٣٢٩هـ)، صححه وعلق عليه وقدم له السيد الموسوي الجزائري، دار الكتاب مطبعة النجف، قم- إيران، (د. ط)، ١٣٨٧هـ: ٢٤٦/٢.

يتساويان أبدأً، وذكر قول الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: نحن الذين يعملون وعدونا الذي لا يعلمون^(١).

ويُتَّضح ممّا تقدّم عن مفهوم العلم في المنظور القرآني أنّ العلم ليس قصداً أو غايةً معرفيّةً بحتة، وإنّما العلم هو من القيم الإنسانيّة، وهو مسؤوليّة رساليّة يتأسّس عليها رقيّ الإنسان ورفعته في المجتمع. وقد أوضح الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ الفرد ينال المكانة والعزّة بين الكائنات، بإدراكه ووعيه بقدر ما يملك من العلم والمعرفة، وهذا ما صرّحت به الآية القرآنيّة الكريمة التي استشهد بها الشيخ، فهي تؤكد أنّ التمايز الحقيقيّ بين الناس يكون بما يحتوون أو يحملون من بصيرة وعلم ينفع البشريّة، إذ "إنّ التعلّم في أصله يبنى على التفكير الإبداعيّ والابتكار وفهم المعلومات بطريقة صحيحة"^(٢)، فالعلم والتعلم صار حاجة ملحة، وهذا المفهوم يجب أن يكون حاضراً في هذا الواقع المعاصر التربويّ والنفسي والاجتماعي، فإنّ العلم يرجع الإنسان إلى تحرير فكره وتهذيب نفسه. وفي الواقع المعاصر الذي تكثر فيه المعلومات والمصادر وتتحصّل بسهولة وبسرعة كبيرة، صار من المهمّ بل من الأهمّ والضروريّ جداً الرجوع إلى إحياء الفهم القرآنيّ وما يحمله من العلوم، لأنّ تعلّم العلوم صار من الضروريّات، وهذا المفهوم يجب تفعيله في وسائل التواصل الاجتماعيّ وعبر المنصات، من خلال إعداد البرامج التوعوية، كذكر القصص التي تحمل العظة والعبرة، أو يذكر محاسن العلم ومساوئ الجهل وتأثيرها في حياة الإنسان، وتحفيز الأفراد على النهوض بأنفسهم والبدء بها في تغيير سلوكهم وتطوير ذاتهم، والتذكير بأنّ العلم هو الذي يقرب الإنسان إلى ربّه ويرفع شأنه في الدنيا والآخرة، وبذلك سيكون سعيه في طريق العلم لغاية سموّ الروح ورفعتها ولإصلاح نفسه ومجتمعه،

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ).

تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٣/٩.

(٢) دور التعلم في التنمية المستدامة (بين النظرية والتطبيق)، الدكتورة أحلام حميد نعمة الجنابي، مجلة كلية التربية. واسط، المجلد ٦٠، العدد ١، ٢٠٢٥م، (بحث منشور): ٤٢١.

ولا يكون لمجرّد الرياء والمراء والتنافس، وبذلك يكون الإثر الحقيقي النفسي والتربوي قد تمّ وفق ما أَراده الله في كتابه العزيز.

المطلب الرابع: الغفلة

إنّ الغفلة ضدّ العلم، وهي من الأمور الخطيرة التي تؤثر في الإنسان وفي إدراكه الذاتي؛ إذ تسبّب له التخبّط والابتعاد عن السلوك القويم، والتسليم لتوجيهات النفس وأهوائها، دون التحكّم بها، وقد حدّر القرآن الكريم من الوقوع في الغفلة، ومن الانشغال بالدنيا، دون تهذيب النفس وإصلاح الذات، وأورد الشيخ النراقي هذا المفهوم، وأبرز أسبابه، وآثاره، لما يودي إلى صلاح الفرد والمجتمع.

الغفلة في اللغة: الترك والسهو^(١).

الغفلة في الاصطلاح: هي متابعة النفس على ما تشتهي، أو إبطال الوقت بالبطالة، وقيل: إنّ الغفلة عن الشيء هي أن لا يخطر ذلك بالبال^(٢).

والغفلة في المعنى القرآني: "سهو يعتري الإنسان من قلة التحفّظ والتيقّظ"^(٣)

وفي الاصطلاحات الأخلاقية؛ الغفلة: "هي فتور النفس عن الالتفات والتوجّه إلى ما فيه غرضها ومطلبها إمّا عاجلاً أو آجلاً، وضدّها النية، وهي رذيلة مضادة لفضيلة التفكير والتأمّل"^(٤)، إنّ غفلة الإنسان من أكثر أمراض القلوب خطراً و أقواها تأثيراً في

(١) ينظر: لسان العرب، أبن منظور: ٤٩٧/١١ (غفل).

(٢) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٦٤.

(٣) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١ / ٤٦٩ .

(٤) معجم المصطلحات الاخلاقية، فهرس موضوعي للمسائل الاخلاقية، اشرف السيد عباس نور الدين، مركز باء للدراسات، بيت الكتب للنشر والتوزيع، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦ م: ٥٣.

الإنسان، إذ تقوم بتقييد العقل وتعطيله، وإنَّ التغافل عن ذكر الله يفضي إلى تسلُّط الشيطان على الإنسان: "أ □ □ يمي □ ذري" (١) (٢)، فالغفلة توقع الإنسان في المهالك والشُرور، وإنَّ العامل الأساس لجميع انحرافات الإنسان هو الغفلة؛ ولذا نجد أنَّهم يذكرون بأنَّ الخطوة الأولى في التكامل والسلوك في الأخلاق هي (اليقظة)، والصحو، فاليقظة هي النقطة المقابلة للغفلة، وسبب هذا التأثير السلبي للغفلة في الحياة المعنويَّة للإنسان (٣)، ويبدو لي ذلك يذهب إلى الاستغراق في مغريات الحياة وشهواتها، فيتحوَّل شبيهاً بالحيوانات التي تدبُّ في الأرض في سلوكه، بل أكثر ضلالة، فبحسب الأنعام أنَّها تسير على غرائزها، أمَّا الإنسان الغافل فقد أوقف ما أنعم الله عليه وأكرمه به من عقل وأدراك (٤).

وقد قال الشيخ النراقي (رحمه الله) "الغفلة هي فتور عن الالتفات والتوجُّه إلى ما فيه غرضها ومطلبها، إما عاجلاً أو آجلاً وضدها: النية، وترادفها: الإرادة والقصد، وهي انبعاث النفس وميلها وتوجُّهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها حالاً أو مآلاً، والموافق لغرض النفس إن كان خيراً لها وسعادة في الدنيا أو الدين، فالغفلة عنه وعدم انبعاث النفس إلى تحصيله رذيلة، والنقصان والنية له والقصد إليه فضيلة وكمال، وإنَّ كان شراً وشقاوة، فالغفلة عنه وكفَّ النفس منه فضيلة والنية له وإرادته رذيلة" (٥)، نستنتج من كلام الشيخ أنَّ الغفلة ليست نسياناً وتهاوناً مجرّداً، بل هي توقيف البصيرة وعزل الوعي والإدراك

(١) سورة الزخرف: ٣٦.

(٢) دروس في التربية الأخلاقية، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط ١، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م: ١٦٦.

(٣) الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم، محمد حسين فهمي نبأ، ترجمة الشيخ محمد نبيل جمعة العاملي، إشراف ومراجعة وتقديم: اللجنة العلمية في مؤسسة الخلق العظيم، العتبة الحسينية المقدسة، النجف . العراق، ط ١، ٢٠٠٩ . ١٤٤٠هـ: ٣٥٣ . ٣٥٤.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٥٣. ٣٥٤.

(٥) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٥٣٠/٣.

بالواجب عليه، فالغافل لا يتأمل في عواقب الأمور ومصير الأشياء وفي معرفة ربّه، فيكون أسير الهوى ولا علاقة للعقل في توجيهه فتكون الغفلة كما يصفها الشيخ أساساً لكلّ المهالك والردائل، ومن كان غافلاً عن يوم الحساب تؤدّي به إلى الجرأة على ارتكاب المعاصي والذنوب، وإضاعة المسار الأخلاقي الذي يرسو به نحو السلوك القويم، وبالنتيجة يكون كالحيوان أو أضلّ منه، لأنّه ترك فكره ووعيه وانقاد وراء رغبته وشهوته. وقد استشهد الشيخ بقوله تعالى: ﴿... نَمِ فِي﴾^(١)، وقد ذكر هذا المعنى المفسّرون في تفسيراتهم، ومنهم الطبرسيّ إذ قال: "أي: ما هم إلّا كالبهائم التي تسمع النداء ولا تعقل (بل هم أضلّ سبيلاً) من الأنعام لأنّهم مكّنوا من المعرفة، فلم يعرفوا، والأنعام لم يمكّنوا منها، ولأنّ الأنعام ألهمت منافعها ومضارّها، فهي لا تفعل ما يضرّها، وهؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة وسعوا في هلاك أنفسهم، وتجنّبوا سبيل نجاتهم، فهم أضلّ منها"^(٢)، وكذلك فسّرها أبو جامع العامليّ فقال: "وخصّ الأكثر؛ إذ فيهم من عقل وكابر حباً للرئاسة (إن) ما هم إلّا كالأنعام في عدم تفهّم قولك وتدبّر حججك (بل هم أضلّ سبيلاً) منها، لأنّها تعرف المحسن إليها من المسيء، وتطلب المنافع وتجتنب المضارّ، وهؤلاء لا يعرفون إحسان ربّهم من إساءة الشيطان، ولا يطلبون نفع الثواب ولا يتّقون ضرر العقاب، ولأنّها لم تمكّن من المعرفة وهم تمكّنوا فقصروا"^(٣). وهذا التفسير هو المرويّ عن أهل البيت (عليهم السلام)، فقد فسّرها الإمام عليّ (عليه السلام) في حديث طويل يذكر فيه اليهود والنصارى: "... فلما جحدوا ما عرفوا ابتلاهم بذلك؛ فسلبهم روح الإيمان، وأسكن أبدانهم ثلاثة أرواح: روح القوّة، وروح الشهوة، وروح البدن، ثم أضافهم إلى

(١) سورة الفرقان آية: ٤٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار العلوم للتحقيق والنشر، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: ٧ / ٢١٨.

(٣) الوجيز في تفسير القرآن العزيز، أبو جامع العاملي (ت ١١٣٥هـ): ٢ / ٤١٢.

(صلوات الله عليه) قوله: "إِنَّ التَّفَكُّرَ يَدْعُو إِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ"^(١)، يتضح إن إصلاح الإنسان يكون من النهوض بفكره الذي يمنع الإنسان من السهو والنسيان، وهذه هي مسؤوليته الحقيقية في الحياة الدنيا، فبذلك الاستيقاظ من الغفلة، يتَّجه الإنسان إلى السعي في طريق الحق والخير، ولتدارك الغفلة للفرد، من خلال الالتزام بالصلاة، والأذكار، وبتلاوة القرآن الكريم اليومية أو بقدر الاستطاعة، بتدبر وبحضور قلب، ضرورة محاسبة النفس، بتخصيص وقت مع الذات، التقليل من استخدام الأجهزة الإلكترونية والبرامج الرقمية المشتتة، واستغلالها لتحقيق التطوُّر الشخصي^(٢)، والتواجد في المجموعات الساعية في أعمال الخير، والأعمال التطوعية التي تعين الإنسان على الثبات على طريق الحق، وأن لا تترك زيارة القبور؛ لتكون خير شاهد على ضرورة الابتعاد عن الغفلة والتفكُّر في إعادة تصحيح ما فات، قبل فوت الأوان، إذ لا ينفع الندم، وكفى بالموت واعضاً للغافلين.

المطلب الخامس: اليقين

يُعَدّ مفهوم اليقين من الأسس المهمّة في بناء الإيمان الحقيقي للفرد، وله أثر فعّال في بناء شخصيّة المؤمن، وتوجيهها نحو السلوك السليم، لجعل الإنسان مطمئناً وثابتاً بخطواته واتّخاذ قراراته بلا خوف أو تردّد، وقد أظهر القرآن الكريم هذا المفهوم، وبيّن علاقته المترابطة بقوة الإيمان بالبرائ العظيم والثقة به (عزّ وجلّ)، لذلك ركز الشيخ النراقي (رحمه الله) على هذا المفهوم وعلى الجوانب المتعلقة به.

(١) محاسن الاخلاق ومساوئها من اصول الكافي، ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩هـ)، اعداد اسعد السيد كاظم القاضي، باب التفكير، ص / ١١، حديث رقم (٢).

(٢) ينظر: درر الأخلاق، إعداد نوارس فائق: ٩٨.

اليقين في اللغة: "إزاحة الشكّ وتحقيق الأمر"^(١).

اليقين في الاصطلاح: "اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال"^(٢).

واليقين في المعنى القرآني: "اليقين من صفحة العلم فوق المعرفة والهداية وأخواتها، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم"^(٣).

واليقين في العقيدة هو ثبوت الإيمان بالله تعالى ووحدانيته في القلب ثبوتاً بدون شبهة، وبلا أدنى شكّ، إذ يشعر الفرد بالاطمئنان بوعده الله تعالى بالجنة ووعيده بالنار، وتصبح عنده ثقة كاملة بالتدبرّات في كلّ أمور حياته ومماته، وينتج عن ذلك الاستقامة في السلوك والسكينة في النفس، وقد ورد "في وصية لقمان لابنه: يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه، ولا يقصر عامل حتّى ينقض يقينه"^(٤).

ويعدّ اليقين من أهمّ مراتب الإيمان التي تؤسّس عليها شخصيّة الفرد المسلم؛ فبها تتّزن النفس، ويثبت القلب، فيذهب الاضطراب والقلق والتردد، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "خير ما ألقى في القلب اليقين"^(٥)، فاليقين حالة من الثبات الداخلي وليس فقط معرفة في الذهن، فالإنسان يرى بنفسه كيف يدبّر الله أموره، فتزداد ثقته بحكمته في أوقات يعجز الإنسان أن يستوعب الأسباب الغيبية الظاهرة.

(١) تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهرى: ٣٢٥/٩ (يقن).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٢٥٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٧١٨.

(٤) الحقائق في محاسن الاخلاق قرّة العيون، العلامة الفيض الكاشاني، تحقيق الحاج محسن عقيل،

دار الكتاب الإسلامي، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م: ١٩١.

(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، باب النوادر، ٤/ ٢٧٦ حديث رقم (٥٧٦٧).

وقد قال الشيخ النراقي (رحمه الله) في اليقين: "إِنَّ ضِدَّ الْجَهْلِ الْمَرْكَبَ وَالْحَيْرَةَ وَالشَّكَّ هُوَ الْيَقِينُ، وَأَوَّلُ مَرْتَبَةِ اعْتِقَادٍ ثَابِتٍ جَازِمٍ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ غَيْرُ زَائِلٍ بِشَبْهَةٍ وَإِنْ قُوِيَتْ، فَالْإِعْتِقَادُ الَّذِي لَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ لَيْسَ يَقِينًا، وَإِنْ جُزِمَ بِهِ صَاحِبُهُ وَاعْتَقِدَ مُطَابَقَتَهُ لِلْوَاقِعِ، بَلْ هُوَ - كَمَا أُشِيرَ إِلَيْهِ - جَهْلٌ مَرْكَبٌ يَنْشَأُ عَنْ اعْوَجَاجِ الْقَرِيحَةِ، أَوْ خَطَأٍ فِي الِاسْتِدْلَالِ، أَوْ حَصُولِ مَانِعٍ مِنْ إِفَاضَةِ الْحَقِّ كَتَقْلِيدٍ أَوْ عَصَبِيَّةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ"^(١)، وبهذا يبيِّن الشيخ هنا أَنَّ الْيَقِينَ هُوَ مِنْ حَالَاتِ الصِّدْقِ الَّذِي يَصِلُ إِلَى دَرَجَةِ الْإِطْمِنَانِ الْكَامِلِ، وَهُوَ اعْتِقَادٌ رَاسِخٌ، وَلَا يَزُولُ بِالشَّكِّ أَوْ الشَّبْهَةِ، فَلَا يَكُونُ مَعَهُ اضْطِرَابٌ أَوْ تَرَدُّدٌ، وَهُوَ نَاتِجٌ عَنِ الْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الصَّادِقَةِ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْوَثُوقِ بِهِ وَبِصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَكَلَّمَا زَادَتْ مَعْرِفَةُ الْفَرْدِ بِخَالْقِهِ أَزْدَادَ يَقِينِهِ، وَتَحَوَّلَ مِنَ الْإِيمَانِ الْمَجْرَدِ إِلَى التَّطْبِيقِ الْعَمَلِيِّ بِتَوْجِيهِ فِي النَّفْسِ وَالسَّلُوكِ، ثُمَّ ذَكَرَ الشَّيْخُ قَوْلَهُ تَعَالَى: □ □ □ □^(٢).

وقال الطبري (ت ٣١٠هـ) في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره مخبراً عن قول صاحب موسى: وأما الحائط الذي أقمته فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وقوله: أَأَمْشُرُهُمَا فِي الْحَائِطِ الَّذِي أَقَمْتَهُمَا؟" (٢)، يقول: فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتّهما، ويستخرجا حينئذ كنزهما، تحت الجدار الذي أقمته رحمة من ربك بهما، يقول: فعلت فعل هذا الجدار رحمة من ربك لليتين، وقوله: أَمْشُرُهُمَا؟ يقول: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله إياي" (٣)، وقد ذكر أنّ الكنز: كلّ مال مذخور من ذهب أو فضّة وغير ذلك، وقيل: إنّ الكنز الذي خُرب عليه الجدار هو لوحٌ من ذهب مكتوب فيه: عجا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن، وعجا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب، وعجا لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، وعجا لمن رأى الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ١ / ٩٥ .

(٢) سورة الكهف: ٨٢.

(٣) تفسير الطبري جامع البيان من تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري: ١٢٦/٥.

إليها، لا إله إلا الله، محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله)^(١). وبمعرفة قصّة الكنز هذه يتّضح معنى العناية والرحمة الإلهيّة التي تعبر من الحاضر إلى المستقبل؛ إذ إنّ إقامة الجدار لم يكن عملاً بدون سبب، بل كان من التدابير الرّبّانية المحكمة؛ للرّأفة باليتيمين وحفظ حقهم؛ لضعفهما؛ فهما لا يستطيعان الدفاع عن نفسيهما، والكنز معرّض للضياع، وهذا الإصلاح للجدار، سببه صلاح الأب، وكونهم متيقنين بأن الله لطيف رحيم بعبادة المخلصين، ولن يتركهم بدون عطفه وتدبيره لحياتهم بعد وفاه أبيهم، لذلك نالتهم رعاية الله تعالى الخفيّة؛ إذ بيّنت الآية الأساس العقائديّ والتربويّ، وهو اليقين بالله تعالى والثقة بتدبيره وحكمته، وهي متلازمة مع رحمته وعدله، والذي يتأخّر عن الناس من رحمة أو عطاء إنّما يكون عين الحكمة واللفظ الإلهي، وهو أعلم بما تقول إليه الأمور من خير أو شرّ، وكلّ الأحداث تجري، لما فيها من عطاء ونفع أوسع كلّ بقدر ووقت معيّن يخفى عن البشر إدراكه، وقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: لا يجد عبد طعم الإيمان حتّى يعلم أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنّ الضارّ النافع هو الله عزّ وجلّ"^(٢).

ويتبيّن من التفاسير أنّ الكنز المحفوظ تحت الجدار، لم يحفظ عبثاً، وإنّما كان من ثمار الإيمان وصلاح الوالدين، وهذا دليل ظاهر على اليقين الذي كان عند الصالحين وأولياء الله تعالى، بتدبيرات الخالق؛ فكّلما زاد الإنسان إيماناً وصلاحاً، زاد يقينه بالله، وبحكمته، وأنّه لا تضيع عنده الودائع، وهذه العناية الإلهيّة مطلقة للحاضر وتستمر للمستقبل فيصبح المتيقّن في راحة وطمأنينة لا يخاف من الحاضر ولا يقلق من المستقبل الغيبيّ؛ لأنّ الخير والعطاء كلّه بيد الله، قد يؤخّره، لكن يأتي به في الوقت الأنسب والأحسن، قال أمير المؤمنين (عليه السلام): "لأنسبنّ الإسلام نسبةً لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلاّ بمثل ذلك، إنّ الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين،

(١) ينظر: النّبأ العظيم في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد النبي الخراساني الحائري (ت ١٢٣٢هـ)، تحقيق عادل عبد الجبار ثامر الشاطي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء، العراق، ط ١، ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م: ٢/ ١٠٦.

(٢) الكافي، الكليني، كتاب الإيمان والكفر، باب فضل اليقين: ٣/ ١٥٢، حديث رقم (١٥٧٣).

واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل والعمل هو الأداء...^(١).

ويمكن أن نقول في الحياة الواقعية التي نعيشها اليوم يقلّ فيه اليقين عند الإنسان، ولكنّ هذا المفهوم القرآني الذي عزّزه الشيخ النراقي (رحمه الله)، يمنحه السلام والقوة الباطنية في مواجهة الصعوبات المعيشية والقلق من المستقبل، فإذا ما أنعم النظر بهذا المفهوم، وأصبح لديه قوّة بصيرة بالأمر، سيكون الإنسان المتيقّن أكثر عزيمة وإصراراً وثباتاً، ولا يهّمه ضيق الرزق أو الأزمات العارضة، لأنّه يصبح واثقاً بما يملكه الله تعالى، وجزيل عطائه، وخيره غير المحدود، وإن تأخّر، أو تعرّض للابتلاء، فإنّ ذلك يكون بحكمة من ربّ العباد، وأنّ وقته لم يحن بعد، لمصلحة ما، أو لدفع ضرر محقق بالشخص أو لخير وعطاء أفضل وأحسن في وقت يحدّده الله تعالى، يجعله في أعلى المقام وأرفعها، وهذا اليقين يمنح الفرد طاقة إيجابية، وروحانية، تعمل على إصلاح عمله، وسلوكه وتهذّب أخلاقه، فينمو لديه التفاضل وتزداد لديه القوة في العمل، فيجتهد دون تردد، أو شكّ أو حيرة.

المطلب السادس: القناعة

إنّ القناعة من المفاهيم المهمّة، والضرورية في حياة الإنسان، وله أثر في تأسيس الأخلاق الفاضلة، واكتساب العادات والسلوكيات الإيجابية النافعة، فهي تهذّب النفس، وتحقّق الاتزان النفسي، وتقي المؤمن من الإفراط في ضروريّات الحياة وعدم الاعتدال،

(١) الكافي، الكليني، كتاب الكفر والإيمان، باب نسبة الإسلام: ١١٧/٣، حديث رقم (١/١٥٣٦).
ونقل في معاني الأخبار: ١٧٩.

وتحميه من الابتعاد عن رضا الله تعالى، ومن هذا الأساس طرح الشيخ النراقي هذا المفهوم وبيّن ضروريّته.

القناعة في اللغة: الرضا^(١).

القناعة في الاصطلاح: "هي الرضاء بالقسم، وقيل: ترك ما في أيدي الناس وإيثار ما في يديك"^(٢). **والقناعة في المعنى القرآني:** "الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها"^(٣). وذكر بعض العلماء أنّ "القناعة ضدّ الحرص، وكلّها مدح وشرف وعزّ للنفس وحرّيّة لها، وهو الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال وغيره من أمور الدنيا، وهي صفة فاضلة، ومن أعظم الرسائل للوصول إلى السعادة الأبديّة والقنوع، مرتاح البال متفرّغ إلى الانشغال بأمر الدين وسلوك طريق الآخرة"^(٤).

ويمكن أن نقول عن القناعة: إنّها صفة نفسية وعقلية ثابتة ينبعث منها الاكتفاء والرضا بكلّ ما يقسمه الله للإنسان، وتجعله يمتنع عن النظر إلى ما في أيدي الناس، ويرضى بما تملكه يده، ولا يتكلّف في طلب الأكثر بدون حاجة، مع صفاء القلب وصدق النية لله تعالى، بلا قلق أو تعلّق بالدنيا أو إرهاق النفس، فالقناعة تجعل سلوك الإنسان ورغبات مهذّبة، وتحقّق له الرضا بحياته دون التوقّف عن الطموح وتطوير ذاته، قال الإمام عليّ (عليه السلام): "من رضي من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه، ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن شيء فيها يكفيه"^(٥)، ونفهم من هذا الحديث

(١) ينظر: لسان العرب: ٢٩٧/٨ (قنع).

(٢) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ٢ / ١٣٤٣ .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٨٥ .

(٤) الاخلاق والآداب الإسلامية، عبدالله الهاشمي، دار الأمين، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: ٣٥٩ .

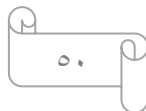
(٥) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: باب النوادر، ٣٠٨/٤ . حديث رقم (٥٩١٠). وفي أصول الكافي: ١٤٠/٢

أنَّ قيمة القناعة تكمن في أثرها في السلام الداخليّ، فإذا قنع الإنسان بما يحقّق له ما يكفيهِ في حياته؛ فإنّه سيعيش في يسر ونعيم، بدون همّ أو توتّر وقلق، وهنا القناعة لا تعني القبول بالقليل في كلّ الأحوال؛ بل تعني الاكتفاء بتحقيق الحاجات الحقيقيّة، بدون التلهّف، وإرهاق النفس، واستنزافها في طلب الأمور التي لا تنتهي من المغريات؛ أي أن يسعى الإنسان ويجتهد في العمل، والكسب الحلال مع بقاء التوازن في الاحتياج إن لم يحصل على كلّ الطموح، وبين تنمية وتقوية الشخصية، والقناعة بذلك تولّد عنده شخصيّة هادئة، وقويّة في الوقت ذاته.

والقناعة عند الشيخ النراقي (رحمه الله): "ضدّ الحرص ... وهي ملكة للنفس توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال، من دون سعي وتعب في طلب الزائد عنه، وهي صفة فاضلة يتوقّف عليها كسب وسائل الفضائل، وعدمها يؤدّي بالعبد إلى مساوئ الأخلاق والرزائل، وهي المظنّة للوصول إلى المقصد وأعظم الوسائل لتحصيل سعادة الأبد، إذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس، ويقتصر على أقلّه قدرًا أو أحسنه نوعاً، ويردّ أمله إلى يومه أو إلى شهره، ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك كان فارغ البال مجتمع الهمّ"^(١)، وقد بين الشيخ النراقي (رحمه الله) أن القناعة من الصفات الفاضلة التي تجمع تحصيل بقيّة الفضائل، وهي حماية وحسن للإنسان من رذائل الأخلاق مثل الطمع وشره الحرص، والقناعة لا تكون بالتوقّف عن الدنيا، بل هي تحديد المقدار من الحاجة التي تؤدّي إلى المحافظة على كرامة الإنسان، مع الحذر من الانجراف والانشغال بالزائد الذي لا ينفع، وليس ضرورياً^(٢)، ويؤكد الشيخ النراقي (رحمه الله) أن العبادة وطهارة النفس والقلب من التعلّق المفرط في الدنيا لا تتحقّق إلا بالقناعة، والذي تعدّى الكفاية دخله الغم والضيق والهمّ والقلق.

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢٩٦/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٩٥/٢ .



وقد استشهد الشيخ النراقي (رحمه الله) بقول الإمام الباقر (عليه السلام): "إِيَّاكَ أَنْ تَطْمَحَ بِصَرْكَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ، فَكَفَى بِمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): تُخْ لَمْ لِي لِي (١)، وقال: نِي نِي نِي نِي نِي نِي نِي نِي نِي نِي (٢)، وقد ذكر القمي في معنى الآية: "قال أبو عبد الله [الصادق] (عليه السلام) لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالساً ثم قال: من لم يتعزَّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات، ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس طال همّه ولم يشف غيظه، ومن لم يعرف أنّ الله عليه نعمة إلّا في مطعم أو في مشرب قصر أجله ودنا عذابه" (٣)، وروي مثل هذا الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) مع زيادة "(... فإن دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإنما كان قوته الشعير، وحلواه التمر، ووقوده السعف إذا وجده" (٤)، وقد ورد في تفسير الآية أيضاً: "وقوله تعالى: أَلَمْ يَأْتِ الْبَلْغَ مِنْ (ولا تنظر)، لأنّ الذي يمدّ بصره إنّما يحمله على ذلك حرصٌ مقترن، والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه، (الأزواج): الأنواع، فكأنّه قال: إلى ما متّعنا به أقواماً منهم وأصنافاً، وقوله: أَلَمْ يَأْتِ الْبَلْغَ شَبَّهَ نَعِيمَ هَؤُلَاءِ الْكَفَّارِ بِالزَّهْوَرِ، وهو ما أصفر من النور، وقيل: الزهر: النور جملة؛ لأنّ الزهر له منظر ثمّ يضمحلّ، كذلك حال هَؤُلَاءِ" (٥).

(١) سورة التوبة: ٥٥.

(٢) سورة طه: ١٣١.

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ٦٦/٢.

(٤) محاسن الاخلاق ومساوئها من أصول الكافي: باب (٣٤) القناعة، ٨٦ حديث رقم (١).

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابي محمد عبدالحق بن عطية الاندلسي (ت ٥٤١هـ).

تحقيق مجموعة من الباحثين بأشراف إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية - دار ابن حزم

، دولة قطر، ط١، ١٤٣٦هـ، ١٢٧٢.

يتبين مما تقدم ذكره من تفسير الآية أنّ الله تعالى نهى عن النظر إلى ما أعطى الناس ومتّعهم به وهم غير مؤمنين بالله من أصناف وأنواع من النعم، كالمال والجاه وغيرها، فهذا المتاع زائل لأنّه يمثل زهرة الحياة الدنيا؛ أي: متعتها وبهجتها، وهي قصيرة مثل الزهرة في سرعة ذبولها وزوالها، وهم ليس لهم عند الله كرامة ولا مقام.

وهذا ما يؤكّد لنا أنّ هذا الأمر المنهيّ عنه لا يقتصر على النظر، وإنّما لتوجيه الإدراك، ولتربية النفس والقلب على أن لا يغترّ بهذا المتاع الدنيويّ، وهذا ما قصد شرحه الشيخ النراقي (رحمه الله)، ويبدو لي أنّه يجب أن نعي مفهوم الآية بأنّ ما في الدنيا زائل وفانٍ، وما عند الله (جلّ جلاله) من خير وعطاء هو أبقي وأدوم، وبذلك يتبين أنّ الآية أكّدت أساساً تربوياً مهمّاً وهو أنّ كلّ ما في الدنيا من زينة ومتاع مهما علا وارتقى لا يكون هدفاً أساسياً وحيداً، إنّما هذه الدنيا دار امتحان وابتلاء، أمّا المتعة الحقيقيّة والغنى الحقيقيّ؛ فهو يكون بالرضا، والتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

وقد بيّن لنا الشيخ النراقي (رحمه الله) أهميّة القناعة وتجلياتها بأنّها ليست التقاعس عن طلب الرزق، أو الأنزواء في الحياة، وإنّما هي وعي وإدراك وتنظيم وتهذيب الرغبات^(١) والطموحات، بما ينفع الإنسان ويكفيه حقّاً؛ فالقناعة تجعل الإنسان يصبّ تركيزه على ما يملك من طاقات ومهارات ويعمل على تطويرها بدلاً من الانشغال بما لا يملكه، أو الذي ينقصه، وبهذا تمنحه السلام الداخليّ وهدوء النفس، وتجعله قادراً على الإبداع والتميّز في عمله والتخطيط لمستقبله باتّخاذ القرارات الصائبة والحكيمة، وترفع من قيمته وتطوّره من غير استنزاف للطاقة أو الجهد بلا جدوى حقيقيّة.

والقناعة في واقعنا المعاصر تعدّ جانباً مهمّاً نحو الإيجابية المحفّزة، إذ تزيل القلق الراجع إلى المظاهر، وتنشئ الوعي في السلوك والمال، وكذلك تجعل الإنسان أكثر

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢/ ٢٦٩.

اندفاعاً نحو الإنتاجية والإبداع، وتعزّز الطاقة الإيجابية في داخل الإنسان، وتؤدي به إلى مواجهة الصعوبات وتحديات الحياة، فالقناعة كما وصفها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كلامه بأنها لا تتحقّق بما نملك، بل تتحقّق بالرضا بالقليل منه، وبذلك هي ليست غنى المال وإنما غنى القلب.

المطلب السابع: الصبر

يعدّ الصبر من الصفات الأخلاقية الحميدة، إذ إنّ من المفاهيم القرآنية المهمّة والضروريّة التي أكّدها كتاب الله العزيز، لأثره الكبير في قوّة المسلم وإرادته وتهذيب سلوكه، ومواجهه الصعوبات والمصائب، وتحمل الضغوطات والمشاقّ التي يتعرّض لها الإنسان، ممّا يعزّز ثباته وضبط انفعالاته، وقد أظهر الشيخ النراقي (رحمه الله) هذا المفهوم وبيّن آثاره وأهميّته.

الصبر في اللغة: حبس النفس عند الجزع، وهو نقيض الجزع^(١).

الصبر في الاصطلاح: "هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله؛ لا إلى الله"^(٢).

والصبر في المعنى القرآني: "حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه"^(٣). فالصبر هو تحمل المصائب والبلايا، وعدم الاضطراب عند

(١) ينظر: لسان العرب، أبن منظور: ٤٣٨/٤ (صبر).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٣٤ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني: ٣٥٩ - ٣٠٦ .

أوقات المصائب والشدائد، وضدّ الجزع الذي قد ينتج عنه تصرفات من صراخ وما شابه ذلك من حزن واكتئاب وغيرها ممّا يدلّ على ضعف النفس، وهناك أنواع من الصبر؛ كالصبر في حالة الغضب ويوصف بالحلم، والصبر على تعب وجهد في سبيل الطاعة، والصبر على الملذات والشهوات ويوصف بمجاهدة النفس وغيرها، وأكثر الفضائل الأخلاقيّة تتفرع من الصبر^(١)؛ إذ إنّ الصبر يكون على كلّ ما يريد الإنسان وما لا يريده، وقال عنه السيد الشهيد محمّد الصدر (ت ١٤١٩هـ): "الصبر: هو حسن التحمّل لبلاء الدنيا باحتساب إلى الله سبحانه وتعالى ورضا بقضائه، وإلّا فمع الاعتراض على قضاء الله وقدره لا يكون الصبر إطلاقاً موجوداً، ولا يحصل الثواب عليه، بل يحصل العقاب، فيجتمع بلاء الدنيا مع بلاء الآخرة في الحقيقة، والمهم أنّ الشارع المقدّس يأخذ المؤمنين بنظر الاعتبار من حيث تعرّضهم لأنواع البلاء الدنيويّ، ويأمرهم بالصبر"^(٢)، ولهذا امتدح الله الصابرين فقال: **ذُرِّيَّةٌ مِّن دُونِكَ** □ □ □ □^(٣).

ونكر الشيخ النراقي (رحمه الله) الصبر قائلاً: "الصبر ما أوله مرّ وآخره حلّ، من دخله من أواخره فقد دخل، ومن دخله من أوائله فقد خرج، ومن عرف قدر الصبر لا يصبر عمّا منه الصبر ... فمن صبر كرهاً، ولم يشكّ إلى الخلق، ولم يجزع بهتك ستره؛ فهو من العامّ ... ومن استقبل البلاء بالرحب، وصبر على سكينه ووقار، فهو من الخاصّ"^(٤)، ومعنى هذا أنّ النفس البشريّة تميل إلى الجزع وعدم الاتّزان إذا تعرّضت إلى

(١) خمسون درساً في الأخلاق، عباس القمي (ت ١٣٥٩هـ - ١٩٤١م)، تحقيق نزار الحسن، هيئة محمد الأمين - العراق - كربلاء المقدسة - مكتب الأمين قم - إيران، ط ١، ٢٠٠٤م - ١٤٢هـ: ١٠٦-١٠٧.

(٢) المرأة في فكر المرجع الديني الكبير السيد الشهيد محمد صادق الصدر (ت ١٤١٩هـ)، قدم له السيد مقتدى الصدر، منشورات المحبين، قم، إيران، ط ١، ١٤٢٩هـ: ١٠٨.

(٣) سورة البقرة: ١٥٦.

(٤) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣/ ٦٣٣.

مكروه، وهذه التغيرات بين الحزن والضيق، والقلق، أو الاضطراب، مسألة طبيعية لكل البشر، ولكن المقياس الحق في الصبر هو قدرة الإنسان، وكيفية التقبل والتعامل القلبي مع المصيبة، والابتلاء والصعوبات، فهي لا تكون مجرد إحساس عابر، وقد أشار الشيخ النراقي (رحمه الله) إلى أقسام الصبر بقوله: "وله أقسام أخرى لها أسماء خاصة تعدّ فضائل آخره كالصبر في الحرب، وهو من أنواع الشجاعة، وضده الجبن، والصبر على كظم الغيظ، وهو الحلم، وضده الغضب، والصبر على المشاق، كالعبادة، وضده الفسق، أي الخروج عن العبادات الشرعية، والصبر على شهوة البطن والفرج من قبائح اللذات، وهي العقّة، وإليه أشير في قوله سبحانه: ﴿لَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ فَيَمُوتَ بَعْدَ ظَهْرِكُمُ وَيَسَاقُتُم مِّنَ السَّعَةِ﴾" (١).

(٢).

وقد ذكر المفسرون في هذه الآية كثيراً من المعاني، فبين القمي في تفسيره معنى الآية قائلاً: "إذا وقف على معصية الله وقدر عليها ثم تركها مخافة الله ونهى النفس عنها فكانته الجنة" (٣)، وفي تفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ)، معنى الآية: أن معنى ونهى النفس عن الهوى، أي: زجرها عن المعاصي والمحارم، فترك الهوى مفتاح الجنة (٤)، وكذلك بهذا المعنى قال ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) في تفسير الآية: "أي: خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، وردّها إلى طاعة مولاه" (٥)، وقد وذكر الكاشاني (ت ٩٩٨هـ) أن معنى الآية هو أن من خاف مقام مسألة ربه عما يجب فعله أو

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣/ ٦٣٣.

(٢) سورة النازعات: ٤٠-٤١.

(٣) تفسير القمي (ت ٣٢٩هـ): ٤٠٤/٢. ونقل في تفسير نور الثقلين: ١١١/٨.

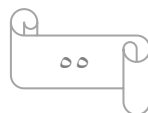
(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١هـ).

تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ: ٦٤/٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء أسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق

سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، المملكة السعودية - الرياض، ط ١، ١٤١٨هـ -

١٩٩٧ م ٣١٨/٨.



تركه ونهى النفس الأمارة بالسوء عن الهوى، أي عن اتباع الشهوات وزجرها عنها، وضبطها بالصبر والتوطين على إثبات الخير، لعلمه بأنه مردّ إلى الله فإنّ الجنة ستكون هي المأوى له^(١).

ويُتّضح ممّا تقدّم من التفاسير أنّ منع النفس عن المحرّمات والشهوات، والصبر عليها مع القدرة على ارتكابها، وتركها بنية القربى إلى الله تعالى ومخافته؛ يوصل الإنسان إلى رضوان الله تعالى والفوز بجنته^(٢)، وأنّ كلّ هذه المغريات والفتن والابتلاء في الدنيا وكثرتها، ماهي إلّا اختبار من الله للتمحيص، والتمييز بين الناس؛ ليخرج ضعفاء النفوس والعصاة ويطردهم من رحمته. وقد ذكر علماء الأخلاق ثلاث مراتب للصبر، الأولى: الصبر على البلاء والمصيبة، والثانية: الصبر على الطاعات، والثالثة: الصبر على الذنوب والمعاصي^(٣)، "وهذه الحالات التي تصيب الإنسان كفرد وكمجتمع تستهدف العروج بروحه إلى الخالق (عزّ وجلّ)؛ فهو يرحم عباده لكي لا يغفلوا عنه، ولا يحرموا لذة مناجاته، ولا يبتلوا على حالة الكفر به دون أن يتدوَّقوا حلاوة الاتّصال به، فيبتليهم (تعالى) ببعض هذه المشاكل والأخطار لتلوذ قلوبهم به، ويبتليهم بالمرض يوماً، وبالفقر يوماً، وبخطر داهم من الطبيعة يوماً آخر"^(٤).

وكذلك قسّم الشيخ النراقي (رحمه الله) الصبر بالمراتب الثلاثة، إلى قسم مخصوص بالمكروه من البلاء والمحن، ويُعدّ ذلك إن منشأ الصبر أمّا أن يكون بالثبات، وإظهاره طمأنينة للنفس والقلب عند الإنسان، ليصبح راضياً مرضياً، وهنا الصبر للعوام، يصبّون عملهم ظاهر الحياة الدنيا وهم من الغافلين في الآخرة أو تأمل الأجر والثواب والحصول

(١) ينظر: زبدة التفسير: ٣٢٨/٧ .

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٦٤ / ٢٢.

(٣) ينظر: الموسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد مجموعة من الباحثين، إشراق علوي بن عبد، موقع الدرر السنية على الأنترنت <https://dorar.net/article/1480>، ١٤٣٣ هـ: ٦٠/٢.

(٤) في رحاب الإيمان، السيد محمد تقي المدرسي، انتشارات مدرسي، إيران، ط ١، ١٤١٧ هـ: ٢٣٩ .

على الدرجات العالية والرفيعة في الآخرة، وهنا يكون صبر الزاهدين والمتّقين، وكما قال تعالى: □ □ □ □ □ □ (١) (٢).

ويُتّضح لنا هنا أنّ الشيخ النراقي (رحمه الله) يقرّر أنّ الصبر المحمود هو الصبر الذي ينتج السكينة والهدوء والوقار في النفس والقلب، مع التسليم والرضا بقضاء الله وحكمته، ويمكن أن نقول: إنّ كلام الشيخ النراقي (رحمه الله) عن الصبر بأنّه ليس انعدام الإحساس والشعور بالضيق والألم؛ إنّما هو المقدرة على التحكّم بهذا الألم، وذلك من خلال الوعي والإدراك؛ إذ يحفظ للإنسان إيمانه ومكانته وتوازنه، فالتغيير في الحالة النفسيّة أو الجسديّة للفرد في وقت البلاء أو المصيبة لا يوصف بالنقص؛ لأنّ النقص بالواقع هو عندما يستسلم الإنسان إلى الانهيار أو العصبيّة، أو للشكوى التي تهزم العزيمة وتعدم اليقين، "فعلينا بالسعي في طلب الرزق وطيب النفس بالقسمة والقضاء وشكر الله على النعم وعدم السخط وبث الشكوى، فيجب على الإنسان أن يكون شاكراً على كلّ حال من الأحوال في الرخاء والشدة والضيق والسعة، فقد قرن الله تعالى الصبر بالشكر في القرآن المجيد، ووعد الشاكرين بالمجازاة بالفضل والمنّ، وأوعد على الكفران بالعذاب الشديد (٣).

وفي واقعنا المعاصر؛ إذ تتزايد المشاكل وتتفاقم الضغوطات، ويعيش الإنسان بواقع قد يمتلئ بالصدمات العاطفيّة والاجتماعيّة أو الاقتصادية، تظهر هذه الرؤية للصبر أبعاداً كبيرة في بناء وتنمية إدراك الإنسان ووعيه، فهو يعين على تجاوز الحزن، وهذا المفهوم يعمل على مساعدة الفرد في هذا الزمن في مواجهة التحدّيات والصعاب بقوة

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢ / ٦٣٥.

(٣) ينظر: قلادة النعم سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل، إعداد آلاء طعمة، التدقيق اللغوي موفق إبراهيم الرحال، مطبعة دار الكفيل، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، العراق، ط١، ١٤٣٥ هـ ٢٠١٤ م: ٧٣.

وعزيمة، دون الشعور بالضعف أو الانكسار مع تقوية العزيمة والإرادة التي يعلّقها بالإيمان والسكينة، وبذلك يتحوّل الضعف والشعور بالألم إلى قوّة دافعة للتقرّب إلى الله تعالى، دون الاعتراض على حكمه، فيكسب بذلك الفرد مهارات في صقل شخصيّته ويتمكّن من إدارة الانفعالات، فيكون الصبر كالدرع الحصين في واقع يكاد يكون بؤرة للتحديات، فالصبر يؤثر إيجابياً على الإنسان ويوازن حياته ويثبت قدراته، ويعزّز الوعي باستمرار.

وفي نهاية هذا المبحث يتّضح أنّ المفاهيم العقلية التربوية التي بينها الشيخ النراقي (رحمه الله) تعدّ جانباً مهماً وأساسياً في بناء شخصيّة الإنسان المؤمن في ضوء منهج القرآن الكريم، إذ ركّزت على الاهتمام بتنمية العقل وتوجيهه نحو التفكير الصحيح واتّباع الحقّ، وتمييزه عن الباطل، فضلاً عن تثبيت القيم الأخلاقية التي تساهم في إعادة بناء الإنسان والمجتمع وإصلاحهما، فقد تبيّن أنّ هذه المفاهيم لم تتحدّد على الجوانب النظرية فقط؛ بل تعدّت الجانب العملي الواقعي لسلوك الفرد اليومي، وبذلك يحقّق الاستقرار والتوازن الأخلاقي والفكري، وهنا تتعرّز أهميّة المفاهيم العقلية التربوية في إعداد الشخصية الواعية المسيطرة على زمام الأمور، والمتحكّمة فيها، والتي تستطيع أن تواجه كلّ المغريات، والتحديات المعاصرة، وفق الطريق الإيماني الذي رسمه القرآن الكريم.

المبحث الثاني

المفاهيم العقلية الأخلاقية

إنّ من أهمّ أسس بناء الإنسان الواعي في المجتمع هي الأخلاق؛ ولا تتحدّد الأخلاق على السلوكيات الظاهرية للشخص، وإنّما تتعدّى إلى جملة من المفاهيم العقلية التي تدرك بالعقل والفكر، وتهدّي إلى فعل الخير والتفريق بين طريق النجاة من الهلاك،

وتمييز الصالح من الطالح، ومن هذا الجانب تظهر أهميّة هذه المفاهيم المتعلّقة بالتصرّف العقلاني والأخلاقي؛ لأنّها تعدّ القاعدة الفكرية، التي تمكّن الفرد من التحكّم بأفعاله وتقويمها على النحو الأخلاقي السليم الذي يضمن تكوين وعي أخلاقي قادر على توجيه السلوك للخير والمنفعة للفرد والمجتمع.

وبناء على ما ورد من تعريفات لغويّة واصطلاحية للعقل والأخلاق يمكن أن نقول: إنّ المفاهيم العقلية الأخلاقية هي المعاني والدلالات التي تتعلّق بالإدراك العقلي للقيم والأخلاق الفاضلة التي يترتّب عليها ما يحكم على الأفعال والسلوكيات المختلفة في جوانب الحياة كلّها حميدة أو قبيحة، وتوجيه الإنسان نحو السلوك المؤدّي للخير والصالح، وتجنّب الشرّ والفساد، ممّا يساعد في قيادة الفرد المسلم نحو فهم واستيعاب القيم الفاضلة من الأخلاق، ومحاولة الرجوع إلى إعادة صياغة شخصية الإنسان الفاعلة، والمنتجة في نفسه وعقله، المؤثرة إيجابياً مع من حوله من أبناء المجتمع.

المطلب الأوّل: تهذيب الأخلاق

إنّ الأخلاق من أرقى وأسمى الجوانب التي عنى بها القرآن الكريم، لما لها من تأثير في تنمية شخصيّة الإنسان، وتعديل سلوكه وتطوير ذاته، ولا يتحدّد تهذيب الأخلاق باكتساب الصفات الحميدة الفاضلة، وتجنّب الصفات الرذيلة فحسب؛ بل يتوسّع ليشمل ضبط النفس ومجاهدتها وترويضها على فعل الخير والفضائل، لتصبح الأخلاق الفاضلة أسلوب حياة ثابت للفرد^(١)، وقد وجّه الشيخ النراقي (رحمه الله) تركيزه وعنايته الكبيرة بهذه المسألة الحسّاسة؛ ألا وهي تهذيب الأخلاق لإصلاح الفرد والمجتمع.

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/ ٤٠-٤١.

التهذيب في اللغة: التنقية والإصلاح^(١).

التهذيب في الاصطلاح: مرادف للتأديب^(٢).

والتهذيب في المعنى القرآني: مرادف للإصلاح، "وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارةً بخلقه إياه صالحاً، وتارةً بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارةً يكون بالحكم له بالصلاح"^(٣). ويمكن أن نعرّف التهذيب بأنّه: إصلاح السلوك النفسي للإنسان بالتتابع، إذ يكون بتنقية أخلاقه وتقويم انحرافه واعوجاجه، وتجليّ الغرائز والملكات النفسية والعقلية الإنسانية؛ لترتقي إلى التوازن والاعتدال، فيظهر أثر ذلك في تعاملاته وكلّ ما يقول ويفعل، وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً"^(٤)، فالتهذيب يجمع بين التنقية، والتقويم، وبين التربية وتركية النفس، لكي يحصل الفرد على الكمال النفسي، و"قد يكون اعتدال القوانين فطرياً بحيث يخلق الإنسان وينشأ كامل العقل حسن الخلق قد كفي سلطان الشهوة والغضب على عقله كالأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وقد يكون مكتسباً بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الأعمال التي يقضيها الخلق المطلوب"^(٥). ولاشكّ في أنّ حياة الإنسان لا يمكن أن تستمرّ بدون تهذيب للأخلاق، ليعيش الحياة الطيبة؛ ويكون ذلك بالعلاج والحلول المناسبة في عملية التهذيب، ولما لها من أهميّة كبيرة أطلق عليها الشيخ النراقي (رحمه الله) (أشرف العلوم)، وذلك بسبب الشرف الذي يناله الذي يأتي من هدفة السامي والراقي في إصلاح النفس الإنسانية التي هي لبّ الإنسان وحقيقة وجوده، والغاية منها إيصالها إلى الكمال الروحي، وقد روى

(١) ينظر: لسان العرب، أبن منظور: ٧٨٢/١ (هذب).

(٢) ينظر: التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٩.

(٣) مفردات غريب، الراغب الأصفهاني، ١: ٣٧٣.

(٤) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب سن الخلق، ٢٥٦/٣، حديث رقم (١/١٧٤٥).

(٥) الحقائق في محاسن الاخلاق قرّة العيون، الفيض الكاشاني: ٦٢ - ٦٣.

الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: "ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيامة أفضل من حسن الخلق"^(١).

ومنشأ الوصول إلى المراتب العليا والخلق السامي هو العلم؛ فبه يخرج الإنسان من المرتبة السفلى إلى أعلى المراتب، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): "العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل، ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه، وإلا ارتحل عنه"^(٢)، ولما كانت الحياة الطيبة للإنسان تتوقف على تهذيب الأخلاق الممكن بالمعالجات المقررة في هذه الصناعة، يتضح أن علم الأخلاق أشرف العلوم وأنفعها؛ لأن شرف كل علم إنما يكون بشرف موضعه أو غايته، وقد كان لهذا العلم أهميّة عظيمة عند المفكرين والحكماء. وقد قال الشيخ النراقي (رحمه الله): "لذلك كان السلف من الحكماء * لا يطلقون العلم حقيقة إلا عليه، ويسمونه بالإكسير الأعظم، وكان أول تعاليمهم، ويبالغون في تدوينه وتعليمه، والبحث عن إجماله وتفصيله، واعتقدوا أن المتعلم ما لم يهذب أخلاقه لا تنفعه سائر العلوم، لذلك فالنفس التي ليست نقيّة عن ذمائم الأخلاق لا يزيدها تعلّم العلوم إلا فساداً... لغلبة حبّهم للجاه والمنصب، ظناً منهم أنه ترويج للدين والمذهب، أو لوقوعهم في الضلال والحيرة لكثرة الشكّ والشبهة، أو لشوقهم إلى المراء والجدال في أندية الرجال وإظهار التفوق على الأقران والأمثال، أو لأطلاق ألسنتهم على الآباء المعنويّة من أكبر العلماء وأعظم الحكماء"^(٣)، وبهذا الكلام قدّم الشيخ النراقي (رحمه الله) مثلاً للتربية الأخلاقيّة المستمدّة من المفهوم العقلي والمنطقي، إذ إن انحراف أهل العلم أو بعض المتمثّلين بدور العلماء والمتعلّمين؛ وذلك لأنّهم متعلّقين بالمادّة وحبّهم لجمع الثروات، وهي نتيجة بديهيّة لأنّهم أهملوا مسألة مهمّة من الجانب الأخلاقيّ ألا وهي التهذيب. وقد

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب حسن الخلق، ٢٥٦/٣ - ٢٥٧، حديث رقم (٢/١٧٤٦).

(٢) أصول الكافي، الكليني: كتاب فضل العلم، باب استعمال العلم: ١٠٩/١، حديث رقم (٢/١١٢).

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٤٠/١ - ٤١. * الحكماء المتقدمون أو الأوائل.

بيّن الشيخ النراقي (رحمه الله) أساس المفهوم العقليّ للتربية الأخلاقية، وهو أنّ العلم لا يغذي النفس، ولا يزيدها تعلّم العلوم إن لم تكن نقيّة من رذائل الأخلاق إلّا شراً وفساداً، فإنّ إعطاء الغذاء إلى الجسم كثيراً وهو ممتلئ بالعلل والأشياء الفاسدة يزيد العلة شراً وسوءاً، وكذلك تزويد العلم إلى نفس غير نقيّة؛ أي ليست زكيّة، وقد وضّح الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ التعلّق بالمال والحرص على جمعه هو الانحراف العقليّ؛ إذ اهتموا به، وفي المقابل غفلوا عن الإيمان، وعن تهذيب أخلاقهم، ومن نتائج ذلك أنّهم أظلموا طريقهم، وتحيروا وتخبّطوا في كثير من الشكوك والشبهات، وذلك لعدم وجود مسار أخلاقيّ وشرعيّ يصحّ اتجاهاتهم، وبوجود الجدل وحبّهم للمرء في المجالس إذ ينتقلون من نصرة الحق إلى نصرة أنفسهم وإبراز العظمة والتسلّط على الأقران، كلّ ذلك إنّما يدلّ على انعدام الحكمة أو غياب العقلانيّة في تناول المعرفة، وكما قال الشيخ النراقي (رحمه الله) "وكلّ ذلك ليس إلّا لعدم سعيهم في تهذيب الأخلاق وتحسينها، وعدم الامتثال لقوله تعالى: ﴿□ □ □ □ □﴾^(١)"^(٢). وقد ذكر الرازي (ت ٦٠٤هـ) في تفسير هذه الآية وسبب نزولها؛ ما يأتي : "في سبب هذه الآية، روي أنّه في أوّل كانوا إذا أحرم الرجل منهم فإن كان من أهل المدن نقب في ظهر بيته منه يدخل ويخرج، أو يتّخذ سلماً يصعد منه سطح داره ثمّ ينحدر، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء، فقليل لهم: ليس البرّ بتحرجكم من دخول الباب، ولكنّ البرّ من اتقى"^(٣)، وهنا بيّن الرازي سبب نزول الآية، وذكر في تفسيرها: "وأمر بالتقوى في طريق طاعة الله، وهو عبارة عن ترك المحظورات وفعل الواجبات، فالاستقامة علم، والتقوى علم، وليس التكلّف إلّا في هذين"^(٤)، فبيّن الرازي أنّ معنى الآية غير الظاهر هو مخالفة الله وعدم السير على طريق الإيمان والعلم،

(١) سورة البقرة: ١٨٩.

(٢) جامع السعادات، الشي محمد مهدي النراقي: ٤١/١ .

(٣) التفسير الكبير، الرازي: ١٣٥/٥.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٧/٥.

وعمل كلّ ما يقرب العبد من الله، وهو من التكليف الشرعيّ، أي بالعلم والعمل، اللذين يوصلان الإنسان إلى التهذيب الأخلاقيّ، ويقودانه إلى طريق النجاة الحقيقيّ.

وفي تفسير الآية ورد حديث عن الإمام علي(عليه السلام)، عن الأصمغ بن نباتة^(١) روي أنه كان جالساً عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، فجاءه رجل فقال: "يا أمير المؤمنين من البيوت في قول الله عزّ وجلّ: أجمّ حمّ خمّ سمّ □□□□□□□□؟" فقال عليه السلام: نحن البيوت التي يؤتى منها؛ فمن بايعنا وأقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا وفصل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها"^(٢)، وكذلك ورد في حديث الإمام الباقر (عليه السلام): "يعني أن يأتي الأمر من وجهه، أي الأمور كان"^(٣).

وقد فسّر السيّد الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ) الآية فقال: "إنّ قوله: ليس البرّ إلى آخره، كناية عن النهي عن امتثال الأوامر الإلهيّة والعمل بالأحكام المشرّعة في الدين إلّا على الوجه الذي شرّعت عليه، فلا يجوز الحجّ في غير أشهره، ولا الصيام في غير شهر رمضان وهكذا، وكانت الجملة على هذا متممةً لأوّل الآية، وكان المعنى: أنّ هذه الشهور أوقات مضروبة لأعمال شرّعت فيها ولا يجوز التعديّ بها عنها إلى غيرها كالحجّ في غير أشهره، والصيام في غير شهر رمضان وهكذا، فكانت الآية مشتملة على بيان حكم

(١) "هو أصمغ بن نباتة بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم التميمي الحنظلي المجاشعي. نسبة إلى قبيلة من تميم. كان من خواص أصحاب أمير المؤمنين [عليه السلام] وشهد معه صفين وكان على شرط الخميس وكان شاعراً". أعيان الشية، حسن الأمين: ٤٦٤/٣.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ٢٩٨ - ٢٩٩. ونقل في البرهان، البحراني: ٤١٥/١.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني (ت ١١٠٩هـ)، حققه لجنة من علماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط ٢، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م: ٤١٥/١. ونقله من كتاب المحاسن / ٢٢٤ ح ١٤٣.

واحد^(١)، وبذلك يتبين أنّ هذا العمل كان يقوم به أهل الجاهليّة، وهو بهذا التفسير كان يؤيد ما ذكره المفسّرون ومنهم الرازي، إلّا أنّه أضاف "(ولكنّ البرّ من اتقى) إشعاراً بأنّ الكمال إنّما هو في الاتّصاف بالتقوى وهو المقصود دون المفهوم الخالي كما مرّ نظيره في قوله تعالى: (ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن، الآية)^(٢). ويتّضح ممّا تقدم أنّ تهذيب الأخلاق يمكن أن نقول عنه أنّه من الأمور العقليّة والتربويّة الأساسيّة؛ فمن غير التهذيب، يتحوّل المجتمع من عنصر للرقى إلى عنصر للفساد، وقد تبين أنّ منهج أهل البيت (عليهم السلام) كان له الأثر الأكبر في إضاءة هذا المفهوم، لأنّهم هم الأساس والأصل لكلّ المعاني والمبادئ الأخلاقيّة والتربويّة السامية، وهم الأنموذج الحيّ الباقي عبر العصور والأزمان، فهم الذين جمعوا بين العلم والمعرفة وبين أرقى درجات التربية وتهذيب الأخلاق، لأنّهم الامتداد الطبيعي للنور الإلهيّ من الرسول الأعظم محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، إذن هم طريق النجاة من المهالك، وهم الطريق للسعادة الأبديّة، "إنّ الأخلاق الإسلاميّة تتميّز بعدّة سمات؛ فمصدرها الوحي، وغايتها تحقيق العبوديّة لله والاستخلاف في الأرض، ومضمونها جمع المبادئ والقواعد التي تنظّم سلوك الإنسان وتصرفاته"^(٣).

وعندما أشار الشيخ النراقي (رحمه الله) إلى هذه الآية المباركة اتّضح لنا ممّا تقدّم من تفسيرها أنّه يقصد أنّ الامتثال لأوامر الله تعالى واجتناب نواهيه والسير على نهج القرآن والاقتداء بما جاء به الرسول وأهل بيته (عليهم صلوات الله تعالى وسلامه) من الأصول المتجذّرة والأساسيّة لتهذيب الأخلاق والنفس الإنسانيّة في كلّ زمان ومكان، إذ لا

(١) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم-إيران، (د.ط): ٥٧/٢ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي: ٥٧/٢ .

(٣) التربية الأخلاقيّة في الآيات المكيّة والمدنيّة، عدنان عبد الرحمن الميمني، كلية التربية . جامعة أم القرى، المملكة العربيّة السعوديّة، ١٤١١هـ (رسالة ماجستير): ٣٣. ٣٤.

يستغنى عنها؛ بل يهلك البشر بدونها إلى الهاوية والضياع والتشتت، فإنّ تهذيب الأخلاق بالغايات الصالحة الدنيويّة، ويبتني هذا المسلك على حثّ الإنسان ودفعه وإيجاد الداعي منه إلى القيام بالأعمال الحسنة إلى إصلاح نفسه من خلال الجزاء والمصالح الدنيويّة من جاه أو مال أو ثناء أو ذكر حسن، وعلى تحذير من القيام بالأعمال السيئة وذمّها من خلال بيان المساوئ والمضارّ الدنيويّة المترتبة عليها^(١). وفي الحياة المعاصرة والواقع الذي نعيشه الذي تتراكم وتتكاثر فيه المعارف وسرعة المعلومات، والتعمّق في التطوّر في وسائل التكنولوجيا الحديثة ووسائل التواصل، لكن دون تطبيق للأخلاق على أرض الواقع، ينبغي لكل شخص أن يعرف أنّ منفعة العلم يكمن في استعمال الفضائل العظيمة، وأنّه عليه أن يعلم حسن الفضائل العظيمة؛ فيأتيها، ويعلم قبح الرذائل؛ فيجتنبها، ويجب أن يعلم أنّ للعلم حصّة في كل فضيلة، وأنّ للجهل حصّة في كلّ رذيلة^(٢)، لذلك تكون الأمة أو المجتمع الإسلاميّ أحوج إلى إرجاع ربط العلم والمعارف بالأخلاق، وتزداد اليوم الحاجة والإلحاح على ذلك أكثر من أيّ زمن مضى، ولا سيّما من جانب بعض العلماء؛ فكم منهم من يملك الفصاحة والنبوغ، ويقفون على المنصّات العلميّة والإعلاميّة، ولكنّهم يفتقرون إلى كثير من الجوانب الروحيّة والأخلاقيّة؛ كالتقوى والإخلاص، فيتحوّل ما يمتلكه من علم إلى أداة لتنفيذ هوى نفسه ورغباته الذاتيّة، فإنّ طريق الخروج من ذلك هو أنّه يجب على المتعلّمين البدء بأنفسهم، وذلك بتقويتها، وأنّ يقدّم تهذيب نفسه وأخلاقه على كلّ عمل يقوم به، ويجب عليه أن يربط العمل بالغاية، أي ربط عمليّة التعليم والحصول على المعرفة بغايتها الأساسيّة وهي التقرب للباري عزّ وجلّ لنفع البشريّة، وهذا ما أسّس له الشيخ النراقي (رحمه الله)، فهو الذي أكّد أنّ الأخلاق

(١) التربية الروحية بحوث في جهاد النفس، السيد كمال الحيدري، المراجعة عبد الرضا، الافتخار، مطبعة ستارة، مؤسسة الأمام الجواد (عليه السلام)، للفكر والثقافة، ط ٢٠٠٣، ٤٣٣، ١٢٠١، ٢٠٠٣، ٨٩٨٨.

(٢) ينظر: مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، حققه وعلق عليه الدكتور محمد مطر سالم بن عايد الكعبي، دار القلم، دمشق، ط ٥، ١٤٤٣ هـ. ٢٠٢٢ م، ٤٨.

وتهذيبها من الأمور المهمة والضرورية^(١)، وهو بذلك يكون مشروعاً توعوياً ناضجاً، وهو يأخذ امتداد مشروعيته وتأصيله من المنهج القرآني ومن منهج أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم الصورة المتجسدة من القرآن الكريم، وهذا المنهج هو الذي رسّخته مدرسة الإمامية، وهنا تبرز مسؤولية المعلمين والمتعلمين في أن يأخذوا من أهل البيت كلّ ما يقوم سلوكهم ويهذب أخلاقهم نحو الرقي والعزة والرفعة لينقلوها إلى الأجيال فيصلح بذلك المجتمع.

المطلب الثاني: التواضع

إنّ التواضع من أرفع الفضائل الأخلاقية، التي تهذب نفس الإنسان وسلوكه، وتعزز العلاقات الاجتماعية، وتقوي أواصر المحبة بين الأفراد، وقد غني القرآن الكريم بهذا المفهوم؛ لأنّه يجعل الإنسان يبتعد عن التعالي على الآخرين، ويحسن في تعاملاته معهم، فالتواضع وسيلة لتنمية شخصية الفرد المحترمة و المتوازنة، وقد تناول الشيخ النراقي (رحمه الله) هذا الجانب من الأخلاق في كتابه، وجعله من أساسيات التربية الأخلاقية للفرد المسلم.

التواضع في اللغة: التذلل والتخاضع^(٢).

التواضع في الاصطلاح: "تصغير النفس جداً مع معرفتها"^(٣).

والتواضع في المعنى القرآني: "هو رضا الإنسان بمنزلة دون ما يستحقّه فضله ومنزله، لا تكاد تظهر في أفنان الناس لانحطاط درجاتهم، وإنّما ذلك يبين في الملوك وأجلاء الناس

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، ١/٤١.

(٢) ينظر: تاج العروس، السيد الزبيدي: ٣٤٣/٢٢ (وضع).

(٣) كشف اصطلاحات الفنون، التهانوي: ١/٥٢٣.

وعلمائهم وهو من باب التفاضل، لأنّه يترك بعض حقّه وهو بين تواضع الكبر والضعفة] أي الأنحطاط الخسة والدناءة^(١). وضدّ التواضع التكبر، والتواضع هو علاج التكبر، إذ يكون باستدكار طريقة العلماء والملوك والعظماء المتواضعين والأجلاء، وكيف عاشوا وتعاملوا مع الناس على الرغم من عظيم وسعة علمهم وأعمالهم المشرفة وجلالتهم ورفيع مكانتهم وقدرهم، وما قدّموا للإنسانية من خدمات، وهم الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء وعلماء العلم والدين^(٢)، فالتواضع من الأخلاق التي تطهر القلب والنفس من مرض الكبر، فهو ليس علاجاً فحسب؛ وإنما بنتيجة لمجاهدة النفس التي تعد العلاج الحقيقي للتكبر، فيرجع الشخص إلى توازنه من داخل أمام نفسه وأمام الآخرين، وهو من أساسيات الاستقامة لأعمال الإنسان، وهو من أهم أسباب رفعة عند خالقه، وفي مجتمعه، والذي يجعل الفرد لا يغترّ بنعيم الله وينظر إلى الناس بدون التعالي عليهم، فينتج خلقاً وسلوكاً حسناً وراقياً.

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) التواضع ومدحه قائلاً: "قد أشير إلى أنّ ضدّ الكبر التواضع، وهو انكسار للنفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزية على الغير، وتلزمه أفعال وأقوال موجبة لاستعظام الغير وإكرامه، والمواظبة عليها أقوى معالجة لإزالة الكبر"^(٣)، وهنا يشير النراقي (رحمه الله) في كلامه إلى أنّ التواضع يكون بال ضدّ من الكبر، والتواضع هو انكسار للنفس؛ إذ لا يجعلها ترى مزاياها، فالشخص المتواضع ينظر إلى كلّ ما يملك من فضائل وخير، على أنّها نعمة من الله تعالى، فيقوم باستصغار

(١) الذريعة في مكارم الشريعة، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، دار أقرأ، سوريا - دمشق، ط ١، ٢٠٠١-١٤٢٢ هـ: ٢٠٣.

(٢) ينظر: بحوث في الأخلاق وفلسفتها، عبد الرضا ناصر البهادلي، ط ١، ١٤٣٣ هـ-٢٠١٢ م: ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢٣٢/١.

عمله مهما كان هذا العمل كبيراً وعظيماً، وهو بخلاف المتكبر الذي يستعظم أعماله ويعجب بنفسه ويريد من الناس التبجيل والتعظيم له، وذكر الشيخ الآية الكريمة من القرآن وهي قوله تعالى: **تُحْذَرُ تَهْذَأُ تَهْجُرُ تَهْمُجُ تَهْمُجُ تَهْمُجُ** (١).

وقد ذكر في تفسير معنى الآية التواضع في مشي عباد الرحمن الذي تشير إليه، ووصفوا بأنهم "هينين، أو مشياً هيناً بسكينة ووقار من غير جبرية، واستكبار لا مشي المرضى" (٢)، وذكر القمي في تفسيره أنّ هذه الآية نزلت في الأئمة (عليهم السلام) وروى عن الإمام الباقر (عليهم السلام) أنهم يمشون هوناً خوفاً من عدوهم، وروى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال في تفسيرها: هم الأئمة (عليهم السلام) يتقون في مشيتهم (٣)، وهنا تتبين هذه الصفة الجليلة التي يتّصف بها الأئمة (عليهم السلام)، وهي الصفة التي يجب أن يتّصف بها المؤمنون المتّقون المقتدون بهم (صلوات الله عليهم)، وروي في الكافي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: **"إنّ في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه"** (٤)، وفي هذه الرواية يتّضح أنّ منزلة المتواضع كبيرة عند الله تعالى بأن يرفع قدره ويُعلي شأنه، وكلّما تواضع زاده الله هيبة و وقاراً، وأعظم قدره في أعين الناس؛ لأنّه تقرب إلى الله تعالى.

وكذلك بين الشيخ النراقي (رحمه الله) من طرحه لشواهد كثيرة من القرآن والسنة المطهرة، مدح صفة التواضع وذمّ ضدّها (الكبر)، وقد أكّد بهذه الشواهد أنّ التواضع يكون السبب المباشر لعزة ورفعة الإنسان، وأنّ المتكبر الذي يعظم عمله ويعجب بنفسه يحرمه الله محبّته وعنايته، بينما المتواضع بما يتركه من العالي وباستصغار عمله ونفسه فإنّه

(١) الفرقان: ٦٣.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن، الأيجي: ١٦٦/٣.

(٣) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١١٦/٢.

(٤) أصول الكافي، الكليني: كتاب الكفر والإيمان، باب التواضع، ٣/٣١٤، حديث رقم (١٨٦٤ / ٢). ونقل في المحاسن والمساوي: ٥١٧/٤.

يصبح مقرباً إلى الله تعالى، كما أشار إلى أنّ المؤمن كلّما زادت الدنيا منصباً أو جاهاً كلّما حمّله ذلك إلى التواضع وجنب نفسه التكبر، ومن صفات المتواضع أنه يكون لين الجانب، وعنده قبول الحق، ويمتاز بحسن المجالسة^(١).

وأرى أنّ التواضع في واقعنا المعاصر لا يكون خلقاً نفسياً وروحياً فقط، وإنّما يكون قيمة إنسانية عليا لها أثر محسوس وملموس في كلّ العلاقات الاجتماعية الإنسانية، في مجال القيادة والعمل، فالإنسان المتواضع أكثر تقبلاً للرأي من الآخرين، على الرغم من اختلاف وجهات النظر، ويكون أكثر احتراماً للناس، فيشعر الآخرون من حوله بالثقة والأمان والودّ، وبذلك يكون مفضلاً في المجتمعات والمؤسسات، والأحوال المهنية الأخرى.

وفي وقت زادت فيه البهجة ومظاهر الخداع والتفاخر؛ فإنّ التواضع يكون طريقاً لجذب الأرواح قبل القلوب، وسبباً للسلام النفسي، فالإنسان المتواضع لله متيقن أنّ كلّ ما عنده من علم ومعرفة وإنجازات، كلّها بفضل المنّة الإلهية، فيتواصل في العطاء والتطور من غير أن يمسه غرور أو كبر، ويتصرّف مع الآخرين برحمة، فيكون محبوباً دائماً، ويجلب الذكر الحسن، فيتحوّل التواضع عنده إلى مصدر إلهام للفرد نحو الطاقة الإيجابية، بما يترك أثراً طيباً في المجتمع.

المطلب الثالث: الصدق

لأريب في أنّ الصدق من الأساسيات المهمة للبناء الأخلاقي للمجتمع بشكل عامّ والأمة الإسلامية بشكل خاصّ؛ إذ يكون هنالك ترابط بين باطن الإنسان وظاهره في تناسق وانسجام، فالصدق باب لكلّ الفضائل الأخلاقية، وهو مدخل للتربية الإنسانية

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، ١/ ٢٣٢.

والإيمانيّة، بل هو مفتاح لتكون التقوى طريقة ومنهجاً للحياة؛ لأنّ الشخص المتّقى يستحيل أن يكون غير صادق؛ لأنّ التقوى أساس الصدق والعكس كذلك.

الصدق في اللغة: نقيض الكذب^(١).

الصدق في الاصطلاح: "هو قول الحقّ في موطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلّا الكذب، والصدق ضدّ الكذب، وهو الإبانة عمّا يخبر به على ما كان"^(٢).

والصدق في المعنى القرآنيّ: "مطابقة القول الضمير المخبر عنه معاً ... ويعبّر عن كلّ فعل فاضل ظاهراً أو باطناً بالصدق"^(٣).

والصدق ملكة أخلاقيّة عقليّة تنبع من أخلاق النفس، "الصدق هو ملكة نفسانيّة سامية وقوّة وإرادة يستطيع بها الإنسان أن يبرهن عن حسن خلقه بلا تكلف منه، وهو الإخبار بما يطابق الواقع"^(٤).

وقد تطرّق الشيخ النراقي (رحمه الله) لهذا المفهوم، ووضّح ما يتركه الصدق من آثار في الوصول إلى كمال التربية الأخلاقيّة، فقال: "ضدّ الكذب الصدق، وهو أشرف الصفات المرضيّة، ورئيس الفضائل النفسيّة، وما ورد في مدحه وعظم فائدته من الآيات والأخبار ممّا لا يمكن إحصاؤه"^(٥)، ويرى الشيخ أنّ الصدق من الصفات الجليّة، وأنّ منزلته تكون في مقدّمة الفضائل الأخلاقيّة؛ لأنّه هو السبب في استقامة الإنسان في سلوكه، ممّا يجعل الإنسان قريباً من الله عزّ وجلّ، وبين الشيخ أنّ الصدق لا يتحدّد باللسان، وإنّما يشمل

(١) ينظر: لسان العرب، أبن منظور: ١٠/١٩٣ - ١٩٤ (صدق).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٣٥.

(٣) المفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٧٨ - ٤٧٩.

(٤) الأخلاق والآداب الإسلامي، السيد عبد الله الهاشمي: ٣٢٠.

(٥) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢ / ٤٢٤.

النِّية الصادقة الحقيقية في الإرادة وتوجّه الإنسان وعمله، وهو من أبرز معالم التقوى الحقّة التي تنبعث من خلال شعور الإنسان بمراقبة الله له وإطلاعه التام على ظاهره وباطنه وسره وعلائيته، وأبرز الشيخ النراقي (رحمه الله) الجانب المثمر للصدق في النفس من ثقة وطمأنينة، بينما يكون الكذب مصدراً للخوف أو القلق والاضطراب، وبذلك يبعد الإنسان عن الطريق السويّ طريق الإيمان بالله تعالى، ثمّ استشهد الشيخ النراقي (رحمه الله) بآيات عدّة عن الصدق، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمًا كَثِيرًا﴾ (١)، إذ جسّدت هذه الآية تقوى الله عزّ وجلّ بالصدق، فالمتّقين هم الصادقون، ولا يمكن أن يكونوا غير ذلك^٢، فمخافة الله تجعل الإنسان صادقاً مع نفسه ومع ربّه ومع الآخرين، وقد ذكر الطبرسيّ تفسيرها قائلاً: "ثمّ خاطب الله سبحانه المؤمنين المصدّقين بالله المقرّين بنبوّة نبيّه (صلّى الله عليه وآله) فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمًا كَثِيرًا﴾ أي: اتّقوا معاصي الله واجتنبوها^٣ الذين يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون، ومعناه: كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله، وصاحبوهم ورافقوهم، كقولك: أنا مع فلان في هذه المسألة، أي: اقتدي به فيها"^(٣)، والطبرسيّ هنا بيّن أنّ التقوى توجب ترك المعاصي والتحرّز في الأعمال التي تغضب الله، وعلى الإنسان أن يكون مع الذين يداومون على الصدق في القول والفعل، ويكون مرافقاً لهم لا لغيرهم، وجاء أيضاً في تفسير هذه الآية: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِي الْقُرْآنِ حِكْمًا كَثِيرًا﴾ في الكافي: "عن الإمام الباقر (عليه السلام) إيانا عنى، وعن الرضا (عليه السلام): الصادقون: هم الأئمة (عليهم السلام)، والصدّيقون بطاعتهم"^(٤)، فإنّ الآية هنا قصّدت الأئمة (عليهم السلام)، وخصّتهم بالصدق، وأنّ الواجب هو طاعتهم، بعد

(١) سورة التوبة: ١١٩.

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢ / ٤١٩.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م : ٥ / ٨٠٧.

(٤) كتاب الصافي في تفسير القرآن، العارف الحكيم محمد المرتضى المعروف بالمولى محسن الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، دار الكتب الإسلامية، إيران، طهران، ط ١، ١٤١٩هـ: ٣ / ٤٨٠. والحديث في الكافي، الكليني، باب ما فرض الله عزّ وجلّ ورسوله (صلّى الله عليه وآله من الكون مع الأئمة (عليهم السلام): ١ / ٢٠٨، حديث رقم (١).

الإيمان بالله، وطاعته، واجتناب معصيته، وروي أنّه سئل الإمام الصادق (عليه السلام):
 عن هذا القول: (أسأل الله الإيمان والتقوى، وأعوذ بالله من شر عاقبة الأمور... وزينة
 الحديث الصدق، وزينة العلم الإحسان...) قول من هو؟ فقال (عليه السلام): "هذا
 قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)"^(١)، وهنا بيّن الإمام أنّ الذي يزيّن حديث
 الإنسان هو الصدق، وورد في حديث آخر عن الإمام الباقر (عليه السلام) لجابر
 الأنصاري: "أيكفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت؟ فو الله ما شيعتنا إلّا
 من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشع والأمانة، وكثرة
 ذكر الله، والصوم والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة
 والغارمين والأيتام، وصدق الحديث..."^(٢).

وبهذه الأحاديث يبرز الصدق من الصفات التي تكون في المؤمنين المتشيّعين
 لأهل البيت (عليهم السلام) خاصّة؛ لأنّ كلّ صفة من الصفات الحميدة المذكورة للشيعة
 تكون مكملّة للصفة التي قبلها، وأهمّ هذه الصفات هي الصدق، ولأنّ من اتقى الله حتماً
 سيؤدّي الصدق، ويحقّق كلّ الأمور التي ترضي الله سبحانه، والتي تقربه منه جلّ شأنه،
 وتحقّق رضاه، فإنّ المعيار الأساسي للإنسان هو الإيمان والتقوى، ولذا فإنّ إقامة
 العلاقات مع الأشخاص الذين يفقدون هذه المقوّمات أمر لا يقدم عليه الإنسان الملتزم
 يحذر من الوقوع في شركه، ولا بدّ من الرجوع إلى المعيار الإيمانيّ في إقامة العلاقات
 وفق منهج الإسلام"^(٣)، وهذا هو مجمل الصفات التي يتّصف بها المتّقون التي من

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: باب النوادر، من ألفاظ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
 ٢٩٥-٢٩٦-٢٩٧، حديث رقم (٥٨٦٨).

(٢) محاسن الأخلاق ومساوئها من أصول الكافي، الكليني: باب ٩- الطاعة والتقوى ٢٧، حديث
 رقم (٢).

(٣) مئة موضوع أخلاقي في القرآن والحديث، ناصر مكارم الشيرازي مع مشاركة العلماء والقضاء،
 دار الكتب الإسلامية، إيران، ط ٣، ١٣٨٩ هـ: ١٥١. نقلاً عن المفاهيم القرآنية في أحاديث الأمام
 الحسين (عليه السلام)، في ضوء التربية الإسلامية، أحمد عباس عبد موسى، كلية التربية، جامعة
 واسط، ٢٠٢٢ م (رسالة ماجستير): ١٢١.

ضمنها بل وأساسها هو الصدق والتحلّي به، ووجوب اتّباع الصادقين، والصادقون حقّاً هم العلماء، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام): "يعني العلماء من صدّق فعله قوله ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم"^(١).

وفي واقعنا المعاصر، تظهر هناك حاجة ضروريّة وملحّة إلى تعزيز وتثبيت هذه القيم الأخلاقيّة والتربويّة التي منها فضيلة الصدق الذي يعكس تقوى الله تعالى، في زمن سادت به المصالح الشخصية والمظاهر الخدّاعة، كما أنّ من أهمّ معالم الإيمان في المجتمع هو صدق الإنسان في القول والعمل، إذ يعدّ الصدق التطبيق العملي الحقيقي للإيمان من خلال سلوكيّات الفرد في أرض الواقع، وبذلك يصلح المجتمع، ولذلك كان الصدق حسناً، "لأنّ فيه الخير العامّ، ولو كان فيه مفسدة لكان قبيحاً، فالصدق بما هو صدق ليس حسناً، ولكنّه حسن لخدمة الآخرين، فملاك حسنه الأصليّ هو هذه الخدمة العامّة، فلو ترتب عليه ضرر الآخرين كان قبيحاً، وهذا يعني أنّ الأخلاق اجتماعيّة الطابع، وهو ما يقال هذه الأيام"^(٢)، ويتضح مما تقدم من خلال المعطيات الكثيرة في التاريخ الإسلامي أنّ الصدق بما هو صدق فهو حسن، لأنّه صفة حميدة، سواء كان فيه خدمة الآخرين أم لم يكن، على سبيل المثال في موضوع الأشهاد على الزنا، فهنا يُعدّ الشاهد صادقاً في كلامه، فلا يكون قبيح الفعل لأنّه شهد بصدق على الرغم من وجود الضرر على مقترف الزنا، لكنه عمل خير ويثاب عليه بالنسبة للشاهد، لأنّه من عدالة المؤمن. ويمكن تفعيل هذا المفهوم، وذلك عن طريق إقامة البرامج التعليميّة والتربويّة، والتوعويّة، الهادفة، واتّخاذها منهجاً إصلاحياً مستداماً؛ لأنّها تكون المحور الأساس للإنسان في تغيير سلوكه وتطوير ذاته وتنمية مهاراته، وتحفيزه على تحقيق أهدافه وإثبات

(١) أصول الكافي، الكليني: كتاب فضل العلم، باب صفة العلماء ٢٠/١، حديث رقم (٢). ونقل في الحقائق في محاسن الأخلاق قرة العيون ٣٠٠.

(٢) ثبات الأخلاق، مرتضى مطهري، ترجمة لجنة الهدى، دار المحجة البيضاء، بيروت. لبنان، ط١، ١٤٤١هـ. ١٩٩٣م: ٦٥.

قيمتها الإنسانية الربانية التي خُلِقَ من أجلها في الوجود، وبذلك يعيد تماسك المجتمع وينقذه من التشتت والضياع ويرسيه على طريق الهداية والاستقامة الذي يشعر الإنسان بالراحة والثقة والسعادة في الدارين.

المطلب الرابع: العُجْب

يُعدّ مفهوم العُجْب من صفات الأخلاق المذمومة التي تنعكس على العلاقات الاجتماعية للفرد، إذ يكون قد أحسن في أي عمل صالح يقوم به، فيفرط في الرضا عن نفسه وعمله، وقد أورد الشيخ هذا المفهوم في كتابه ووصفه للعجب من الأمراض النفسية والقلبية، التي تذهب بالعمل وتفسده، فيكون من الضروري معالجته.

العُجْب في اللغة: "العُجْب: الزُّهُو، وَرَجُلٌ مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا، وَقِيلَ: الْمُعْجَبُ: الْإِنْسَانُ الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ أَوْ بِالشَّيْءِ ... وَقِيلَ: الْعُجْبُ فَضْلَةٌ مِنَ الْحُمُقِ صَرَفَتْهَا إِلَى الْعُجْبِ"^(١).

العُجْب في الاصطلاح: "العَجَب، بفتحتيْن: روعة تعتري الإنسان عند استعظام الشيء"^(٢).

والعُجْب في المعنى القرآني: "العَجَبُ والتَّعَجُّبُ: حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء، ولهذا قال بعض الحكماء: العَجَبُ مالا تُعرَف أسبابه"^(٣).

والعُجْب هو تكبير وتعظيم النعمة والحسنة، والركون إليها ونسيان جعلها من النعم، فإن أصبح خائفاً من زوالها، أو يكون فرحاناً بها، إذ هي من الله وبدون إضافتها لنفسه فلا

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٥٨١/١ - ٥٨٢ (العجب) .

(٢) الكليات، الكفوي: ٦٥٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤١٨.

وقد ذكر النراقي (رحمه الله) شاهداً عن العُجب قوله تعالى: □ □ □ □ □ □ □ □ □ □^(١)، وقد فسّر الآية الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فقال: "هل هو كما يرى الحقائق كما هي من حيث الحسن والقبح؟! في الحقيقة أنّ هذه القضية هي المفتاح لكلّ مصائب الأقوام الضالّة والمعاندة، الذين يرون أعمالهم القبيحة أعمالاً جميلة، وذلك لانسجامها مع شهواتهم وقلوبهم المعتمدة، بديهي أنّ شخصاً كهذا، لا يتقبّل نصيحة، وليس لديه الاستعداد لسماع النقد، وليس بحاضر أبداً لتغيير مسيره، كما أنّه لا يناقش أعماله ولا يفكر بعواقبها الوخيمة"^(٢)، وبين الرازي تفسيرها بأنّه ليس من عمل سيئاً كالذي عمل صالحاً؛ فإنّه تعالى لمّا بين حال السيء الكافر والمحسن المؤمن، وما من أحد يعترف بأنّه يعمل سيئاً إلا قليلاً، فكان الكافر يقول: الذي له العذاب الشديد هو الذي يتبع الشيطان؛ وهو محمّد وقومه الذين استهوتهم الجنّ فاتبعوها، والذي له الأجر العظيم نحن الذين دمنا على ما كان عليه آبائنا، فقال الله تعالى: لستم أنتم كذلك، فإنّ المحسن غير المسيء، ومن زين له العمل السيئ الذي يعلم سوء عمله يرجع ويتوب والذي لا يعلم يصرّ على الذنوب، والعالم المسيء له صفة ذمّ بالإساءة، وصفة مدح بالعلم والمسيء الذي يرى الإساءة إحساناً له صفة ذمّ بالإساءة والجهل، ثمّ بين أنّ الكلّ بمشيئة الله^(٣).

وكما يتّضح مما تقدم إنّ الآية تشير إلى أنّ حال الشخص الذي ليس عليه الحقّ والباطل، واختلطت عليه الأمور، فنظر إلى عمله الذي هو مفسد وظنّ أنّه حسناً، وذلك بسبب تزيين الشيطان عمله، فذهب عنه التوازن بين الأمر^(٤)، وهذا تصوّر القرآنيّ قد تمثّل بحالة العُجب؛ إذ يرى نفسه على الحقّ دائماً، ولا يتقبّل مراجعة نفسه، ولا يقبل

(١) سورة فاطر: ٨.

(٢) تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، ناصر مكرم الشيرازي، مؤسسة الاعلمي، بيروت - لبنان، ط١ ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣ م: ٢١/٢٠.

(٣) ينظر: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٦/٢٢٤.

(٤) ينظر: تفسير الأمل في كتاب الله المنزل، ناصر مكرم الشيرازي: ٢١/٢٠.

النصح، كما تدلّ الآية على أنّ العجب من أخطر الانحرافات التي تكون مرتبطة بالقناعة الذاتية، والرضا النفسيّ الزائف، فصاحبه من كثر تعظيمه لنفسه؛ لا يشعر بأنّه بحاجة إلى أن يصلح نفسه أو يعدّل سلوكه^(١).

وفي الواقع المعاصر يكون العجب متجلّياً في صور كثيرة متنوّعة، كالاغترار بالنجاح، وكتعظيم الإنجازات الشخصية مهما كانت صغيرة أو كبيرة صحيحة، أو خاطئة، فيسعى المعجب إلى المدح والثناء والتقدير الدائم، فيؤدّي به إلى ضياع العلاقات الإنسانية وضعفها، وتحجّر النمو الروحي، فيفقد القدرة على مراقبة ذاته، أو نقدها؛ فإنّ إدراك خطر العجب ينمّي في المتلقّي إحساس التواضع وروحه، فيقوّي خاصيّة محاسبة النفس، ويساعد في بناء سلوك إنسانيّ صحيح بعيد عن الأنانيّة وتعظيم الذات، فيصبح عنده وعي ذاتيّ متوازن، وإنّ النجاح الحقيقيّ هو من نتائج التوفيق الربّانيّ، مع سعي الإنسان إلى العمل والاجتهاد، وليس النجاح توفيقاً ذاتياً بالإطلاق.

المطلب الخامس: التوكّل

لاريب في أنّ التوكّل من المفاهيم القرآنيّة الأساسيّة في تكوين وبناء شخصية الإنسان المؤمن، لأنّه من دواعي اليقين بالله تعالى، والسعي الجادّ المثمر، مع الأخذ بالأسباب، وهو الذي يجعل الفرد مطمئناً وقوياً، ومهما اتّسعت صعوبات الحياة وكثرة المحن؛ فلا تزيد المتوكّل إلاّ إيماناً وتعلّقاً بالله تعالى.

التوكّل في اللغة: التفويض^(١).

(١) ينظر: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٦ / ٢٢٤.

التوكل في الاصطلاح: "هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس" (٢).

والتوكل في المعنى القرآني: أن تعتمد على غيرك وتجعله نائباً عنك، والتوكل على الله هو الاكتفاء به أن يتولى الأمر (٣).

وقيل في وصف التوكل على الله: "ومن فوض الأمر إلى سيده ورضي باختياره، وسكن مع حكمه، هبت رياح النصر عليه، وألبسه سيده لباس الوفاء، ومدّه بكفاية الأصفياء، ونجا من كدورة اختياره، وقطع مفاوز الصبر بنور اليقين، واتكى في بستان الرضا على سرر الدين، وأبصر بقلبه ما حجب عن العالمين، وسلم نفسه وملكه إلى مالك السموات والأرضين" (٤).

ومما تقدم ذكره من تعريفات للتوكل يمكن أن نقول: إنّ التوكل هو من الصفات الأخلاقية الفاضلة، وهو تفويض الأمور إلى الله، والاعتماد القلبي الكلي الصادق عليه سبحانه؛ لجلب المصالح والمنافع، ولدفع الضرر والسوء، إذ يكون باليقين القلبي وبالثقة التامة بأن الله على كل شيء قدير ولا مستحيل مع الله.

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) فضيلة التوكل؛ فقال: "التوكل منزل من منازل السالكون ومقام من مقامات الموحدين، بل هو أفضل درجات الموقنين" (٥)، وقد أورد ذكر آيات من القرآن الكريم في التوكل، منها قوله تعالى: ﴿أُوْٓلَٓئِكَ يَتُوبُ اِلَيْهِ الْجُنُودُ وَالْمَلَائِكَةُ وَمِمَّنْ يُتُوبُ اِلَيْهِ النَّاسُ﴾ (٦)، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اَتَا الْخُلَٓاءَ لَمَّا يَلِيْهِ سُرَّتُّوْا عَلَیْهِ لَمَّا عَلِمَ اِلَّا اِلٰهًا وَاحِدًا ۚ سُبْحٰنَ عَنِ الْمُلْكِ الْمُنْتَبِهَةِ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿

(١) ينظر: كتاب العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي: ٤٠٥/٥ (وكل).

(٢) التعريفات، الراغب الأصفهاني: ٧٤ .

(٣) ينظر: مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٨٩ - ٦٩٠ .

(٤) في الاخلاق والعرفان، احد اعلام الشيعة الامامية في القرن الخامس او السادس الهجري، تحقيق رضا الاستادي، مجمع البحوث الاسلامية، قم، ايران، ط ٢، ١٤٢٩ هـ، ٢٩٣.

(٥) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣ / ٥٩٨.

(٦) سورة المائدة: ٢٣.

□ □ برّ (2)، وقوله تعالى: □ □ □ □ □ حججاً (3)، ثم قال: "أي عزيز لا يذلّ من

استجار به، فلا يضع من لاذَّ بجانبه، وحكيم لا يقصِّر عن تدبير من توكل على تدبيره" (4).

ويُتَّضح من كلام الشيخ النراقي (رحمه الله) المتقدّم وما أورده من أحاديث نبويّة معه أنّ التوكّل حالة من اليقين القلبيّ، وهو مقام رفيع للمؤمنين، ثابت يعكس مقدار ثقة العابدين المتقيّين وأرفع درجات المخلصين لله عزّ وجلّ، ويبدو أنّ مفهوم هذا المقام يتركز على أمرين متتاليين: يقين القلب بالاعتماد التامّ على ربّ العباد، والسعي للأخذ بالأسباب بعد التوكّل على الله تعالى، وهذين الأمرين يتحقّقان بالتوكّل الذي أكّده القرآن الكريم، "فلو لم يكن في هذا المجال إلّا قوله تعالى: أَأَتَيْنَاكَ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْمَجَالِ إِلَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: أَلَمْ نَقُلْ لِلْمَلَأَةِ انصُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَيُغْلِبَنَّ اللَّهُ وَالرَّسُولَ ذِي الْقُوَّةِ الْعَظِيمَةِ" (٥)، لكفى أهل الإيمان أن يقولوا (بلى، الله كافٍ) ويريحوا، ويكون همهم مقصور حضرته (جلّ جلاله)، ويشغلهم الحزن الدائم المستولي على قلوبهم من هذه الجهة، فإنّ العبد مادام في الدنيا، فأى درجة من مقامات المعرفة، والقرب حصلت له، يمكن تصوّر ما هو فوقها" (٦).

وقد بين الشيخ النراقي (رحمه الله) أنَّ للتوكل مكانة ومنزلة كبيرة، وهذه المنزلة لا يحصل عليها إلا من كان صادقاً إيمانه وراسخاً توحيده، وذلك لأنَّ التوكل متلازم تلازماً وثيقاً مع معرفة أنَّ الله وحده هو المتصرف بشؤون العباد وهو وحده مدبر أمورهم جميعها، وذكر الآيات التي ورد فيها التوكل، نأخذ منها آية لنرى ما ورد في تفسيرها من قبل المفسرين، ففي قوله تعالى: **لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَيَرُدُّهُنَّ إِلَىٰ صَفْوٰةٍ مُّوَدَّةٍ رَبِّهِ** (٧)، قال ابن كثير: "توكلتم على الله

(۱) سورة آل عمران: ۱۲۲.

(۲) سورة آل عمران: ۱۵۹.

(٣) سورة الطلاق: ٣.

(٤) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ٣ / ٥٩٨.

(٥) سورة الزمر: ٣٦.

(٦) لقاء الله تعالى، الميرزا جواد المالکی التبریزی، تحقیق وترجمة محسن بیدارفر، شریعت، قم، ط ١،

.۲۹۸:۵۱۴۳.

(٧) سورة المائدة: ٢٣.

وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرَهُ، وَوَافَقْتُمْ رَسُولَهُ، نَصْرَكُمْ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِكُمْ وَأَيَّدَكُمْ وَظَفَرَكُمْ بِهِمْ" (١)، وَهَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ وَتَأْيِيدَ اللَّهِ مُتَوَقَّفٌ عَلَى عَمَلِ الْمُؤْمِنِينَ الْخَالِصِ لَوَجْهِهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ وَتَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَيْهِ، وَقَالَ الْكَاشَانِيُّ (ت ٩٩٨ هـ): "أَيُّ: مُؤْمِنِينَ بِهِ، وَمُصَدِّقِينَ بَوَعْدِهِ" (٢)، أَيُّ: أَنْ لَا يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ مُصَدِّقًا لَوَعْدِهِ، وَمُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ.

وَبِهَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ التَّوَكُّلَ الْحَقِيقِيَّ الَّذِي أَكَّدَ عَلَيْهِ الْمَفْسَّرُونَ يَعْنِي أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَبْأَسُ وَلَا يَنْفَدُ صَبْرُهُ وَلَا يَجْزَعُ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ وَصَعُوبَاتِ الْحَيَاةِ، وَلَا يَلْتَجِي إِلَى النَّاسِ أَوْ يَتَّخِذُهُمُ الْوَسِيلَةَ الْوَحِيدَةَ لِحَلِّ مُشْكَلَاتِهِ وَهَمُومِهِ، فَلَا يَجْعَلُهُمْ أَمْلَهُ وَنَجْوَاهُ وَيَنْقَطِعُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَنَالُ مَنْزِلَةَ الْمُتَوَكِّلِينَ الْعَظُمَى إِلَّا الْمُتَيَقِّنِينَ بِاللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقَّ إِيْمَانِهِ وَأَخْلَصُوا لَهُ النِّيَّاتِ، وَالْمَدْرِكِينَ أَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَكُونُ نَافِعًا وَلَا ضَارًّا لِنَفْسِهِ وَلَا لِلْآخَرِينَ، فَلَا يَجِبُ الْاعْتِمَادُ عَلَى الْمَخْلُوقِ مِنْ دُونِ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذِي بِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَلَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدٍ، فَإِنَّ الْعِلْمَ بِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يُعْطِي وَلَا يَمْنَعُ هُوَ الْيَأْسُ مِنَ الْخَلْقِ، وَأَنْ لَا تَرَى رِزْقَكَ إِلَّا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَأَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا، وَالْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَقْوَى النَّاسِ؛ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ صَاحِبَهُ الْغِنَى وَالْعِزَّ (٣).

وَفِي وَاقِعِنَا الْمَعَاصِرِ وَمَعَ كَثْرَةِ اللُّجُوءِ إِلَى التَّخْطِيطِ لِلْحَيَاةِ الْمُسْتَقْبَلِيَّةِ يَظْهَرُ الْخَوْفُ الْمَتَزَايِدُ وَالْمُسْتَمَرُّ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ وَمَا قَدْ يَحْدُثُ فِيهِ؛ فَيُؤَكِّدُ الشَّيْخُ النَّزَارِيُّ (رَحِمَهُ اللَّهُ) أَنَّ التَّوَكُّلَ هُنَا يَحْوُلُ هَذَا الْاضْطِرَابُ النَّفْسِيَّ إِلَى تَوَازُنٍ فِي النَّفْسِ وَتَوَازُنٍ فِي الْحَيَاةِ؛ أَيُّ إِنَّهُ يَعْمَلُ وَيَخْطِطُ لَكِنَّ قَلْبَهُ يَكُونُ مَعَ اللَّهِ، لِذَلِكَ كَمَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الْأَخْلَاقِ يَنْبَغِي "الْاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) فِي تَسْيِيرِ الْأُمُورِ مِنْ دُونِ مَنَافَاةِ ذَلِكَ لَتَعَاطِي

(١) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَبِي الْفَدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَمْرِ بْنِ كَثِيرٍ الْقُرَشِيُّ الدِّمَشْقِيُّ: ٣ / ٧٧.

(٢) زَيْدَةُ التَّفَاسِيرِ، فَتَحَ اللَّهُ الشَّرِيفُ الْكَاشَانِيُّ: ٢ / ٢٤٣.

(٣) يَنْظُرُ: آثَارُ الْأَعْمَالِ، سَامِي خُضْرَةَ، دَارُ الْهَادِي، بَيْرُوتَ - لُبْنَانَ، ط ٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: ١٢٤.

الأسباب ولا مطلوبيّة عدم التعاطي، بل مع مطلوبيّة تعاطي الأسباب، ومن يدّعي التوكّل مع ترك الأسباب كان كمن يدّعي الرجاء مع ترك التوبة، وفعل المعاصي^(١). وبذلك يصبح التوكّل محرّراً للبشر من عبادة الأسباب، ومع كلّ هذا التقدّم العلميّ قد يصل الغرور في الإنسان بأنّ يظنّ أنّ كلّ الأمور والأشياء بيده، فعندما يفشل يغرق في حزنه ويضعف قلبه، لكنّ التوكّل يجعل الإنسان يتذكّر أنّ التأثير من الله عز وجل، والأخذ بالأسباب منه، وعندها يزول الضغط النفسيّ، والتوكّل سيقوّيه ويزيده حماسة وعطاء ودافعيّة.

المطلب السادس: العفو

العفو من الأخلاق الرّبّانيّة السامية، فهو يعبر عن جوهر الإنسان وصفاء نفسه وتنزّهها عن بواعث الانتقام، وهو من صفات الأنبياء والصالحين، وهو ليس مجرد ترك المعاقبة؛ بل إنّهُ أيضاً حسن التعامل مع الأشخاص المسيئين بنقاء قلب، ويعدّ العفو من الفضائل والمكارم التي دعا إليها الله تعالى في كتابه الكريم بوصفه كتاب تهذيب للنفس الإنسانيّة وهداية إلى طريق إصلاح المجتمع وانتشار روح المحبة بين البشر. والعفو في اللغة: يدلّ على ترك الشيء، وعفو الله تعالى عن خلقه: تركه إيّاهم فلا يعاقبهم فضلاً منه^(٢).

العفو في الاصطلاح: "العفو عن الذنب يصحّ رجوعه إلى ترك ما يستحقّ المذنب من العقوبة، وإلى محو الذنب، وإلى الإعراض عن المؤاخذه كما يعرض عمّا يسهل على النفس بذله، والعفو: إسقاط العقاب"^(٣).

(١) تركية النفس، كاظم الحسيني الحائري، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر، شريعت . قم إيران، ط ١، ١٤٢١هـ: ٤١٤.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥٦/٤ (عفو).

(٣) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، التهانوي: ٦٣٢.

والعفو في المعنى القرآنيّ: "هو التجافي عن الذنب" (١).

وفي القانون الإلهي، فإنّ من أسباب العفو المهمّة التي يمتلكها الإنسان هي القدرة، وخير مثال على ذلك الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) عندما منحه الله تعالى التمكين والقدرة على أعدائه عند فتح مكّة؛ فعفا عنهم، وأطلق كلمته المشهورة "اذهبوا فأنتم الطلقاء" (٢).

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) فضيلة العفو قائلاً: "ضد الانتقام (العفو)، وهو إسقاط ما يستحقه من قصاص أو غرامة ففرقه من الحلم وكظم الغيظ ظاهر، والآيات والأخبار في مدحه وحسنه أكثر من أن تحصى"^(٣). وبهذا يتضح أنّ العفو يبقى من أبواب الرحمة الإلهية، وأنّ المؤمن الذي يتّصف به ويترك المعاقبة والانتقام مع الاستطاعة والقدرة عليه؛ فإنّ الله يدخله من باب رحمته وفضله الربّانيّ سواء في الدنيا أم في الآخرة.

وهناك كثير من الآيات القرآنيّة التي تمدح العفو، وقد ذكر الزرقانيّ (رحمه الله) منها قوله تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُوا إِلَى الْحَقِّ وَالْأَمْرِ الْبَارِئِ (٤)، وقد ذكر تفسير الآية ابن كثير إذ قال: "أي: عَمَّا تَقَدَّمَ مِنْهُمْ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَالْأَذَى، وهذا من جِلْمِهِ تَعَالَى وَكَرَمِهِ وَلَطْفِهِ بِخَلْقِهِ مَعَ ظُلُمِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ" (٥)، وكذلك ذكر تفسيرها الكاشانيّ (ت ٩٩٨ هـ) فقال: "(وليُعَفَّوا) ما فرط منهم (وليُصَفَّحُوا) بِالْإِعْمَاضِ عَنْهُ" (٦)، وقد ذكر الكليني "عن أبي عبد الله (عليه

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٤١/١.

(٢) ينظر: من وحي الأخلاق، حسين عبد الرضا الأسدي، تقدم معهد تراث الأنبياء (عليه السلام) لدراسات الحوزوية الإلكترونية، العتبة العباسية المقدسة، ط ١، ١٤٤٠هـ: ١٤١/٢.

(٣) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/١٩٩.

(٤) سورة النور: ٢٢.

(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٣١/٦.

(٦) زبدة التفاسير، فتح الله بن الشريف الكاشاني: ٤٨٩/٤.

(السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبته: (ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا وآخره؛ العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك)^(١)، وقد كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأسوة الحسنة في مكارم الأخلاق وفضائلها، وهذه الصفة التي هي من صفات الله تعالى؛ إذ قال تعالى: ﴿وَقَدْ تَحَلَّى بِهَا رَسُولُ الْأَعْظَمِ، وَرَوَى عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الرِّوَايَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي تَحْتَ عَلَى هَذِهِ الْخَصْلَةِ الْجَلِيلَةِ لَهَا مِنْ أَهَمِّيَّةٍ كَبِيرَةٍ وَأَبْعَادِ تَرْبُوءٍ وَنَفْسِيَّةٍ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ فِي كُلِّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا قَبْلَ الْمَخْلُوقِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَمَّ يَ ذُرِّيَّ﴾^(٢)، وقد روي عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: "إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، أتى باليهودية التي سمّت الشاة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال لها: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ كَانَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْهُ، قَالَ: فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، عَنْهَا"^(٣).

وأكد النراقي (رحمه الله) بعد ما ذكر الآيات الوارد بها خصلة العفو أنّ من خلال هذه الصفة الحميدة ترتفع مكانة العبد عند خالقه تعالى؛ لأنّ الله يحب الذين يعفون عن الناس، ويمنّ عليهم بالفضل والعطاء ما لا يحسب، وكذلك بين أنّ العفو لا يضعف الإنسان، وإنّما هو صفة الأقوياء ومن فضائلهم، فمن عفا فقد ملك غضبه وغلب نفسه وقهرها، فبذلك يكون أقوى وأعظم ممّن يتمكّن من الأجساد وقهرها بالسلاح. وذكر النراقي (رحمه الله) روايات وأحاديث تدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى يتعامل مع الإنسان

(١) الكافي (أصول)، أبو جعفر بن يعقوب بن أسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق قسم إحياء التراث، مركز بحوث دار الحديث، إيران . قم، ط ٣، ١٤٣٤ هـ ، كتاب الإيمان والكفر، باب العفو، ٢٧٧/٣، حديث رقم (١/١٧٨٨). ونقل في محاسن الأخلاق ومساوئها من أصول الكافي: ٥٧.

(٢) سورة الحج: ٦٠.

(٣) سورة النساء: ١٤٩.

(٤) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب العفو، ٢٨١/٣، حديث رقم (٨/١٧٩٥).

بمثل ما يتعامل به الإنسان مع الناس، فإذا عفا الإنسان فإنّ الله يعفو عنه، وإن تجاوز عن الناس فإن الله يعاقبه، ومن أحسن للناس فإنّ الله يحسن إليه، وعن طريق العفو يحصل الإنسان على محبة الله تعالى ومحبة البشر، فيخلق السلام النفسي الداخلي وينظف القلب من الأحقاد^(١). ومن خلال ما تقدم فقد أكد النراقي أنّه يجب أن يكون العفو من طيب نفس لا مجرد كفّ الأذى وترك العقاب دون إزالة الضغينة، وبذلك فإنّ العفو عند النراقي (رحمه الله) لا يكون مجرد سلوك من الفرد في مجتمعه إنّما هو تربية أخلاقيّة للنفس والروح، فيجلي القلب من عوالق الحقد ويقرّبه للخالق (جلّ جلاله)^(٢).

ومن خلال ما تقدم نستنبط أن العفو في حقيقته الجوهرية طاقة إيجابية تبني في النفس استقرارها، وتصلح ما بينها وبين الناس من العلاقات، والعفو يجعل الإنسان يشعر بسكينة وسلام لا توجدان مع الانتقام، وفي هذا الواقع الإنساني الذي نعيشه اليوم الممتلئ بالتوتر والتحمّس وسرعة الهيجان والعصبية بسبب الضغوطات اليومية، يظهر العفو كقيمة مهمّة وضرورية للتعايش بالسلام النفسي والمجتمعي.

إذن يتضح من المفهوم أن في الواقع المعاصر يعدّ العفو المعزّز للصحة النفسية، ويقلّل القلق والتوتر، ويكون عاملاً مساهماً في إيجاد الحلول للأزمات والنزاعات الأسرية وفي التعامل مع المجتمع، فيمكّن رئيس العمل أو القائد من جمع القلوب وتوحيدها، وإدارة المشكلات والخلافات بروح من التعاون والتسامح مع الحكمة في الإدارة^(٣)، أمّا في وسائل التواصل الاجتماعيّ فالعفو يمكن أن يكون الأساس الذي تبنى عليه الثقة المتبادلة ممّا يؤدّي إلى تخفيف العنف البدنيّ واللفظي، فيصبح العفو مهارة تمنح الإنسان القدرات على

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/١٩٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١/٢٠٠.

(٣) ينظر: جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/٢٠١.

التحكّم بحياته، وليس مجرد صفة أو خصلة دينيّة، فالعفو يحرّره من همّ الأحقاد وثقلها، فيمنحه فرصة للتماسك والاستقرار الاجتماعيّ.

المطلب السابع: الشكر

إنّ مفهوم الشكر بوصفه من المقامات الإيمانيّة الرفيعة التي ترتفع بها مكانة الإنسان عند خالقه من خلال الإقرار له بالنعم الظاهرة والباطنة، والاستنكار بعجز البشر عن حصر النعم أو إحصائها، وذلك لا يكون بمجرد اللفظ فقط، بل يجب استعمال النعم في المجال الذي خلقت له.

الشكر في اللغة: "عرفان الإحسان ونَشْرُهُ، وَحَمْدُ مُوْلِيهِ"^(١).

الشكر في الاصطلاح: "كلّ ما هو جزاء للنعمة عُرفاً"^(٢).

والشكر في المعنى القرآنيّ: "تصوّر النعمة وإظهارها"^(٣).

ويمكن أن نقول: إنّ الشكر تصوّر قلبيّ يجعل الإنسان يدرك ويعترف بالإحسان والنعمة من قبل الله (عزّ وجلّ)، ثمّ عمل الإحسان جزاء لمن، وحمد الله حمداً يليق بجلال وجهه، وهو حالة روحيّة تنبعث من كثرة التأمل بما أنعم الله علينا، وتوجيه هذه الحالة واستعمالها بشكل صحيح كما يريد الله (عزّ وجلّ)، فقد ورد عن أبي عبد الله (عليه السلام): "قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر

(١) تهذيب اللغة، محمد أحمد الأزهرى: ١٠ / ١٢ (شكر) .

(٢) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي : ٥٢٣ .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني : ٣٥٠ .

الصائم المحتسب، والمعافي الشاكر له من الأجر كأجر المبتلى الصابر، والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع"^(١).

وإنّ "من خصائص النفوس الكريمة تقدير النعم والألطف، وشكر مسديها، وكلّما تعاظمت النعم، كانت أحقّ بالتقدير، وأجدر بالشكر الجزيل، حتّى تتسامى إلى النعم الإلهيّة التي يقصر الإنسان عن تقسيمها وشكرها، فكلّ نظرة يسرحها الطرف، أو كلمة ينطق بها الفم، أو عضو تحرّكه الإرادة، أو نفس يردّده المرء، كلّها منح ربّانيّة عظيمة، لا يثمنها إلاّ العاطلين منها، والشكر بعد هذا من موجبات الزلفى والرضا من المولى عزّ وجلّ، ومضاعف نعمه وآلائه على الشكور"^(٢).

وقد قال الشيخ النراقي في الشكر: "لما كانت حقيقة الشكر عبارة عن عرفان كلّ النعم من الله مع صرفها في جهة محبّة الله، فالشكر على كلّ نعمة أن تعرف كونها من الله وتصرفها في جهة محبّته، ولاريب في أنّ هذه المعرفة والصرف أيضاً نعمة من الله، إذ جميع ما نتعاطاه باختيارنا نعمة من الله، لأنّ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا ودواعينا وإفاضة المعارف علينا وسائر الأمور التي هي أسباب حركاتنا بل نفس حركاتنا؛ من الله، وعلى هذا؛ فالشكر على كلّ نعمة نعمة أخرى من الله تحتاج إلى شكر"^(٣). ومن خلال كلامه يشير الشيخ النراقي (رحمه الله) إلى أنّ الشكر لا يكون فعلاً مفصلاً عن النعمة، بل يكون جزءاً لا يتجزأ منها؛ فإذا قام الإنسان بشكر الله على نعمه زاده سبحانه (المعرفة)، وعندما يزيده المعرفة (يزداد شكراً)؛ فينتج من الشكر شكراً آخر جديد، وكما ردت النعمة نعمة ثانية. وقد ذكر الشيخ آيات كثيرة في فضل الشكر، منها قوله تعالى: **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**

(١) الكافي، الكليني، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ٢٤٢/٣، حديث رقم (١/١٧١٥).

(٢) أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، محمد مهدي الصدر (ت ١٣٥٨هـ)، مؤسسة دار الكتاب الإسلامية، قم، إيران، ط ٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠١م، ١١١.

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٦٠٨/٣.

□ □^(١)، وذكر في تفسير معنى هذه الآية: أن "مما يجب الشكر عليه وهو النعمة"^(٢)،
ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال "ما أنعم الله على عبدٍ من نعمةٍ، فعرفها
بقلبه، وحمد الله ظاهراً بلسانه فتمّ كلامه، حتّى يؤمر له بالزيادة"^(٣)، وذكر القمي رواية
ثانية للحديث مع اختلاف في بعض ألفاظه في بيان معنى الآية: "قال أبو عبد الله (عليه
السلام)، أيما عبد أنعم الله عليه بنعمة فعرفها بقلبه وحمد الله عليها بلسانه لم تنفد
حتّى يأمر الله له بالزيادة، وهو قوله: "﴿هُدًى﴾"^(٤)، وذكر معنى الآية القرطبي فقال: "هو من
قول موسى لقومه، وقيل: هو من قول الله، أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك كذا، أي: لأن
وحدتم وأطعتم لأزيدنكم ممّا يجب الشكر عليه، وهي نعمة"^(٥)، أي: إن شكرتم نعمي
بالإيمان والطاعة (لأزيدنكم) نعماً^(٦).

ومما تقدّم يتّضح أنّه يجب على الإنسان التأمل بكلّ نعم الله في نفسه، وفي بدنه،
وفي المحيط من حوله؛ فهي في حقيقتها لا تحصى، وأبسط هذه النعم أن الإنسان لو لم
يتنفس الإنسان ويدخل الهواء له في الرئتين، لتوقف قلبه وهلك، فيجب عليه شكر الله حتّى
يحصل على الزيادة كما وعده الله تعالى بأنّ زيادة الخير والمنفعة مشروطة بالشكر، وإنّ
من الأسباب المانعة الصارفة للبشر عن الشكر تكون بسبب جهلهم وعدم إدراكهم بأنّ
جميع ما يتنعم به الإنسان هو من الله (عزّ وجلّ)، وكذلك بسبب قصورهم عن معرفته
بأنواع هذه النعم وأصنافها، وأيضاً بسبب جهلهم بحقيقة الشكر وجوهره، وأنّه يجب

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) الوسيط: علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود
واخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٣ / ٢٤.

(٣) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، ٣ / ٢٤٥-٢٤٦، حديث رقم (٩/١٧٢٣).

(٤) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ٣٦٨/١.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ١٠٨/١٢.

(٦) ينظر: الوجيز في تفسير القرآن العزيز، أبي جامع العاملي: ١٤٦/٢.

استعماله بحكمة، وكذلك ظنّهم أنّ الشكر يكون فقط بمجرد لفظ اللسان والنطق به، أو بسبب غفلتهم الباعثة من الشهوة المفرطة الغالبة واستحواذ الشيطان عليهم؛ إذ يجعلهم لا يتنبهون لهذه الغفلة لتأدية الشكر^(١)، و"الحمد) و(الشكر) واحد، وقيل: فيهما فرق، فالحمد عام، والشكر خاص، والحمد ظاهر، والشكر باطن، والحمد يكون في الدارين، والشكر لا يكون إلّا في الدنيا"^(٢).

أمّا طريقة تحصيل فضيلة الشكر فتكون في أمور عدّة، منها:

أولاً: التأمل والتفكير في صنع الله تعالى، ونعمه سواء كانت ظاهرة أو باطنة، وأوّل خطوة في هذا الطريق تثبيت الشكر في النفس، وبذلك تحيي هذه غريزة التفكير والنظر فيما حولنا من النعم؛ فننظر على عظيم صنع الله وما أنعم به علينا من نعمة الصحة والرزق والأمان وغيرها كثير، ثمّ ننظر إلى الذي أعلى منّا علماً ومنزلة في الدين؛ فنحرص على أن نصل إلى ما وصل إليه ونجتهد في سبيل ذلك، وننظر إلى الأقلّ أو الأدنى منّا فنحمد الله ونشكره، وكذلك نشكره على حفظه لنا من المخاطر والمصائب التي تسوؤنا، فكلّ ذلك حقّ علينا شكر الله تعالى عليه حقّ شكره.

ثانياً: النظر إلى المبتلين وأهل المصائب وأحوالهم، فمن أهمّ ما يهدينا إلى الشكر، أن نقارن بين أحوالنا وبين ما يتعرض له الآخرون من محن وشدائد وصعاب؛ فعندما يصبح لدينا إدراك ما نحن به من نعم؛ سيزيد اليقين عندنا بأنّ الله هو المتفضل والمنعم على عباده، وهذا النظر هو وسيلة أخلاقيّة وتربويّة تحيي القلب والضمير الإنساني. ولا بدّ من ربط الشكر بالواقع المعاصر وتنمية الفرد؛ فالشكر ينمي ذات الإنسان، ويدفع الإنسان إلى النظر وملاحظة ما لديه وما يمتلك من نعم بدلاً من النظر إلى ما يحتاجه أو ينقصه، ممّا

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٦٢٦/٣.

(٢) لب الألباب، أبو الحسين قطب الدين الرواندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق وتعليق حسين الجعفري الزنجاني، مطبعة شريعة، إيران، ط ١، ١٤٣١هـ: ٨٤.

يرسّخ الراحة النفسيّة لديه، وكذلك تكثير النعم واحترامها سيجعل الإنسان أكثر اندفاعاً وتحفّزاً إلى العطاء والعمل على تطوير ذاته، كذلك الشكر يؤسّس علاقات اجتماعيّة ناجحة ومثمرة، فالإنسان الذي يشكر دائماً، ويكون كثير الامتنان ينعكس عليه ذلك بالإيجابيّة والمقبوليّة بين أقرانه ومجتمعه وأسرته، وبذلك تترسّخ فضيلة الشكر في أخلاقه وتعاملاته فإنّ الخير والنعم إذا استعملت بشكلها الصحيح ستحوّل الإنسان إلى عنصر نافع في المجتمع بإيجابيّته وقيّمته واحترامه.

وبهذا فإنّ كلام النراقي (رحمه الله) لا يقتصر على زمن معيّن، بل إنّّه يتعدّى إلى كل الأزمان، فأصبح طريقاً تربويّاً وأخلاقياً صالحاً لتنمية الإنسانيّة.

الفصل الثاني

المفاهيم القرآنيّة النفسيّة

المبحث الأوّل: المفاهيم النفسيّة التربويّة

المطلب الأوّل: السرور _ المطلب الثاني: الهدى _ المطلب الثالث العفة _

المطلب الرابع: الوسوسة _ المطلب الخامس: اليأس _ المطلب السادس:

الهمة _ المطلب السابع: الكبر.

المبحث الثاني: المفاهيم النفسيّة الأخلاقيّة

المطلب الأوّل: كظم الغيظ _ المطلب الثاني: عزة النفس _ المطلب الثالث: الإيثار

_المطلب الرابع: التألف _ المطلب الخامس: الخوف من الله _ المطلب السادس: الذكر

_المطلب السابع: الرجاء.

الفصل الثاني

المفاهيم القرآنية النفسية

تمثل النفس الإنسانية من الأساسيات التي إهتم بها القرآن الكريم إهتماماً بالغاً، لما تؤدي من أثر كبير في بناء شخصية الإنسان وتوجيه سلوكه، وإنشاء علاقاته مع ذاته وخالقه ومع الآخرين. فقد أبرز القرآن الكريم دوافع النفس وأحوالها وتقلباتها، وبين المنهج القويم لتزكيتها وترفعها نحو الكمال والتوازن في حياته. ومن هذا الجانب أظهر الشيخ النراقي في كتاب جامع السعادات جملة من المفاهيم التي لها ارتباط بالنفس البشرية من قريب أو من بعيد، منبعها القرآن الكريم ، وما يتصل به من توجيهات وقيم وإرشادات تربوية وأخلاقية، تعالج النفس وتهذب سلوكها والتحول من حالات الضعف إلى القوة والفضيلة.

ويتناول الفصل مبشرين، الأول المفاهيم النفسية التربوية، وهي مفاهيم تساهم في تنمية النفس وتطويرها وتوجيهها نحو الصلاح، والسلوك القويم، أما المبحث الثاني المفاهيم النفسية الأخلاقية، فهي مفاهيم تساعد في تقويم النفس وتهذيب سلوكها وتوجيهها نحو الفضائل من الصفات الحميدة. فقد هذا الفصل تناول التكامل النفسي بين البعدين التربوي والأخلاقي في بناء وتطوير الإنسان المؤمن.

المبحث الأول

المفاهيم القرآنية النفسية

يعدّ القرآن الكريم نظاماً كاملاً هدفه الأساس هو تهذيب الإنسان بكلّ نواحي حياته، وأهمها النفسية والسلوكية، وتحريره من الضغوطات (الانفعالات السلبية)، وتيسير طريقه نحو الحياه المستقرة الآمنة الحافلة بالخير والعطاء، ومن هذا المنطلق تأتي أهميّة (المفاهيم القرآنية للتربية النفسية) بوصفها خطوة حيّة منهجيّة تظهر أثر القرآن الكريم في علاج أساس المشاكل النفسية قبل بدايتها، وترسيخ القوة الحقيقية والإيمانية عند الإنسان،

ففي هذا الفصل نهدف إلى توضيح المفاهيم القرآنية الأخلاقية الخاصة بالجوانب النفسية للإنسان واتخاذها قاعدة أصيلة في توازن الإنسان ونضوجه بالتوجيه إلى الله تعالى في ضميره وإحساسه وتصرفاته.

النفس في اللغة: قال ابن فارس: "النُّونُ وَالْفَاءُ وَالسِّينُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجِ النَّسِيمِ كَيْفَ كَانَ، مِنْ رِيحٍ أَوْ غَيْرِهَا، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ فُرُوعُهُ. مِنْهُ التَّنَفُّسُ: خُرُوجُ النَّسِيمِ مِنَ الْجَوْفِ. وَنَفَسَ اللَّهُ كُرْبَتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي خُرُوجِ النَّسِيمِ رَوْحًا وَرَاحَةً. وَالنَّفْسُ: كُلُّ شَيْءٍ يُفَرِّجُ بِهِ عَنْ مَكْرُوبٍ ... وَالنَّفْسُ قِوَامُهَا بِالنَّفْسِ" (١).

النفس في الاصطلاح: ورد في كشف اصطلاحات الفنون والعلوم أَنَّ النفس هي: "الجوهر المفارق عن المادّة في ذاته دون فعله" (٢)، وورد فيه أيضاً أَنَّ "النفوس الإنسانية مجردة؛ أي ليست قوّة جسمانيّة حالّة في المادّة ولا جسمًا، بل هي لا مكانيّة، لا تقبل الإشارة الحسيّة؛ وإنّما تعلّقها بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف من غير أن تكون داخلية فيه بالجزئية أو الحلول" (٣).

والنفس في المعنى القرآني: "النفس: الروح ... وقال بعض الناس: إنّ إضافة النفس إليه تعالى إضافة الملك، ويعني بنفسه نفوسنا بالأفاضل" (٤).

ويمكن أن نقول: إنّ المفاهيم النفسية التربويّة هي كلّ عمل منهجيّ منظم ينمي ويطوّر، ويقوم إدراك الإنسان ووعيه الذاتي

(١) معجم مقاييس اللغة، أبْن فارس: ٤٦٠/٥ (نفس).

(٢) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٧١٣/٢.

(٣) كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٧/٢.

(٤) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٨١٨.

وتوجيهه نحو السلوك السليم بهدف تزكية نفسه، ليحقق الاستقرار النفسي، ولضبط الانفعالي، حتّى يصل إلى القيمة العليا التي يريدها الله تعالى منه، بأن يكون خليفته في الأرض، ويثبت على فعل الخير والإيجابية مع نفسه، ومع المجتمع.

المطلب الأول: السرور

إنّ مفهوم السرور من الحالات الوجدانية التي يمرّ بها الإنسان والتي تنتج عن التواصل مع الله تعالى في الطاعات، ومن صفات القلب وطمأنينته، ومن حسن الظنّ بالله العظيم، والوعد الذي وعد به المؤمنين المخلصين له، وهو من أهمّ المقاصد القرآنية التربوية المترسّخة في النفوس، التي ذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتابه، إذ يثبت العمل الصالح ويوجّه المومن باتجاه الإيجابية، ويجعل شخصيته قوية، ومفعمة بالأمل والتفاؤل^(١).

السرور في اللغة: قال ابن منظور: "السَّراءُ: الرِّخاء، وهو نقيض الضَّراءِ، والسَّراءُ والسَّراءُ والسُّرورُ والمَسَرَّةُ: الفَرَحُ"^(٢).

السرور في الاصطلاح: قال الشريف الجرجاني: "السَّراءُ: لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن، وهو محلّ المشاهدة، كما أنّ الروح محلّ المحبّة، والقلب محلّ المعرفة"^(٣).

والسرور في المعنى القرآني: "ما ينكتُم من الفرح"^(٤).

وقد ذكر الشيخ النراقي السرور بقوله: "وبقاء النفس على النقصان إمّا لعدم صرفها إلى طلب المقصود لملازمة العوائق والموانع، أو مزاولة النقيض لتمكّن موجبها، أو لكثرة

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣٧ / ١.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ٣٦١/٤ (سرو) .

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٢١.

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١ / ٣٢٠ .

اشغالها بالمشاغل المحسوسة، أو لضعف القوة العاقلة، فإن لم تدركها العناية الإلهية فلا يزال يتزايد النقصان ويبعد عن الكمال الذي خلق لأجله، إلى أن تدركها الهلكة الأبدية والشقاوة السرمديّة، نعوذ بالله من ذلك، وإن أدركته الرحمة الأزليّة، فيصرف همه في إزالة النقائص، واكتساب الفضائل، فلا يزال يتصاعد من مرتبة من الكمال إلى فوقها، حتّى يصير من أهل مشاهدة الجلال والجمال، ويتشرف بجوار الربّ المتعال ويصل إلى السرور الحقيقي، الذي لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر وإلى قرّة الأعين التي يشير إليها في قوله سبحانه: ﴿يُنْزِلُ فِيهَا نِجْمًا كَالْكَوْكَبِ﴾ (١) (٢).

وقد بيّن المفسّرون معنى قوله تعالى: ﴿يُنْزِلُ فِيهَا نِجْمًا كَالْكَوْكَبِ﴾، ومنهم الفخر الرازي إذ قال: "يعني ممّا تقرّ العين عنده ولا تلتفت الى غيره، يقال: إنّ هذا لا يدخل في عيني، يعني عيني تطّلع إلى غيره، فإذا لم يبق تطّلع للعين إلى شيء آخر لم يبق للعين مسرح إلى غيره فتقرّ جزاء بحكم الوعد، وهنا فيه لطيفة وهي أنّ من العبد شيئاً وهو العمل الصالح، ومن الله أشياء سابقة من الخلق والرزق وغيرهما وأشياء لاحقة من الثواب والإكرام، فله تعالى أن يقول جزاء الإحسان إحسان، وإن أحسنت أولاً والعبد أحسن في مقابلته، فالثواب تفضّل ومنحة من غير عوض، وله أن يقول: جعلت الأوّل تفضّلاً لا أطلب عليه جزاء، فإذا أتى العبد بالعمل الصالح فليس عليه شيء لأنّي أبرأته ممّا عليه من النعم فكان هو آتياً بالحسنة ابتداء" (٣)، وهنا بيّن الرازي أنّ الله تعالى عنده مدّخر للعباد الصالحين من النعيم الدائم والسرور الذي لا يوصف، بل إنّه يفوق الوصف والتصور، وهو بانتظاره في الحياة الباقية الآخريّة من (قرّة أعين)، وهو أمر خفي لا يعلمه

(١) سورة السجدة: ١٧.

(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١ / ٣٧.

(٣) التفسير الكبير مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٢٥ / ١٨٢.

أحد من العباد، وهو جزاء خفي عن العين المجردة البشرية، وهو تكريم لكل من أطاع الله حق طاعته وكانت نفسه مطمئنة بحب الله والالتزام بأوامره.

وورد في تفسير القمي أن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (ما من عمل حسن يعملُه العبد إلا وله ثواب في القرآن)، فسأله أحد أصحابه: جعلت فداك إني أردت أن أسألك عن شيء أستحي منه، قال: سل، قلت: جعلت فداك هل في الجنة غناء؟ قال: (إن في الجنة شجرة يأمر الله رياحها فتهب فتضرب تلك الشجرة بأصوات لم يسمع الخلائق مثلها حسناً، ثم قال: هذا عوض لمن ترك السماع للغناء في الدنيا من مخافة الله)، قال: قلت جعلت فداك زدني، فقال: (إن الله خلق الجنة بيده ولم ترها عين ولم يطلع عليها مخلوق، يفتحها الرب كل صباح فيقول: ازدادي ريحاً، ازدادي طيباً، وهو قول الله تعالى: ﴿يُنَادِي بِأَسْمَاءَ بَنَاتِهِ فِي الْمُسْتَقِيمِ﴾ (١).

وبذلك تكون أغلب التفاسير متفقة على أن مضمون هذه الآية ينصب على النعيم الذي أخفاه الله تعالى للمؤمنين، وهو أعظم من أي تصور ووصف عقلي، فضلاً عن هذا فالآية تظهر لنا أبعاداً تربوية ونفسية راسخة؛ فالشخص لما يدرك ويعي أن الله عنده من السرور والنعيم ما لا يوصف ولا خطر على بال أحد (٢)، سيتيقن وتفتح له الآفاق للنظر والتأمل بعظمة الخالق ولطفه ورحمته بعباده المخلصين، فينمو في قلبه ونفسه السرور الإيماني، وإن هذه هي اللذة الحقيقية التي لا تعادلها لذة، فتتلاشى أعباء الدنيا وهمومها ومشاكلها أمام عينيه، ويصبح أكثر عطاء ومثابرة وقدرة على الصبر، والعمل باجتهاد وتقديم الخير والإحسان، فتزول عنه الآلام والأحزان على ما فاتته، ويستقبل الحياة باندفاع وتحفيز على عمل الصالحات، وهذا ينعكس على الحياة الواقعية بالإيجابية فيتزود بالطاقة

(١) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ٢ / ١٧٠. و عقود المرجان في تفسير القرآن: ٤ /

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣٧/١.

التي تجعله متجاوزاً لكلّ التحدّيات والضغوطات، لأنّه متيقّن أنّ عمله وجهده لن يذهب سدى ولن يضيع أبداً، وأنّ القادم أفضل وأروع ما يكون^(١)، وبهذا تكون الآية وما طرحه الشيخ النراقي (رحمه الله) قد صنعت التوازن والاستقرار النفسي والراحة القلبية من متاعب الحياة والنعيم المنتظر والمحقق من الله عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة.

وقد تبين أنّ هذه الآية مصدر لتغذية النفس الإنسانية بالاطمئنان والأمل؛ فقد دلّت على أنّ عطاء الخالق العظيم لعباده يتعدّى حدود العلم البشريّ، وبذلك يصل إليه بالعمل الصالح، وهو المسار الصحيح لنيل هذه المنزلة الرفيعة، كذلك يبدو لي أنّ هذه المنزلة لا تخصّ الحياة الآخريّة فحسب، وإنّما ينالها في الدنيا أيضاً؛ وذلك بالنعيم الدنيويّ من السعادة والراحة والسرور الذي يلمسه ويشعر به الإنسان عندما يحقّق أهدافه بتوفيق الله تعالى وعنايته الربّانية.

ومن كلّ ما تقدّم يمكن أن نقول: إنّ الشيخ النراقي (رحمه الله) أكّد على الاستقرار النفسيّ والسرور الذي ينتج من تطهّر النفس الإنسانية من الآثام وعلاجها من كلّ الأسباب المؤدّية للقلق أو الاضطراب الداخليّ، وفي واقع الحياة؛ إذ تتراكم الضغوطات والمتاعب النفسيّة والجهد العقليّ؛ إذ يقدّم هذا المفهوم مهمّة كبيرة بالغة الأهميّة إذ يؤكّد أنّ السرور ليس مجردّ شعور وإحساس طارئ أو عارض، إنّما هو من مهارات تربية النفس التي تتأسّس من خلال تنمية النفس وتهذيبها والتدريب على الاعتدال والصبر الجميل والابتعاد عن الانشغال بالملهيات من المادّيات والإفراط فيها، ثمّ تقوية الروحانيّة الذاتيّة مع الله تعالى. قال تعالى: ﴿...﴾^(٢).

المطلب الثاني: الهدى

(١) ينظر: التفسير الكبير. مفاتيح الغيب: ٢٥ / ١٨٢.

(٢) سورة يونس: ٥٨.

بلا ريب إنّ الهدى من المفاهيم القرآنيّة العظيمة التي ذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتابه جامع السعادات، لأهمّيّته وارتباطه بتوجيه الفرد المسلم وإصلاحه، إذ يُعدّ الهدى النور الذي يسير عليه الإنسان إلى طريق الخير، والذي يقوده إلى معرفة الله تعالى، والتمييز بين الحقّ والباطل، وقد أكّد الكتاب العزيز هذا المفهوم لأثره الكبير في توجيه البشر وتقويم وتهذيب سلوكهم وبناء الشخصية المؤمنة العادلة.

الهدى في اللغة: نقيض الضلالة^(١).

الهدى في الاصطلاح: قال الشريف الجرجاني: "الهداية: الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يُوصل إلى المطلوب"^(٢).

والهداية في المعنى القرآني: "الهداية دلالة بلطف ... والهداية التي تجعل الناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء إنزال القرآن ونحو ذلك ... والتوفيق الذي يختصّ به من اهتدى"^(٣).

ويمكن أن نقول: إنّ الهدى هو من الأنوار الربانيّة للعقل والقلب؛ يجعل الإنسان يرى الحقّ، ويُعينه على السير الصحيح بالسلوك والإيمان، لكي يستمرّ بالاستقامة في الدنيا والآخرة، ويعدّ الهدى من أهم المفاهيم القرآنيّة التي توجّه الإنسان وتصنع وعيه باتجاه الخير والصلاح، وهو محور الإسلام والإيمان، وأساسه، كما روي أن رجلاً سأل أمير المؤمنين (عليه السلام): عن صفة الإسلام والإيمان والكفر والنفاق، فقال: "أما بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى شرّع الإسلام، وسهّل شرائعه لمن ورده، وأعزّ أركانه لمن حاربه،

(١) ينظر: كتاب العين: ٢٩٩/٤ (هدى).

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١/٧٠٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١/٧٠٠.

وجعله عزّاً لمن تولّاه، وسلماً لمن دخله، وهدى لمن تجلّله، وعزراً لمن انتحلّه...^(١)، فهو النبراس الذي يسير الإنسان عليه إلى طريق الاستقامة، ويبعده عن طريق الانحراف النفسي ومزلاقات الحياة، ليحصل منزلة الرشاد والطمأنينة.

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) في كلامه عن الهدى: "المحبّ إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصاً في دوام الشهود الذي هو غاية المقامات، الآيات والأخبار الدالة عليه أكثر من أن تحصى، وقد جمع الله للخائفين العلم والهدى والرحمة والرضوان، وهي مجامع مقامات أهل الجنان"^(٢).

فبيّن النراقي (رحمه الله) أنّه لا ينال الهدى إلّا القلب المحبّ لله، مع خشيته التي تمنع الفرد من الابتعاد عن ربّه وعن الغفلة، ولا تكتمل مكانته إلّا إذا جمع بين المحبة والرجاء والخوف، لأنّها تفتح أبواب الهداية وتُهدّب النفس، ويرى الشيخ أنّ الرهبة والخوف من الله تعالى من أهمّ الأسباب للهداية؛ لأنّها تنبّه القلب عن الغفلة وتؤدّي إلى الانتفاع من القرآن الكريم بآياته ونصوصه، وأورد قوله تعالى: **تُخَذُّمُ لَهُمْ** □ **جَمَّ**^(٣). وقد فسّر القرطبي معنى الآية بقوله: "أي: (هدى) من الضلال، (ورحمة) أي: من العذاب، وقيل: المعنى؛ وفيها هدىّ ورحمة، فلا يحتاج إلى أصلٍ يُنقل عنه"^(٤)، كما ورد في تفسير الطوسي: "معناه أنّه لما سكن غضبه رجع فأخذ الألواح التي كان ألقاها، وكانت الألواح

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب مدح الإسلام، ٣/ ١٢٦-١٢٧، حديث رقم (١/١٥٤٣).

(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/ ١٥٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٤.

(٤) الجامع الأحكام القرآن، القرطبي: ٩/ ٣٤٧.٣٤٦.

مكتوباً فيها ما هو هدى وحجة وبيان ورحمة للذين هم لربهم يرهبون بمعنى: يخافون عقابه^(١).

ويتبين مما تقدّم من التفاسير لمعنى الآية أنّ (الهدى) هنا هو النور والتبيان الإلهي الذي يُسَيّر ويُرشّد إلى طريق الصلاح والحقّ والعدل، و(الرحمة) هي الفيض الإلهي من الله والسكينة، وهو التوفيق الذي يمنحه للإنسان، وهذا (العطاء) من الخالق يتعلّق بأعظم صفة هي (الرّهة) من الله؛ أي: مخافة الله مع المحبّة والتعظيم، وإنّ سأل سائل فقال: أتقولون: إنّ الله هدى الكافر؟ قيل له: إنّ الهدى على وجهين: هدى هو دليل وبيان، فقد هدى الله بهذا الهدى كلّ مكلف بالغ؛ الكافر منهم والمؤمن، وهدى هو الثواب والنجاة فلا يفعل الله هذا الهدى إلّا بالمؤمنين المطيعين القائلين عن الله ورسوله^(٢)، فالمؤمن الذي يخشى ربّه، يهتدي بهدي الرحمن، ويكون أكثر نفعاً بالقرآن، ويحتاج الفرد إلى الهداية في بصيرته، فتثمر الرحمة ويجد أثرها في حياته من هدوء في النفس والقلب، وخير وبركة في العمل.

وفي الواقع المعاصر الذي تكثر وتتعدّد فيه المغريات والمؤثرات، إذ يرجع إليه الرؤية الحقيقيّة؛ فالهدى القرآنيّ، هو الذي يجعل بصيرة الإنسان أكثر وأعمق؛ فيرتقي سلوكه نحو الإيجابيّة، فعندما يعيش الفرد أحساس الخشية، والرجاء، والمحبّة في نفسه، كما وصفها النراقيّ، فإنّه سينتج عن ذلك اكتساب طاقة نورانيّة، وروحيّة، يتقدّم بها إلى الإيجابيّة، فيكون بذلك أكثر قدرة على مواجهة صعوبات وتحديات الحياة بهدوء، وعزيمة وثبات.

(١) التبيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٥٥٣/٤.

(٢) رسائل الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تقديم وأشرف السيد أحمد الحسيني، إعداد السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم. إيران، مطبعة الخيام. قم، (د. ط)، ١٤٠٥هـ، ٢٢٤. ونقل في رسائل العدل والتوحيد: ٣٢٣/١. ونقل في آراء الشريف المرتضى العقديّة: ٢٢١.

المطلب الثالث: العفة

مفهوم العفة من الأخلاق الحسنة التي غني بها القرآن الكريم، لأثرها في تهذيب النفس وضبطها وترويضها عن التفريط في الشهوات والملذات بشكل عام، كما تقوم بالإبعاد عن كلّ الطرق المؤدية إلى الوقوع في المهالك المحرمة، وقد ركّز الشيخ النراقي (رحمه الله) على هذا المفهوم، إذ بيّن أثره في المحافظة على كرامة الإنسان ورقّيه إلى مرتبة الكمال الإنساني.

العفة في اللغة: الكفّ عمّا لا يحلّ ويجمل من المحارم والأطماع الدنيّة^(١).

العفة في الاصطلاح: "هيئة القوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يُباشِر الأمور على وفق الشرع والمروءة"^(٢).

والعفة في المعنى القرآني: "حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة"^(٣).

والعفة من الفضائل التي يكون تحتها الحياء من الله بإتيان القبائح، والصبر عن محاربة النفس ومقاومتها وما تهوى، حتّى لا تنجرف للردائل^(٤).

ويمكن القول: إنّ العفة هي عملية تهذيب النفس وكفّها عن شهواتها المهلكة، وعن كلّ ما يسوّؤها ولا يليق بها، ووضع النفس والسلوك في ميزان الإيمان والقيم الإنسانية، إذ يمتنع الفرد عن كلّ ما حرم الله تعالى ويتوجّه لطاعته، فيرتقي بالنفس إلى السموّ عن الانحطاط بكلّ ما يشمل الأفعال والأقوال أو حتّى بالخطرات والنظرات؛ أي: كلّ هوى

(١) ينظر: لسان العرب، أبن منظور: ٢٥٣/٩ (عف).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٥٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٤٠ - ٤٤١.

(٤) ينظر: تهذيب الأخلاق، أبو على أحمد بن محمد بن مسكوبه، تحقيق السيد حسن المؤمني

مركز إحياء التراث الإسلامي، طهران - إيران، ط ١، ١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م: ١٠٦.

باطل، كما قال الإمام الباقر (عليه السلام): "ما عُبِدَ الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج"^(١).

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن العفة: إنها "انقياد قوة الشهوة للعقل في الإقدام على ما يأمرها به من المأكل والمنكح كمّاً وكيفاً، والاجتناب عما ينهاها عنه، وهو الاعتدال الممدوح عقلاً وشرعاً"^(٢)، وقد بيّن (رحمه الله) أنّ فضيلة العفة هي توجيه التحكم بالشهوات بالعقل، إذ لا تُقَمَّع ولا تتسرّب تماماً، وإنّما تكون ضمن ضوابط الاعتدال، فالإنسان المؤمن يأمره الله تعالى أن يتعامل مع الشهوات بكلّ ما تشملها من اللذات، إلى ميزان التوسط، إذ لا إفراط ولا تفريط، لأنّ الركون إلى أحدهما مذموم؛ وذلك لأنّ الإفراط يؤدّي إلى الخوض في الشهوات والملذات؛ ممّا يضعف العقل ويخدر التفكير، ويضعف الإيمان في القلب، والتفريط (كالتشدّد الزائد وحرمان النفس) أيضاً يكون مذموماً، لأنّه يُعارض الطبيعة البشريّة التي خلقها الله تعالى، ويُعطّل وظائفها في الاستمرار بالحياة^(٣).

وقد أشار النراقي (رحمه الله) إلى أنّ المطلوب في الشريعة من الإنسان هو أن يعتدل في حياته، فالعفة لا تعني ترك الملذات والشهوات، بل توجيهها وتنظيمها، إذ إنّها تهذبها بحسب ما أمر الله تعالى، ويُعطي مثلاً بالطعام وتركه، لأنّ الجوع يؤذي الجسد، والشبع يؤدّي إلى الكسل والخمول، فتكون الفضيلة (العفة) بالتوسط والتوازن بينهما، وقد أشار (رحمه الله) إلى قول الإمام عليّ (عليه السلام): "أفضل العبادات العفة"^(٤)، فالعفة من أعظم ما تهذب به النفس وتركّى عن الشهوة، وقد ذكر النراقي (رحمه الله) قوله تعالى: □ □ □ □ □^(٥)، وذكر تفسير في هذه الآية أنّ أناساً كانوا يطوفون بالبيت عراء؛

(١) الكافي، الكليني: باب الإيمان والكفر، باب العفة، ٢٠٣/٣، حديث رقم (٢/١٦٤٤).

(٢) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٢٤٧/٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٤٧/٢.

(٤) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب العفة، ٢٠٤/٣، حديث رقم (٣/١٦٤٥).

(٥) سورة الأعراف: ٣١.

الرجال بالنهار والنساء بالليل، فأمرهم الله بلبس الثياب، وكانوا لا يأكلون إلا قوتاً؛ فأمرهم الله أن يأكلوا ويشربوا ولا يُسرفوا^(١).

وورد في تفسير الطبرسي أن قوله تعالى: "أَأَقْصَىٰ سُبُوحِ رَبِّكَ" صورته صورة الأمر، والمراد الإباحة، وهو عام في جميع المباحات، "أَأَقْصَىٰ سُبُوحِ رَبِّكَ" أي: لا تجاوزوا الحلال إلى الحرام"^(٢)، وكذلك جاء في معنى هذه الآية: "أَأَقْصَىٰ سُبُوحِ رَبِّكَ" ما طاب لكم، روي: أن بني عامر في أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً؛ يعظمون بذلك حجتهم فهم المسلمون به، فنزلت: "أَأَقْصَىٰ سُبُوحِ رَبِّكَ" بتحريم الحلال، أو بالتعدي إلى الحرام، أو بإفراط الطعام والشره عليه ثم في "أَأَقْصَىٰ سُبُوحِ رَبِّكَ" أي: لا يرضى فعلهم"^(٣). ويتضح من ما ذكره المفسرون أن الآية الكريمة تُؤسس قاعدة الاعتدال في المباحات؛ فالمأكل والمشرب من نعم الله تعالى على الإنسان، وإكمال هذه النعم، لا يتم إلا بالتوسط وبحسن الاستعمال دون تجاوز الحد في التعلق الشهوي النفسي أو جعل الشهوة هي التي تقود الإنسان، بدل العقل والشرعية. وهنا الآية تصوّر قاعدة أساسية لمبدأ التوسط والاعتدال الذي هو في حقيقته جوهر العقّة، إذ يأخذ التمتع المشروع المضبوط والمتوازن بلا إفراط ولا تفريط، أي بدون حرمان ولا انغماس مسرف، وبعد هذا الأسلوب الحياتي الذي رسمته الآية بالعقّة بالاعتدال في الطعام والشهوات والملذات بطرق شرعية؛ تكون العقّة أنموذجاً تربوياً يتوجّه عليه باقي شؤون مجالات الحياة العاطفية والمادية والاجتماعية، فالمؤمن العفيف هو المعتدل في الشهوات الطبيعية التي خلقها الله تعالى، باتخاذ الطرق التي وضعها الشارع المقدّس، وترك مسالك الحرام التي تغضب الله تعالى، مثل شهوات الأكل والشرب وهما نعمتان، فإنّ تمام الانتفاع بهما يكون بعفّ النفس عن الإفراط والتجاوز فيهما، كما قال رسول الله

(١) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي : ٢٢٨ / ١ - ٢٢٩ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي : ١٨٤ / ٤ ،

(٣) المصدر نفسه : ١١ / ٣ .

(صلى الله عليه وآله): "ثلاث أخافهنَّ على أمتي من بعدي: الضلالة بعد المعرفة، ومُضَلَّات الفتن، وشهوة البطن والفرج"^(١). وبهذا تكون العفة هي الضابط للرجبات والملذَّات وفق تحكّم العقل والشرع بها؛ بدون انغماس فيها، فهذا التهديب للشهوة يعكس المحافظة على كرامة الفرد وتوقير نفسه، "فعلى الإنسان أن يملأ أوقات فراغه بما هو مفيد للعالم والآخر؛ بالقراءة والكتابة وممارسة الرياضة وتعلّم المهن والحرف، ومساعدة الآخرين، والمشاركة في الأعمال الخيريّة، وما شابه ذلك، وأن يحذر من أوقات الفراغ، فإنّ بعضاً من الأفكار السيئة والأعمال المحرّمة تتمّ بسبب الفراغ"^(٢). وفي زمن تكثّر فيه المثيرات سواء كانت المادّيّة أو المعنويّة، وتتزايد بواسطة الوسائل المتنوّعة، منها الإعلام واتّساع شبكات الإنترنت التي جعلت العالم كالحقيرة؛ وبه يسهل الاطّلاع على المواقع السيئة، والهادمة التي تستهدف الشباب، لتجعل منهم فريسة سهلة للشهوات المهلكة إذا ما سلّم نفسه إليها، فيأتي هنا هذا المفهوم (العفة) ليعمل على إعادة بناء القيمة التربيّة للإنسان، فإنّ هذا المفهوم خاصّ بتهديب الشهوات.

المطلب الرابع: الوسوسة

الوسواس مفهوم نفسيّ يسبّب الاضطراب وخوف في تفكير الإنسان، ويكون له تأثير سلبيّ في حياة الإنسان، ويشغله ويبعد عن الطريق الهداية والطمأنينة والتوازن النفسي والسلوكي، وقد بيّنه الشيخ النراقي في كتابه جامع السعادات، وركز على هذا الجانب ووجوب مجاهدة النفس وتهذيبها، هذا المفهوم الذي ذكر القرآن الكريم وأظهر

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب العفة: ٢٠٥/٣، حديث رقم (٦/١٦٤٨) .

(٢) الآداب الإسلامية من منظور أهل البيت (عليهم السلام)، إعداد: قسم الشؤون الدينية . شعبة التبليغ، العتبة المقدسة، ط١، ١٤٤٠ هـ . ٢٠١٨ م: ١٧٦.

منشأه وأثره، وكلّ ما يرتبط بإغوائيات ووسوسة الشيطان، ووضع سبل الحماية والوقاية منه.

الوسوسة في اللغة: "الوسواس: حديث النفس، يقال: وسّست إليه نفسه، والوسّاس، بالفتح: هو الشيطان، وكلّ ما حدّثك ووسّوس إليك"^(١).

والوسوسة في الاصطلاح: "الوسواس بالفتح هو الشيطان، وأيضاً عبارة عن الخواطر النفسانية الجسمانية سواء كانت عقلية أو شرعية أو حسية أو غير ذلك، ممّا يُبعد من قرب الحق"^(٢). **والوسوسة في المعنى القرآني:** "الخطرة الرديئة"^(٣). وهذا المعنى مجملاً للوسوسة، "وقيل: إنّ الفرق بين وسّوس إليه، وسّوس له؛ إنّ معنى وسّوس إليه: ألقي إلى قلبه المعنى بصوت خفيّ، ومعنى وسّوس له: أنّه أوهمه النصيحة له في ذلك"^(٤). والوسوسة بالمعنى الاصطلاحيّ الذي يستعمله الفقهاء بمعان ثلاثة: "الأولى: الوسوسة: بمعنى حديث النفس، وهو ما يقع فيها من التردّد؛ هل يفعل أو لا يفعل، والثاني: الوسوسة بمعنى ما يُلقيه الشيطان في روع الإنسان، والثالث: الوسوسة بمعنى ما يقع في النفس ممّا ينشأ من المبالغة في الاحتياط، والتورع حتّى أنّه ليفعل الشيء، ثمّ تغلبه نفسه فيعتقد أنّه لم يفعله فيعيده مراراً وتكراراً، وقد يصل إلى حدّ أن يكون الشخص مغلوباً على عقله"^(٥). ويمكن أن نقول: إنّ الوسوسة هي ما يلقي الشيطان في النفس

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٦ / ٢٥٤، (وسوس).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٧٨٤.

(٣) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٨٨.

(٤) التبيان في تفسير غريب القرآن، محمد علي بن الحاج ميرزا محمد حسين الشهرستاني الحائري

(ت ١٣٤٤هـ)، تحقيق عادل الجبار ثامر الشاطي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط ١

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م: ٢ / ١٢٩٣.

(٥) الموسوعة الفقهية، اصدار وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط ١، ١٤٢٥هـ

٢٠٠٥م: ٤٣ / ١٤٧. إحياء علوم الدين، الغزالي: ٣ / ٢٨٥.

والعقل والقلب من خواطر, وأفكار شريرة تدفع الإنسان إلى الاضطراب والشك في أعماله الصالحة وتغريه إلى عمل المحرمات. وتعدّ الوسوسة من الابتلاءات الخطيرة التي يُبتلى بها الإنسان في دينه ونفسه, لأنها تأتي إليه خفية وتسيطر على تفكيره وقلبه, فتضعف عزيمته ويقلّ يقينه؛ فيضطرب سلوكه.

وقد بيّن الشيخ النراقي (رحمه الله) الوسوسة وعلاجها فقال: "اعلم أنّ الخاطر ما يعرض في القلب من الأفكار فإن كان مذموماً داعياً إلى الشرّ سمّي (وسوسة), وإن كان محموداً داعياً إلى الخير سمّي (إلهاماً), وتوضيح ذلك أنّ القلب بالنسبة إلى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف تتوارد عليه السهام من الجوانب, أو حوض تنصبّ إليه مياه مختلفة من الجداول, أو قبة ذات أبواب يدخل منها أشخاص مختلفة, أو مرآة منصوبة تجتاز إليها صور متباينة"^(١), وهنا فرّق الشيخ بين الخواطر التي تعرض في فكر الإنسان وقلبه, فإن كانت تبعث إلى الشرّ فهي المذمومة وتسمّى (وسوسة), وإن كانت تبعث إلى فعل الخير تسمّى (إلهاماً), وإنّ قلب الإنسان يكون معرضاً لكثير من خواطر الشرّ, فالخواطر (الشريرة) التي تسمّى الوسوس التي مصدرها الشيطان هي أكثر من الخواطر (الخيرة) التي تسمّى إلهاماً, فهي قليلة, ولها باب واحد مصدره الملائكة, وإنّ تعدّد أبواب الشيطان ووساوسه المسلّطة على الإنسان؛ يكون علاجها عن طريق غلق المنبع الكلّي للوساوس بإغلاق أبواب القلب عن الشيطان, وهي الوقوف بالشهوة المفرطة, والغضب المذموم, والعداوة, والتكبر والحسد, وغيرها من الصفات المذمومة, والذنوب الصغيرة والكبيرة, والتذكير بعواقبها السيئة, وآثارها القبيحة في الحياة الدنيا والآخرة, فإنّ الشيطان إذا وجد واحدة من هذه الصفات, أو وجد الاستعداد لفعل الذنب بدون رادع من الضمير, والإيمان الراسخ؛ فإنّه يدخل إلى القلب بسهولة, ويوسوس فيه, ويتحكّم به, كما يشاء, وعند استحضر العظمة الإلهية, وما ينتظر الإنسان من عقاب الآخرة, وحرمان في الدنيا

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ١ / ١٠٩ .

إذ تجد النفس الحجة الصحيحة والحقيقية، وتتكشف لها الأمور، وتكون قد اهتدت إلى الصواب، إذ تضعف وتضمحل أسباب الوسواس عنها. كما قال الشيخ النراقي (رحمه الله): "القلب إذا كان مشغولاً بفكر مهم في الدين يمكن أن يخلو من جولان هذا اللعين، وأمّا لو غفل عن الله ولو في لحظة، فليس له في تلك اللحظة قرين إلا الشيطان كما قال سبحانه: ﴿يَمُومُ بِمِثْلِهِ مُرِيَ﴾^(١)، وقد فسّر هذه الآية الطبري (ت ٣١٠هـ) فقال: "يقول عز وجل: ﴿يَمُومُ بِمِثْلِهِ مُرِيَ﴾ فلم يخف سطوته، ولم يخش عقابه، أذُرِيَّ، يقول: نجعل له شيطاناً يُغويه^٢، يقول: فهو للشيطان قرين، أي يصير كذلك، وأصل العشو: النظر بغير ثبت لعلّة في العين، وإنّما معنى الكلام: ومن لا ينظر في حجج الله بالإعراض منه عنه إلا نظراً ضعيفاً، كنظر من قد عشى بصره"^(٣)، أي: يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرج ثوابه، فيولّي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن؛ سنسبب له شيطاناً ونضمّه إليه ونسلّطه عليه فيكون قريناً له لا يفارقه، يزيّن له العمى ويخيّل إليه أنّه على الهدى^(٤)، وروى السيوطي (ت ٩١١هـ)، في تفسيره "في قوله: (ومن يعش الآية)، قال: من جانب الحقّ وأنكره وهو يعلم أنّ الحلال حلال، فترك العمل بالحلال والحقّ لهوى نفسه، وقضى حاجته، ثمّ أراد من الحرام، فَيُضِلُّهُ شَيْطَانٌ"^(٥)، أي: من يتعمّد ويتغافل ويعرض

(١) سورة الزخرف: ٣٦.

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١٠٩/١.

(٣) تفسير الطبري جامع البيان من تأويل آي القرآن، الطبري: ٥٩٦/ ٢٠.

(٤) ينظر: تفسير البغوي معالم التنزيل، أبي محمد الحسين بن سعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق محمد عبدالله نمر عثمان جمعة خميرية، -سلمان مسلم الحرش، دار طيبة - الرياض -السعودية، ط، ١٤٠٩ هـ : ٢١٣/١.

(٥) الدر المنثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط ١، ١٤٢٤ هـ. ٢٠٠٣ م : ٢٠٧/١٣.

عن النظر في القرآن والعمل به، نهية له شيطاناً يوسوس له ويغويه، فهو له ملازم لا يفارقه، بل يتبعه في جميع أموره، ويطيعه في كل ما يزين له به^(١).

ويتّضح ممّا تقدّم أنّ ترك ذكر الله لا يكون بمجرد الترك بالظاهر، وإنّما يشتمل على غياب البصيرة، والغفلة القلبية والانشغال المستمرّ عن كلّ المعاني الإيمانية في الحياة؛ ممّا ينتج تسلّط الشيطان بوساوسه، فيصبح قريباً مصاحباً للإنسان، يغويه، ويزين له الأوهام والشكوك، ويجعل من كلّ الخواطر السلبية إلى أفكار ثابتة ومؤلمة؛ عن الإمام الباقر (عليه السلام): "قال: إنّ رجلاً أتى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله إنّني نافقت، فقال: والله، ما نافقت، ولو نافقت ما أتيتني، تعلمني ما الذي رابك؟ أظنّ العدو الحاضر أذاك، فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلّني، فقال الشيطان أتاكم من قبل الأعمال، فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلّكم، فإذا كان كذلك، فليذكر أحدكم الله وحده"^(٢). وقيل في الوسوسة: إنّها تشمل جملة الاختلالات التي تصيب الأعصاب، أي: الحالة العصبية الشديدة التي تؤدّي بالشخص المصاب إلى فقدان التوازن السلوكي عندها، وتعرّضه إلى مشاكل في انسجامه مع من حوله، والوسواس من أنواع الضعف؛ بالعجز عن السيطرة، والتخلّص من الشكوك والأوهام، والأفكار، والرغبات والميول^(٣). ويمكن أن نعدّ الوسوسة مرضاً قلبياً ينبع من قلة الإيمان بالله، وعدم معرفته، وعدم التوكّل عليه، فهي تسبّب خللاً في التحكم بالتفكير العقلي والالتزام الشرعي، فيتحوّل الشخص بسببها إلى معاند للحقّ، فتفسد عبادته.

(١) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشرعية والمنهج، وهبة الزحيلي، القدس دار الفكر - دمشق آفاق معرفة متجددة، ط ١٠، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م، ١-٢/١٦٦.

(٢) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الوسوسة وحديث النفس، ٤/ ٢١٧، حديث رقم (٥/٢٩٤٦).

(٣) ينظر: الوسواس والهواجس النفسية، علي القائي، دار النبلاء، د.ت، بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م: ٨-٩.

ومن خطوات المعالجة أن يعترف الإنسان بحالته ويقرّ في نفسه بوجود أعراض الوسوسة عنده، وقد أكّد النراقي (رحمه الله) أنّ معالجتها تكون بترويض النفس، والابتعاد عن الوهم، وعدم الانصياع إلى الأفكار المعاندة، والمحرّضة، ضد العدالة والإصلاح، ونبه إلى أنه ينبغي لمن يتداخله شيء من الوسوسة أنه كلّ ما تأتيه خاطرة سيئة يحاربها باليقين بالله تعالى، ويطرح ضدها فكرة إيجابية تدعو إلى الخير، فضلاً عن العلاج الأساسي وهو ذكر الله دائماً بالأدعية وتلاوة القرآن وتدبر آياته^(١). وفي واقعنا الذي نعيشه اليوم تظهر حالات كثيرة للوسوسة؛ مثل القلق المفرط، والشك المتكرّر في العبادة، والمخاوف الدائمة من الزلزل، وكذلك في التصرفات مع الآخرين، والشك في العلاقات الاجتماعية، واتخاذ القرارات الحياتية اليومية، وقد تكثر هذه الحالات والتعرض لها بسبب تراحم الضغوطات اليومية، وهموم المعيشة، والخوف من المستقبل، ولا سيّما إذا كان القلب يخلو من الإيمان بالله تعالى وذكره، مع قلة الوعي والغفلة^(٢). ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا المفهوم ومعالجته كمنهج للحياة لتستمرّ؛ فبذكر الله تعالى ومن خلال تدبر آياته يستطيع الإنسان أن يستعيد توازنه النفسي، ويرسخ الشعور بالطمأنينة، ويعزز القدرة على محاربة ومقاومة كلّ الأفكار السيئة والمنحرفة بثقة من الله تعالى، فإنّ هذا المفهوم القرآني يمنح الإنسان وعياً بتحريره من كلّ القيود الفكرية، بتقوية المواصلات مع الله تعالى، ويربي النفس الإنسانية على اليقين المطلق، وترك كلّ الشكوك المظلمة، ويقوم بخلق استقرار روحي ونفسي، ينتج عنه إنسان إيجابي فعّال، ومعط، ينشر الخير في مجتمعه.

المطلب الخامس: اليأس

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، ١/ ١١٢.

(٢) ينظر : المصدر نفسه: ١/ ١١٢.

من المؤكّد أنّ اليأس من الأمراض النفسيّة، وهو من أخطرها؛ لأنّه يشمل طاقة الشخص، ويغلق كلّ طرق الخير وأبواب الأمل، ويجعل نظرة الإنسان للحياة نظرة سوداويّة مظلمة تعميه عن قدرته على التغيير وتطوير نفسه وذاته. واليأس في اللغة: "القنوط، وقيل: اليأس نقيض الرجاء"^(١). و في الاصطلاح: "هو انقطاع الرجاء"^(٢). واليأس في المعنى القرآنيّ: "انتفاء الطمع"^(٣).

ويمكن القول: إنّ اليأس هو انعدام رجاء النفس والقلب لحصول الخير، فيستسلم الإنسان للعجز والتقاعس، وهو ناتج عن ضعف اليقين، وعدم الثقة بالله تعالى وقدرته؛ إذ يفتر عن العمل والسعي، لزوال الأمل والتفاؤل في تحسين الحال وتغييره للأفضل، واليأس يمثّل العدو الأكبر للإنسان، وهو نوع من الموت في الحقيقة؛ لأنّه يؤدّي إلى خنق الأنفاس أحياناً، أو يؤدّي إلى الكفر أحياناً أخرى، ولهذا علينا أن لا نياس من رحمة الله، ويجب أن نقول للأفراد الذين تعرضوا للانكسار واليأس بأنه لا يوجد في نظر الإسلام طريق مسدود^(٤). وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) في كلامه عن اليأس قوله: "لاريب في أنّ الخوف المجاوز إلى اليأس والقنوط من العمل، لرفعها نشاط الخاطر الباعث على الفعل وإيجابها كسالة الأعضاء المانعة من العمل"^(٥)، وبهذا الكلام يُبيّن النراقي (رحمه الله) أنّ اليأس من نتائج الخوف المذموم، إذ إنّ الخوف إذا تجاوز الحالة الطبيعيّة سيتحوّل إلى قنوط وكسل يمنعان الشخص من العمل والطاعة، وقد بيّن الشيخ أنّ منشأ الخوف هو

(١) لسان العرب، أبن منظور: ٢٥٩/٦، (اليأس).

(٢) الكليات، الكفوي : ٩٨٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني : ٧١٧/١.

(٤) ينظر: التربية وأثرها في صنع الأجيال الحرة، الدكتور علي القاضي، دار النبلاء، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م : ٦٩.

(٥) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ١٥٩/١.

الجهل بالله تعالى وعدم فهم قدرته ورحمته^(١)، وبهذه الرؤية من الشيخ النراقي (رحمه الله) يتبين أنّ الخوف المحمود هو الذي يجعل الإنسان نشيطاً وواقعياً، فيكون اليأس ناتج عن غلبة الوهم وفساد العقل، وهذا يجب معالجته بالعلم، والمعرفة، والثقة بالله تعالى والتوكل عليه، والاستعانة بالعبادة والأذكار؛ لأنّ من أدرك وعرف رحمة الله وسعة فضله؛ يمتنع اليأس من التمكن منه والاستقرار في قلبه. ثمّ ذكر النراقي (رحمه الله) عن اليأس قوله تعالى: **ثُمَّ فِي □ □ □ □ □ □** ^(٢)، وقد ذكر في تفسير الآية: "أنّه لا ييأس من رحمة (الله) ومن فرجه (إنّه لا ييأس منه) رحمته (إلا القوم الكافرون)، وفي هذه الآية دلالة على أنّ الفاسق المليء لا ييأس عليه من رحمة الله"^(٣).

وذكر المفسّرون أنّ هذه الآية نزلت في حادثة فقدان نبيّ الله يعقوب (عليه السلام) لولده النبيّ يوسف (عليه السلام)؛ إذ "نكب يعقوب، وابتلي بفراق يوسف، ولكنّه في الوقت نفسه يحسن الظنّ بالله، ويثق به، ولا ييأس من رحمته، ويؤمن بأنّ عاقبة الصبر الفرج، كما دلّ قوله لبنيه: (ولا تيأسوا من روح الله) إذا عطفنا ثقته بالله على رؤيا يوسف في صغره جاءت النتيجة أنّ يعقوب مطمئنّ على حياة يوسف إلى حدّ كبير، ولكنّه لا يعلم أين هو؟ وكيف حاله؟ ... ومن هنا كان حزنه وقلقه"^(٤)، ومن هذا التفسير يتّضح معنى الآية، إذ يظهر قاعدة إيمانية تفيد بأنّ قرب الله تعالى وفرجه ورحمته لا انقطاع لها عن عباده في الشدائد والمحن والكرب، فإنّ المؤمن لا ييأس من انفراجات البلايا، ولا تكون من صفاته؛ لأنّ اليأس لا يصدر إلّا من الشخص الذي يكون قلبه غائباً عن معرفه قدرة

(١) المصدر نفسه: ١٥٩/١.

(٢) سورة يوسف: ٨٧.

(٣) تفسير مقتبسات الدرر، السيد مير علي الحائري الطهراني (ت ١٣٣٧هـ)، تحقيق السيد محمد وحيد الطبرسي الحائري، مراجعة وتدقيق محمد تقي الهاشمي، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، إيران، ط ١، ١٤٩١هـ، ٢٠١٢م، ٦/٧٤-٧٥.

(٤) التفسير الكشاف، محمد جواد مغنية: ٣٤٩/٤.

الله تعالى وعن تعظيمه، وقد بين المفسرون أنّ روح الله هي نفحات لطفه ورحمته التي وسعت كلّ شيء وهي التي تعمّ العباد الصابرين في أوقات الحزن والضيق، وقد ورد هذا المفهوم في كلام النبي (صلى الله عليه وآله)، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرّج عنه كربته؛ لم يزل في ظلّ الله الممدود عليه ما كان في ذلك"^(١)، ويدلّ هذا الحديث على أنّ من يؤس من رحمة الله عزّ وجلّ فإنّ في عقيدته خلاً؛ إذ إنّ المؤمن الحقيقي لا تنقطع صلته برّبّه، ولا يجهل رحمته وقدرته العظيمة، وأنّ بيده الأمور وتغيّر الأحوال؛ فيسعى إلى بثّ روح التفاؤل لمن ضاقت به السبل، وسيطرت عليه الهموم، والكرب، ويواسيهم ولو بكلمة تعيد لهم الرجاء والطاقة الإيجابية، فيعيد شغفهم بالحياة الإيمانية، ويرجع إليهم الشعور بالطمأنينة والسلام، وبهذا المعنى تثبت الآية الكريمة في نفوس المؤمنين وقلوبهم رحمة الله التي لا تحجب عنهم، وأنّ الفرج قريب ويأتي منه تعالى بلحظة غير متوقّعة، فينبهر العبد بجميل لطف الله عزّ وجلّ وعنايته، فيزداد قلبه تعلقاً بالله تعالى وتوكلّاً عليه.

وفي الواقع المعاصر، يعدّ اليأس من الأسباب المهمّة والرئيسة في تكسيل وتعطيل الطاقات البشرية وانعدام الدافعية، مع تزايد الاضطرابات النفسية في الحياة اليومية، فقد يتعرّض الفرد إلى مواقف وأزمات؛ فيتوهم أنّه لوحد، فتغلق أمامه كلّ السبل ويستسلم لليأس. وهنا وبهذا المفهوم تأتي التربية الروحية والنفسية للقرآن الكريم، فتعيد بناء الإنسان من الداخل^(٢)، فهذه الآية تنبّه وتنوّر طريقه، فيدرك أنّ أبواب السماء لا تغلق، وأنّ رحمة الخالق العظيم أوسع من كلّ شيء مهما كبر وعظم، وعندما يدرك جوهر هذا المفهوم

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب إطفاء المؤمن وكرامته، ٥٢٥/٣-٥٢٦، حديث رقم (٢٢٠٣).

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/ ١٥٩.

يستمدّ الفرد الطاقة الإيجابية، ويجعل من الظروف والتحديات قوّة تصقله وتنميّه، فتعود إليه قوّة الإرادة والجّد والمثابرة وأهمّها الاستمراريّة، فالإنسان خلقه الله تعالى ويريدّه أن يكون خليفته في الأرض، فيجب أن يكون مستعدّاً لهذه المهمّة العظيمة، بأن يطور نفسه وعقله ويسعى في إصلاح نفسه ومجتمعه، ويغيّر واقع حياته نحو الأفضل والأحسن، ويستمدّ العون من الله تعالى بالتوجّه إليه والتوكّل عليه وطلب التوفيق والقوّة منه سبحانه وتعالى، وبالثقة الكاملة والتأمّة بقدرته وعظمته ورحمته (جلّ جلاله).

المطلب السادس: الهمة

لا شكّ في أنّ مفهوم الهمة من الصفات النفسيّة الراسخة في الاجتهاد في الوصول إلى تحقيق المطالب العليا، والسعادة والكمال، وهذا المفهوم من المفاهيم الواردة في كتاب جامع السعادات للشيخ النراقي (رحمه الله). والهمة في اللغة: "الهمةُ والهمةُ ما همّ به من أمرٍ ليفعله"^(١).

الهمة في الاصطلاح: "توجّه القلب وقصده بجميع قوّه الروحانيّة إلى جانب الحقّ لحصول الكمال له أو لغيره"^(٢).

والهمة هي التي تجعل المؤمن لا يتقيّد بحدود وسقف من غير (الكمال المطلق)، وهذا الكمال هو من المؤكّد باتجاهه نحو الله تعالى، فلا بدّ من همة عالية عند المؤمن؛ ليتمكّن من جعل هدفه الذي يريد الوصول إليه سامياً، وقد صوّر القرآن الكريم هذا المفهوم بقوله تعالى: "□ □ بر □ □ بن بي جي" ^(٣) ^(٤)، وروي في تفسير هذه الآية عن الإمام الصادق

(١) لسان العرب، ابن منظور: ١٢ / ٦١٩ - ٦٢٠ (همم).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٢٥٢.

(٣) سورة الانشقاق: ٦.

(٤) ينظر: من وحي الاخلاق، حسين عبد الرضا الاسدي، تقديم معهد تراث الانبياء، للدراسات الحوزوية الالكترونية، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط ١، ١٤٤: ٢٩

(عليه السلام)، أنه قال "كان أبي يقول: إذا هممت بخير فبادر، فإنك لا تدري ما يحدث"^(١). من وسائل إيقاظ الهمم التي عني بها القرآن الكريم الدعوة إلى التنافس في ميادين الخير والتسابق إلى فعل الطاعات كما في قوله تعالى: **أَبِي ذُرٍّ** □ □ □ □ □
□ □ بر □ □ بن بجي^(٢)، وقد قال الشيخ النراقي (رحمه الله) في علو الهمّة ودناءتها: "دناءة الهمّة: وهو قصور النفس عن طلب معالي الأمور وقناعتها بأدانيها، وهو من نتائج ضعف النفس وصغرها، وضده علو الهمّة، وهو ملكة السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب معالي الأمور، من دون ملاحظة منافع الدنيا ومضارّها، حتّى لا يعتريه السرور بالوجدان ولا الحزن بالفقدان، بل لا يبالي في طريق الطلب بالموت والقتل وأمثالهما، وصاحب هذه الملكة هو المؤمن الحقيقيّ الشائق للموت، والموت تحفة له، وأعظم سرور يصل إليه، كما ورد في الأخبار"^(٣). وبهذا يبيّن النراقي (رحمه الله) أنّ هذه الملكة من أكبر الفضائل في النفس، وهي عند الإنسان أمانة يجب المحافظة عليها، ووصف شجاعة النفس بأنّها من الفضائل أيضاً، وعظمة النفس ليس بالكبر القبيح، إنّما يكون بصونها والحفاظ على كرامتها وعزّتها، وإنّ شجاعة النفس تعني جرأتها في طلب الأهداف العظيمة وقدرتها على التعامل مع الصعوبات ومواجهة المتاعب والتحدّيات والتصدّي لها. وأكّد الشيخ أنّ الشخص الذي تكون نفسه دنيويّة عندما يواجه صعوبات أو عقبات فمن أوّل مواجهة ينهزم ويقف عن التواصل في تحقيق هدفه، وعكس ذلك الذي تكون همّته عالية يواجه الصعوبات والشدائد ببسالة؛ لأنّه يريد الوصول إلى المعالي، ثمّ ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) شاهداً لكلامه قوله تعالى: **يُرِى** □ □ **يُن** □^(٤)، وقد ذكر المفسّرون المعنى المقصود من الآية، ومنهم الرازي إذ فسّر الآية فقال: **يُرِى** □ أي الذين نظروا في دلائلنا □ **يُن** □ أي لنحصل فيهم العلم بنا"^(٥)، والمعنى أنّ لحصول وتقبّل الصورة العقلانيّة للنفس من خلال النظرة المتهيّئة لها، فإذا تهيّئت النفس الإنسانيّة تحقّق لها (العلم) من

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب تعجيل فعل الخير، ٣/٣٦٦، حديث رقم (٣/١٩٣٩).

(٢) سورة البقرة: ١٤٨.

(٣) جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/١٧٧- ١٧٨.

(٤) سورة العنكبوت: ٦٩.

(٥) تفسير التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي: ٢٥/٩٥.

الله، وهذا المعنى قريب من المعنى الذي تحدّث عنه النراقي، وقد ورد في تفسير الآية: "قال عزّ وجلّ يُرِيّ يعني رغبوا في طاعتنا" ينّ يعني لنعرّفهم طريقنا، ويقال: معناه لنرشدهم طريق الجنّة"^(١)، وذهب القرطبي في تفسير الآية إلى مجاهدة الكافرين وقتالهم قربة لله ونصرة لدينه وطلباً لمرضاته عزّ وجلّ، إذ ذكر الآية وقال: "أي: جاهدوا الكفّار فينا، أي: طلب مرضاتنا"^(٢)، وبهذا اتّجه تفسيره إلى منحى آخر وهو الجهاد العامّ إذ يشمل القتال في سبيل الله وفي دين الله والسعي في مرضاته، وكذلك ورد في تفسير معنى الآية: "يُرِيّ"، أي: صبروا وجاهدوا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) "ينّ" أي: لنثبتهم"^(٣). وروى فرات الكوفي (ت ٣٢٥هـ) في تفسيره عن الإمام الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى جلّ جلاله: "يُرِيّ ينّ" أنّه قال: "نزلت فينا أهل البيت"^(٤)، ومن تفسير الكوفي يتّضح أنّ المجاهدة في سبيل طريق العلم وتهذيب النفس بالسير على نهج القرآن الكريم واتّباع سنّة نبيه وآله الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) واتّباع خطواتهم بالعلم والمعرفة واكتساب مكارم الأخلاق والاجتهاد في ذلك وبذل أقصى الطاقات لكي ينال الإنسان العزّ والرفعة ويحقّق أسمى الأهداف الدنيويّة والآخريّة على حدّ سواء، وهذا ما ذكره الطبرسي في تفسيره، قال: "يُرِيّ" أي: جاهدوا الكفّار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا، وجاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منّا، وقيل معناه: اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة من عقابنا "ينّ" أي: لنهديّهم السبل الموصلة إلى ثوابنا"^(٥).

(١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ)، تحقيق وتعليق علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود - زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م: ٥٤٤/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ت ٦٧١هـ): ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ٣٩٠/٦.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، هاشم البحراني: ١٤٠/٢.

(٤) تفسير فرات الكوفي، أبي القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٢٥هـ)، من أعلام الغيبة الصغرى، تحقيق محمد عبد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م: ٣٢٠ / ١.

(٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٨ / ٣٣.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ ما ورد في الآية من مضمون يوجّهنا إلى أن ندرك أنّ الجهاد لا يخصّ الأمور المادّيّة أي القتال في سبيل الله فقط، وإنّما يتضمّن جهاد النفس وكلّ ما يتعلّق بها، من الهوى والشهوات، واتّباع خطوات الشيطان، والعمل وبذل الجهد، والاجتهاد في سبيل الخير والإصلاح^(١). وهنا يتطابق تفسير الآية مع ما طرحه الشيخ النراقي.

ومن الجهاد الأهمّ والأعظم هو جهاد النفس وتركيتها، وأهم طريق لها هو التقوى، وهو ترك الحرام، والعمل بالواجب عليها ممّا يستوجب العمل به دخول الجنّة في الآخرة، والحياة السعيدة الهانئة في الدنيا، فيصبح الإنسان عظيماً عند الله، عندما يسعى في سبيل الله، ومنها التعلّم، أي طلب العلم والانتفاع والعمل به في الحياة، ليحصل على هذه المرتبة العليا عند الله تعالى، فإنّ الخالق عزّ وجلّ، لا يتخلّى عن الإنسان المجتهد في طريقه، من غير أن يهديه ويمدّه بالعون والتوفيق إلى كلّ عمل يقربه إليه^(٢).

وفي هذا الزمان الذي نعيشه اليوم، إذ تسيطر فيه الحداثة والانعزال، والتكاسل، أو الإحساس بأنّ الاجتهاد لا يكون له نتيجة مثمرة، أو بلا جدوى تذكرنا هذه الآية الكريمة بأنّ هنالك فرقاً كبيراً بين من عزف عن العمل (همّته دنيّة)، وبين من يجتهد بعزيمة وإصرار (همّته عالية) ليحقّق الأهداف الجليلة التي ترضي الله تعالى وتقربه منه، فيصل إلى المبتغى السامي، والشرف والرفعة^(٣)، فيكون الشخص المحسن اليوم المتمثّل بكلّ عمل يقوم به من تلقاء نفسه وتطوّعا؛ ليقدم به التعليم، والتربية وابتكار المشاريع والأفكار، لإصلاح الذات الفرديّة، والروابط والعلاقات المجتمعيّة، فكلّ ذلك يكون من سبل الله التي يتوجّب الاجتهاد فيها، ومن خلال هذه الآية تكون الانطلاقة لنا في مضاعفة الجهود، وتصحيح النية الحسنة، وتقديمها على كلّ عمل نقوم به، سواء كان في تربية أو تعليم أو

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣/٨.

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/١٨١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١/١٧٧.

أيّ عمل مهنيّ يخدم البشرية جميعها، مع ثقة كبيرة بأنّ الله معنا، وأنّ العمل الحسن لا يضيع عند الله تعالى.

المطلب السابع: الكِبَر

إنّ الكبر من الصفات المذمومة التي تكون آثارها سلبية على الإنسان، في سلوكه وعلاقاته مع الآخرين بشكل عام ومع الله تعالى بشكل خاص، وهو نابع من فساد النفس والقلب، وبين الشيخ حقيقة هذا المفهوم وطريق معالجته.

الكِبَر في اللغة : "الكِبَر: الإثم، والكبير من الكبيرة كالخطأ من الخطيئة"^(١).

الكبر في الاصطلاح: "الكِبَر: هو اعتبار الإنسان نفسه خيراً من الآخر، كما أنّ الضعة هو أن يرى نفسه أقلّ من الآخر في مكان تعرّض فيه للتحقير"^(٢).

والكِبَر في المعنى القرآني: "الحالة التي يتخصّص بها الإنسان نفسه أكبر من غيره، وإعظام التكبر على الله الامتناع من قبول الحقّ والإذعان بالعبادة"^(٣).

إنّ من النعم المتتالية على الإنسان قد تكون في بعض الأحيان تكون مدعاة للتكبر على الآخرين الأقلّ منه، وهذه النعم سواء كانت مالاً أو جاهاً أو ولداً أو منصباً أو قوّة أو غيرها^(٤).

ويمكن القول: إنّ الكِبَر هو حالة نفسيّة باعته على تعظيم النفس بالارتفاع على الآخرين والتعالي عليهم وتحقيرهم، وقد يكون معه تقليل من شأن الناس أو تجاهلهم، أو تكبر عن حقّ الله بالعبادة وعمل الطاعات.

(١) كتاب العين، الخليل أبْن أحمد الفراهيدي: ٤ / ٥ (كبر).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٣٥٨.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٤٥.

(٤) ينظر : من وحي الأخلاق، حسين بن عبد الله الأسدي: ٩٨ .

ومنشأ الكبر هو غلظة في القلب، ويكون بإظهار ذلك بالتصرفات، أي بالأقوال والأفعال، كرفض النصيحة أو عدم المبالاة لآراء الناس والأعراف المجتمعية. **ثُمَّ أَتَى** □□□□□ **نَمْنِي** □□□□□□□□□□ **يُمِي** □ **ذُرِيَّ** ^(١)، وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) الكبر بأنّه الركون إلى رؤية النفس فوق الغير، وبعبارة أوضح: هو عزّة وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزيّة والرجحان عليه ^(٢).

ويشير النراقي (رحمه الله) إلى أنّ الكبر لا يكون مجرد شعور وحالة نفسية داخلية، بل هو ترفع وتعال وتعظيم للنفس، إذ يخرج عن الطريق السوي، ويربط بين الباعث الداخلي للكبر وبين السلوك الخارجي المتمرد، فالنفس المتكبرة تجعل الشخص يقوم بأعمال يظهر فيها تفوّقه أو اعتزازه بنفسه وذاته سواء بإظهار تفاخره وتعاليه أو احتقاره للآخرين ^(٣)، وقد ورد الشيخ أنّ الكبر في بعض الحالات يكون ناتجاً عن ضعف ونقص في الشخصية، أو مرض نفسي، أو خوف من اكتشاف الناس لحالته وضعفه، فيغطّي ذلك بالتكبر عليهم.

وذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) قوله تعالى: **ثَنِّي** □□□□□ **تِي** □□□□□ ^(٤)، وتفسير هذه الآية: "أي يختم الله بالكفر □□□□□ يعني متكبر عن عبادة الله تعالى" ^(٥)، أي: "يختم عليه فلا يعي خيراً، ولا يفقه الرشاد" ^(٦).

ويتّضح من تفسير الآية أنّها تشير إلى أنّ التكبر من صفات القلب الذي قد طبع عليه الله، أي إنّ التكبر لا يكون مجرد سلوك ظاهري، وإنّما هو حالة وشعور في داخل

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢٢٤/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢٤/١.

(٤) سورة غافر: ٣٥.

(٥) السمرقندي، نصر بن أحمد السمرقندي: ١٦٧/٣.

(٦) جامع البيان في تفسير القرآن، الأيجي: ١٦/٤.

القلب، إذ تجعل القلب مغلقاً على طبع الاستعلاء، فيكون بهذا الطبع صفة مطبقة وملازمة للتكبر والتجبر على الآخرين، وهي نقمة وغضب من الله تعالى على تلك القلوب القاسية المتجبرة، فيمنع الله تعالى عنها الهداية، ويجعلها مستحكمة للعناد، فلا ترجع للقبول أو النصح، فالمتكبر يتّصف كذلك بالعناد، ويكون مغلقاً على نفسه كلّ أبواب الرحمة، والإيمان أو التراجع، فيصبح قلبه متحجراً ومتقوقعاً على الباطل، وطريق الضلال، وذكر الكليني عن الإمام السّجاد (عليه السلام) في التكبر، قال: "قال عليّ بن الحسين (عليه السلام): عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفةً، ثم هو غداً جيفة" (١).

وفهم هذا المعنى للآية يحفزنا عملياً على أن لا ندع المجال للمتكبر أن يصغر من شأن الآخرين أو يتربص بهم، ليكونوا تحت سيطرة جبروته، وأن نذكر مزايا التواضع ومكانتها عند الله تعالى، لجلب القبول والبركة. وعلينا أن نتعرّف على أعراض الكبر كمرض نفسي، لتجنّب الوقوع فيه، ونحذّر الآخرين منه، وأن نجعل التواضع عادة يومية بالتمرّن عليها، ونتعلّم الاعتراف بالخطأ، وتصحيح السلوك والاستماع لمن يقدّم النصح والإرشاد، بدل العناد والاستبداد بالرأي، وأن نتقبّل الآراء المخالفة، ونحترم وجهات النظر، حتّى لو كانت مختلفة عن آرائنا، وأن نترك الاستعلاء ونتذكّر قدرة الله وعظمته، ونتعصّب بقصص المتكبرين والمتجبرين، وعاقبتهم الوخيمة، من خلال استذكار هذه الآية وتفسيرها (٢). وهنا يكون الوعي والإدراك الذي عززه الشيخ النراقي، في المفهوم القرآني هو الذي يسهم في تصحيح السلوكيات المنحرفة في المجتمع وجعلها أكثر رحمة؛ لتنعم النفوس بالسلام والأمان. وفي واقعنا اليوم نجد الكثير من الأشخاص يتّصفون بهذا المرض القلبي والنفسي فيرفضون قبول الآخرين أو النصح منهم، ويرفضون حتّى التأمّل

(١) الكافي، الكليني: كتاب الكفر والإيمان، باب الفخر والكبر، ٤ / ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١، حديث رقم (١/٢٦٤١).

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/ ٢٢٤.

في تصرّفاتهم وعيوبهم، وينظرون إلى الناصحين أو الإيجابيين بعين التصغير والاحتقار؛ فيكون من الصعوبة التعامل معهم أو تحويل مسارهم أو إصلاحهم.

المبحث الثاني

المفاهيم النفسية الأخلاقية

تعدّ دراسة المفاهيم الأخلاقية من أهم الموضوعات في بناء شخصيّة الفرد المسلم، وتقويم سلوكه وتوجيهه؛ لأنّ الأخلاق لا يمكن فصلها عن الحالة النفسية للشخص، بل تتعمّق هي وتتجذّر في داخل النفس الإنسانية؛ فتثمر في أفعاله وأقواله، وطريقة مواجهته المواقف المختلفة في الحياة، وقد كان هناك اهتمام كبير من القرآن الكريم بهذه المفاهيم؛ لما لها من الأثر الواضح في تهذيب النفس، وتعديل السلوك البشريّ وتقويمه. وفي مبحث (المفاهيم النفسية الأخلاقية) نهدف إلى بيان أهميّتها النفسية والأخلاقية المثبتة في النصوص الإسلامية، وإبراز دلالتها من جانب اللغة والاصطلاح، والكشف عن ما تحويه من معانٍ تساهم في تنمية وتطوير الشخصية الإنسانية المسلمة الصالحة، التي تعينه

على تحقيق التوازن في الحياة النفسية والأخلاقية. وقد عرّفنا في المبحث الأول المفاهيم النفسية في اللغة والاصطلاح، أمّا الأخلاق قد ذكرنا تعريفها في التمهيد، ويمكن أن نعرّف المفاهيم النفسية الأخلاقية بأنها: المعاني المتعلقة بحالة الشخص الداخلية وسلوكه الأخلاقي، التي تنشأ من اكتسابه الصفات والملكات النفسية التي تنعكس على تعاملاته مع نفسه ومع الآخرين. وهذه المفاهيم تشترك فيها الجوانب النفسية المتعلقة بالأحاسيس، والمشاعر الإنسانية، ودوافعها ونزعاتها مع الجانب الأخلاقي الذي يقود هذه المشاعر باتجاه السلوك القويم، الذي يطابق القيم الإنسانية والدينية ويتوافق معها.

المطلب الأول: كظم الغيظ

يُعد مفهوم كظم الغيظ من فضائل الأخلاق، ومن الصفات الراقية التي تسمو بالإنسان وترفع من شأنه، والتي عُني بها القرآن الكريم، لما تقدمه من شرف ورفعة، بقدر ضبط النفس وتهذيب السوك عند الغضب أو أيّ انفعال يتعرض له الشخص.

الكظم في اللغة: "هو الإمساك والجمع للشيء، من ذلك الكظم: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه"^(١). **والغيظ في اللغة:** "غضب كامن للعجز، وقيل هو أشدّ من الغضب"^(٢)، و"الغيظ: أشدّ غضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه، وقد دعا الله الناس إلى إمساك النفس عند اعتراء الغيظ"^(٣)، **والمعنى القرآني للكظم:** "الكظم مخرج

(١) معجم مقاييس اللغة، أبن فارس: ١٨٤/٥ (كظم).

(٢) لسان العرب، أبن منظور: ٤٥٠/٧، (غيظ).

(٣) التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي (ت ١٤٢٦ هـ)، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، إيران: ٣٦٤/٧ - ٣٦٦.

النفس، ويعبر به عن السكوت ... وكظم الغيظ حبسه"^(١)، معنى الحبس أي: "ردّه في الجوف إذ كاد أن يخرج من كثرتّه، فضبطه ومنعه كظم"^(٢).

ومما تقدّم يمكن أن نقول: إنّ كظم الغيظ: هو القدرة على التحكم بالنفس على حبس الغضب عند التعرّض لموقف يثير هيجانها ومنع إصدار الأقوال والأفعال التي تتدرج من الغضب، وقد تكون عواقبها لا تحمد، وذلك حسبان التقرب إلى الله تعالى؛ لأنّ الله يحب الكاظمين غيظهم.

وكظم الغيظ من الصفات الروحيّة التي تزكو بها النفس وتسمو، كما قال الرسول(صلى الله عليه وآله): "من يكظم الغيظ يأجره الله عزّ وجلّ"^(٣)، فعندما يكظم الإنسان غيظه ويكون حليماً في التعامل مع الأشخاص الذين يتصفون بالأخلاق السيئة والمتوحشة، ولا يتعامل معهم بمثل ما تعاملوا معه؛ يجب أن يناصره الناس ويقفوا بجانبه عكس الذي يتعامل معهم بالمثل^(٤).

وذكر الشيخ النراقي(رحمه الله) كظم الغيظ في قوله: "وأما كظم الغيظ فهو وإن لم يبلغ مرتبة الحلم فضيلة وشرافة، لأنّه التحلّم: أي تكلف الحلم، إلّا أنّه إذا واضب عليه حتّى صار معتاداً تحدث بعد ذلك صفة الحلم الطبيعيّ، بحيث لا يهيج الغيظ حتّى يحتاج إلى كظمه"^(٥)، وهنا وضّح النراقي(رحمه الله) أنّ لكظم الغيظ مرتبة أخلاقيّة رفيعة، وهذه المرتبة لا توجد بطبع البشر ولا تتحقّق إلّا بالتعويد وترويض النفس وتدريبها باستمرار،

(١) المصدر نفسه: ٤٧٧/١.

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين، إدارة الشؤون الإسلامية، قطر-الدوحة: ٦٠٧/٢-٦٠٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: كتاب النواذر، من ألفاظ الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ٢٧٧/٤، حديث رقم(٥٧٨٢).

(٤) ينظر: بحوث في الأخلاق وفلسفتها، عبد الرضا ناصر البهادلي: ٣١٤.

(٥) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١٩٧/١.

فالشخص قد لا يكون بطبعه حليماً، إنّما إذا ضبط الغضب وألزم نفسه وداوم على مسك الانفعال في وقت هيجانه؛ انتقل هذا السلوك إلى أحد الصفات الراسخة عند النفس الإنسانية، كما أكد أنّ صفة كظم الغيظ لا يقصد بها زوال الانفعال والغضب من القلب، وإنّما إمساكه ومنعه من التأثير الخارجي، مع قدرته على الانتقال؛ وذلك لغاية عظيمة، وهي ابتغاء مرضاة الله ربّ العالمين^(١)، ولذلك توصف هذه الصفة بأنّها من أعظم الفضائل وأشرفها، لما يترتّب عليها من تزكية للنفس وتهذيب للسلوك، ليتحصّل كاظم الغيظ بذلك على استحقاق الثناء الربّاني والأجر العظيم والثواب الكبير.

وقد استشهد النراقي (رحمه الله) بقوله تعالى: **أَأْمِنِّي** □ □ □ □ □ □ □ □ **يِي** □ **ذُرَّ** (2)، وقد ورد في تفسير الآية الكريمة: "أَأْمِنِّي" يعني المردّدين الغيظ في أجوافهم ... ومعناه: الذين إذا أصابهم الغيظ تجاوزوا ولم يعاقبوا، **أَأْمِنِّي** ... يعني عن المملوكين، ويقال: **أَأْمِنِّي** بعد قدرتهم عليهم، فيعفوا عنهم، **أَي** □ **ذ** من الأحرار والمملوكين، ويقال: الذين يحسنون بعد العفو ويزيدون عليه إحساناً⁽³⁾، وقيل في تفسيرها أيضاً: "أَأْمِنِّي": الكافين عن إمضائه مع القدرة عليه، **أَأْمِنِّي** □ □ □ □ **يِي**: التاركين عقوبة من استحقّها، **أَي** □ **ذ**: إشارة إلى أنّ هؤلاء في مقام الإحسان⁽⁴⁾.

ويتّضح ممّا تقدّم من التفسير أنّ كظم الغيظ من الصفات المهمّة، وهي المرتبة الأولى في تهذيب النفس وتركيتها، فعندما يحبس الإنسان المؤمن غيظه من الظهور فينتقل إلى مرحلة أعلى هي العفو عند المقدرة، ثمّ يسمو حتّى يبلغ الدرجة القصوى من الكمال الخلقى من الإحسان، أي يقابل إساءة الآخرين بالإحسان إليهم، وهي درجة رفيعة لا ينالها إلاّ المجتهدون في طاعة الله ومحبّته، فهذه الصفة جعلها الله من الصفات التي خصّ بها عباده الصالحين المتّقين.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١٩٧/٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) تفسير السمرقندي، نصر بن أحمد السمرقندي: ٢٩٩/١.

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن، الأيجي: ٢٩٣/١ - ٢٩٤.

كما يتّضح أنّ كظم الغيظ هو منهج أخلاقيّ وتربويّ قرآنيّ الهدف منه نمو الإنسان وتطوّره نحو الكمال الإنسانيّ، كما روي "عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (من أحبّ السبيل إلى الله عزّ وجلّ: جرعتان: جرعة غيظٍ تردّها بحلمٍ، وجرعة مصيبةٍ تردّها بصبرٍ)"^(١)، وذكر في رواية عن "عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان عليّ بن الحسين يقول: (ما أحبّ أنّ لي بذل نفسي حمر النعم، وما تجرّعت جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها)"^(٢)، يعني: ما أَرْضَى أن أذلّ نفسي ولي بذلك حمر النعم، أي: كرائمها، وهي مثل في كلّ نفيس، ونَبّه بذكر تجرّع الغيظ عقيب هذا على أنّ في التجرّع العزّ وفي المكافاة الذلّ^(٣)، وقد كان الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) يُلقّب بـ(الكاظم)؛ لأنّه كان يتّصف بهذه الفضيلة الجليلة، بل كان المصداق الأكبر لكظم الغيظ.

وفي واقعنا المعاصر إذ تتكاثر الضغوطات النفسيّة، وتتسارع الأحداث، وتتعدّد المواقف التي تثير غضب الفرد، في العمل، أو في الأسرة، أو في المجتمع، فتظهر هنا الحاجة الماسّة والضروريّة إلى هذه الصفة الجليلة وهذا الخلق الكريم، فالذي اتّصف به أقدر على اتّخاذ القرارات الصحيحة باتّزان ورويّة ورشد، ويكون بعيداً عن الهيجان السريع، والانفعال المدمّر، وذلك ممّا يساهم في بناء العلاقات الإنسانيّة وتعزيزها، ونشر التسامح بين الناس، وبذلك تساعد هذه الفضيلة الأخلاقيّة على بناء مجتمع واعي ومتعاونٍ ومتماسكٍ.

المطلب الثاني: عزّة النفس

(١) الكافي، الكليني: كتاب الأيمان والكفر، باب كظم الغيظ، ٢٨٦/٣، حديث رقم (٩/١٨٠٦).

(٢) المصدر نفسه: كتاب الإيمان والكفر، باب كظم الغيظ، ٢٨٢/٣، حديث رقم (١/١٧٩٨).

(٣) ينظر: الكافي، الكليني: ٢٨٢/٣ (الهامش).

إنّ مفهوم عزّة النفس من الأخلاق الإيمانيّة المهمّة التي تساعد في تكوين الشخصية القوية للإنسان المؤمن بالله واليوم الآخر، والتي تعبر عن رفعة النفس وابتعادها عن كلّ ما ينقص هيبتها، في طريق الحقّ، وترك طريق الذلّة والمهانة.

العزّة في اللغة: "العزّة في الأصل: القوّة والشدّة والغلبة والرفعة والامتناع"^(١).

العزّة في الاصطلاح: "حالة مانعة للإنسان من أن يُغلب"^(٢).

والعزّة في المعنى القرآني: تعني القوّة بعد الذلّ، ويمدح بها تارةً ويذمّ بها تارةً، كعزّة الكفّار^(٣). ويمكن القول: إنّ عزّة النفس من القيم الإيمانيّة العظيمة التي تعبّر عن رفعة النفس وكرامتها وقوتّها، وتعاليتها بطريق الحقّ والعطاء، وتمنع النفس من الذلّة والخضوع لما لغير الله تعالى، وهي لا تعني التكبر والاستعلاء على الآخرين، إنّما هي الثبات على المبادئ، وتجعل المؤمن عزيزاً لانتمائه لله، وقويّاً في شخصيّته وذاته، ويكون قادراً على مواجهة المحن ولا تذلّه الظروف، "فالصادق تأبى عليه نفسه الكريمة، ودينه القويم أن يكذب؛ فيسلم بذلك من تبعات الكذب، وينأى بنفسه عن ذلّ الاعتذار، والتماس المسوّغات، التي لا بدّ للكذاب أن يقع فيها"^(٤)، وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، أنّه قال: "من أخرجّه الله عزّ وجلّ من ذلّ المعاصي إلى عزّ التقوى أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله عزّ وجلّ أخاف الله منه كلّ

(١) تاج العروس، السيد الزبيدي: ٢١٩/١٥ - ٢٢٠ (عزّ).

(٢) المصدر نفسه: ٢١٩/١٥.

(٣) ينظر: تاج العروس، السيد الزبيدي: ٢١٩/١٥ - ٢٢٠ (عزّ).

(٤) بحوث في علم الأخلاق وفلسفتها، عبد الرضا ناصر البهادلي: ٢٢٨.

شيء...^(١)، وكذلك يتبين معنى العزة في قول الإمام الحسين (عليه السلام): "إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُسِيئُ وَلَا يَعْتَذِرُ، وَالْمَنَافِقُ كُلُّ يَوْمٍ يُسِيئُ وَيَعْتَذِرُ"^(٢).

وذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) العزة في قوله: "صغر النفس، من نتائج الجبن، ومن خباثت الصفات، وتلزمه الذلة والمهانة، وعدم الاقتحام في معالي الأمور، والمسامحة في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، والاضطراب بعرض أدنى شيء من البليات والمخاوف، وقد ورد في الأخبار بأن المؤمن بريء عن ذلة النفس ... فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً"^(٣).

وقد بين النراقي (رحمه الله) أن العزة من آثار رفعة النفس وتعاليتها وصلاحها، وأن نفس المؤمن عزيزة ترفض الدناءة، ولا تقبل بالذل والهوان؛ لأنها غنية، وستقويه بالله تعالى عن غيره. وقد وافق النراقي (رحمه الله) بين سلامة النفس من الخوف والاضطراب بالعزة، ولذلك فالمؤمن إذا تعاضمت نفسه بالإيمان قلّت وصغرت في عينه الصعاب والشدائد، ولم يضعف ولا يستكين أمام المحن؛ لأن هذه العزة مصدرها نابع من اتصاله وعلاقته بالله عز وجل لا بالبشر^(٤).

وقد ذكر النراقي (رحمه الله) قوله تعالى: □ □ □ □^(٥) وقد أورد القرطبي هذه الرواية في تفسير الآية: "روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول^(١) قال لأبيه:

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: باب النوادر، ٤ / ٣٠٢، حديث رقم (٥٨٩٠).

(٢) تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين شعبة الحراني (ت ٣٨١ هـ)، صححه علي أكبر الغفاري مؤسسة النشر الإسلامية، قم - إيران، ١٤٠٤ هـ: ٢٤٨. وفي بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام: ١٢٥/٧٥، هوية الحديث (٢٦٩٣٨٣)، رقم (١٦)، باب ٢٠ مواضع الحسين بن أمير المؤمنين صلوات الله عليهما.

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١٧٦/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٦/١.

(٥) سورة المنافقون: ٨.

والذي لا إله هو لا تدخل المدينة حتى تقول: إِنَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الأعزُّ وأنا الأدلُّ؛ فقال، توهّموا أَنَّ العزة بكثرة الأموال والأتباع، فبين الله إِنَّ العزة والمنعة والقوّة لله^(٢)، وقد ذكرت رواية في معنى هذه الآية أيضاً في تفسير نور الثقلين، إذ قال الإمام الصادق (عليه السلام): "إِنَّ الله تبارك وتعالى فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوّض إليه أن يذلّ نفسه، ألم تسمع لقول الله تعالى: □ □ □ □، فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً يعزّه الله بالإيمان والإسلام"^(٣).

ويتبيّن ممّا تقدّم أَنَّ الآية تدلّ على المصدر الأساسي للعزّة الحقيقيّة الذي هو من الله تعالى، والله تعالى منحها للرسول وللمؤمنين بعد إيمانهم وإخلاصهم، وصدق عهدهم، وتبيّن من التفسير أَنَّ لا عزّة بدون الله، بل إنّ بدونه تكون الذلّة، فمن طلب العزّة ابتغاء طاعة الله تعالى منحه الله العزّة.

والعزّة لا تكون بالمال، أو الجاه والسلطان، بل بالتعلّق بالله الواحد الأحد والالتزام بمنهج القرآن القويم، فالعبد المؤمن يعزّه الله بإيمانه، حتّى إن كان فقير الحال والمال، ويجعله قوياً بما عقد عليه قلبه من الإيمان وإن كان ضعيف الجسد، "لقد ورد في كثير من التعاليم الإسلامية بيان حالة المناعة النفسية والإحساس بالشرف تحت عنوان (عزّة

(١) "هو ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم - وسالم هو الذي يقال له الحُبلى لعظم

بطنه- بن غنم بن عوف بن الخزرج، الأنصاري الخزرجي، المعروف والده بأبن سلول المنافق المشهور، وسلول الخزاعية هي والدّة أبيّ، وقد كان عبد الله بن عبد الله من سادة الصحابة وأخيارهم، وكان اسمه الحُبّار، وبه كان أبوه يكنى، فغيره النبيّ، (صلى الله عليه وآله وسلم)، وسماه عبد الله وشهد بداراً وما بعدها وأستشهد عبد الله يوم اليمامة [١١هـ]، وقد مات أبوه سنة تسع"، سير أعلام النبلاء،

الأمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ): ١٠ / ٣٢١-٣٢٢.

(٢) الجامع الأحكام القرآن، القرطبي: ١٠ / ٥٠٥-٥٠٦.

(٣) تفسير نور الثقلين، عبد علي بن بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢هـ)، تحقيق علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١: ٣٧٠/٧.

النفس)، وعلى رأسها تعبير القرآن الكريم: "□ □ □ □"، فلا بد أن يكون عزيزاً، فالعزة تليق به وهو يليق بالعزة، وهذا نوع من الاهتمام بالنفس^(١).

ومن الناحية التربوية فالعزة من المفاهيم القرآنية المهمة والضرورية، التي تربي النفس الإنسانية على القيم والكرامة وعلى القوة والثبات، فتحرر الإنسان من التبعية، ومن الخوف، فيكون بها إيجابياً في حياته الواقعية، ويكون بها عنصراً متفاعلاً في المجتمع، وكله ثقة بخالقه، وهنا يبرز جوهر العزة في التأثير والتأثر التربوي الذي يهدف إليه القرآن في بناء الإنسان المسلم وتطوره^(٢). وفي الواقع المعاصر الذي تزداد فيه التحديات والأزمات النفسية، والتعجب والانبهار بالقوة المادية، والسيطرة الفكرية، تظهر العزة فتمثل حاجة من الحاجات التربوية المهمة، إذ تعطي الفرد قوة ومناعة تكون له كالحصن الذي يحميه من الذل والاستغلال، فتجعله متمكناً وقادراً على الجهر بالحق وتقديم النصح، ورفض كل أشكال الظلم، والمحافظة على هويته الإسلامية وقيمه الإنسانية، فهي وعي وإدراك عقلي وروحي ونفسي، ينعكس في طريق الثبات السلوكي على الطريق المستقيم، والاعتزاز بالعقيدة يحقق التوازن في التعاملات مع كل ظروف الحياة.

المطلب الثالث: الإيثار

الإيثار من المفاهيم الأخلاقية التي أشار إليها القرآن الكريم، ولها تأثير في تركية النفس ودعم أواصر المحبة بين الناس بما يصلح العلاقات داخل المجتمع، وهو ينشأ من الفطرة السليمة، ونزاهة النفس وترفعها عن حب الذات والأنانية، وقد أورد الشيخ النراقي (رحمه الله) هذا المفهوم لما له من أهمية كبيرة في إصلاح الحياة الفرد دينياً وعملياً.

(١) التعليم والتربية في الإسلام، مرتضى مطهري، ترجمة أحمد القباني، قلم مكنون، شريعة، قم .
إيران، ط١، ١٣٨٥هـ: ١٨٥١.

(٢) ينظر: جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١/١٧٦-١٧٧.

الإيثار في اللغة: قال الخليل: "المأثرة: المكرمة، وإنما أخذت من هذا، لأنها يَأْثُرُها قَرْنٌ عن قرن، يَتَحَدَّثُونَ بها ... والأثير الكريم، تَوَثَّرَ بفضلك على غيره"^(١). **الإيثار في الاصطلاح:** قال الكفوي: "آثر على نفسه: بالمد من الإيثار، وهو: الاختيار"^(٢).

والإيثار في المعنى القرآني: "آثره وأثراً وأثارةً وأثرةً، وأصله تتبعت أثره، والمآثر ما روي من مكارم الإنسان"^(٣).

ويمكن أن نقول: إن الإيثار يعدّ من أجلّ وأسمى القيم التربويّة والأخلاقيّة التي تسمو بالنفس الإنسانيّة وتركّيها، إذ يعمل على تقديم مصلحة غير المحتاجين على حاجة الشخص ومصلحته الذاتيّة بوازع إيمانيّ، وغاية سامية، وخالصة لله تعالى، وفيه يتجلّى نبذ الأنانيّة، والابتعاد عن حب التملّك. "وينقسم الإيثار إلى ثلاثة أقسام: الأوّل: إيثار الخالق على المخلوق، الثاني: إيثار الرسول (صلى الله عليه وآله) بالاتباع على غيره من البشر، الثالث: الإيثار المشروع بين الخلق"^(٤).

ويكون الإيثار سلوكاً يقوم الشخص فيه بـ"التصرّف بدافع من مصلحة الآخرين؛ ما يدلّ على مستويات أعلى من الإنسانيّة والمشاركة"^(٥)، فهو من السلوكيّات الأخلاقيّة والتربويّة التي تنتج عن سمو الروح ونضوج النفس، ويسهم في بناء المجتمع، وهو من الصفات الأخلاقيّة الحميدة التي حثّ عليها أهل البيت (عليهم السلام) فقد روي عن أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) "قال: قلت له: أوصني، فقال: آمُرْكَ بتقوى الله، ثمّ

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٥٦/١ (أثر).

(٢) الكليات، الكفوي: ٤٠/١.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١٠/١.

(٤) مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة، سعدي حمود الشمري، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م، ط ١: ٢١٠.

(٥) السلوك الاجتماعي الإيجابي وعلاقته بأساليب الحياة الشخصية لدى طلبة الجامعة، الدكتور حسن فلاح حسن علي، مجلة كلية التربية، واسط، المجلد ٦١، العدد ٢، (بحث منشور)، ٢٠٢٥: ٤١٩.

سكت، فشكوت إليه قلّة ذات يدي، وقلت: والله، لقد عريت حتّى بلغ من عريتي أنّ أبا فلان نزع ثوبين كانا عليه، وكسانيهما، فقال: صُم، وتصدّق، قلت: أتصدّق ممّا وصلني به إخواني وإن كان قليلاً؟، قال: تصدّق بما رزقك الله ولو آثرت على نفسك^(١). وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) في كلامه الإيثار فقال: "أرفع درجات الجود والسخاء الإيثار، وهو أن يجود بمال مع الحاجة إليه، وروي: أنّ موسى بن عمران قال: يا ربّ، أرني بعض درجات محمّد وأمتّه، قال: يا موسى، إنّك لن تطيق ذلك، لكنّي أريك منزلة من منازلهم، جليلة عظيمة، فضّلتها بها عليك وعلى جميع خلقي، قال: فكشف له عن ملكوت السماوات، فنظر إلى منزلة كادت أن تتلف نفسه من أنوارها وقربها من الله، فقال يا ربّ، بماذا بلغ إلى هذه الكرامة؟ قال تعالى: بخلق اختصاصته به من بينهم، وهو الإيثار، يا موسى، لا يأتيني أحد منهم قد عمل به وقتاً من عمره إلّا استحيت من محاسناته، وبوّأته من جنّتي حيث يشاء"^(٢). وبهذا الكلام بيّن النراقي (رحمه الله) أنّ الإيثار الذي هو مرتبة عليا من مراتب التربية والتّهذيب لا يتحقّق إلّا إذا جاهد الإنسان نفسه من حبّ التعلّق بالذات والمصالح الشخصية، فالفرد المؤثر كما ذكر النراقي (رحمه الله) قد تخطّى مرحلة العدل في التعاملات إلى مرحلة الإحسان، إذ إنّهُ يقدّم حوائج على نفسه غيره وهو محتاج إليها، ذلك ليس لضعف، بل لقوّة نفس منبعثه من التوكّل على الله وثقة به تعالى أنّه سيعوّضه أضعافاً مضاعفة.

كما أكّد النراقي (رحمه الله) أنّ هذا السلوك الأخلاقي لا يخرج إلّا من نفس مطمئنّة مهذبّة، وقد ذكر قوله تعالى: **الْأَخْلَاقُ**^(٣)، وتفسير الآية كما ذكر ابن كثير: "يعني: حاجة، أي: يقدّمون المحاويع على حاجة أنفسهم، ويدبّون بالناس قبلهم في حال

(١) الكافي، الكليني: كتاب الزكاة/(٦٢)، باب الإيثار، ٢٤٨/٧-٢٤٩، حديث رقم(٦٠٧٢) ..

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣٠٥/٢ .

(٣) سورة الحشر: ٩.

احتياجهـم إلى ذلك، وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله: "أ□□□□" (١)، فإن هؤلاء يتصدقون وهم يحبون ما تصدقوا به، وقد لا يكون حاجة إليه ولا ضرورة به، وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه" (٢)، ويتبين أن المفسر هنا قد غالب حالة من الإيثار على حالة أخرى منه بناء على أن ما آثره الذين أطعموا الطعام قد كان محبوباً عندهم، في حين أن الذين آثروا على أنفسهم قدّموا ما عندهم مع حاجتهم إليه؛ فيكونون بذلك أفضل من سابقهم، وكما يتضح هنا أن الفريقين قد آثروا على أنفسهم بما عندهم، والثاني الذي آثر ما يحب أعلى درجة من الأول الذي آثر ما له فيه حاجة، فإن حب الشيء وإيثاره على غيره لا يكون إلا بعد أن يكون لهم فيه حاجة، فضلاً عن أن الحب هنا قد لا يكون للشيء المؤثر بل هو الحب لله أي أنهم آثروا غيرهم بما عندهم حباً بالله تعالى (٣). وبهذا التفسير تكون منزلة هؤلاء أعلى وأسمى بما لا يقبل الشك، قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: "أ□□□□ أي: على حب الطعام، والمعنى: يطعمون الطعام أشد ما تكون حاجتهم إليه، وصفهم الله سبحانه بالأثرة على أنفسهم، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: (ما من مسلم أطعم مسلماً على جوعٍ إلا أطعمه الله من ثمار الجنة، وما من مسلم كسا أخاه على عريٍ إلا كساه الله من خضر الجنة، ومن سقى مسلماً على ظمإٍ سقاه الله من الرحيق)، قال ابن عباس: يطعمون الطعام على شهوتهم له ومحبتهم إيّاه، وقيل: الهاء كناية عن الله تعالى، أي يطعمون الطعام على حب الله" (٤).

(١) سورة الإنسان: ٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٨/ ٧٠-٧١.

(٣) ينظر: المصدر نفس: ٨/ ٧١٧٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ١٠/ ١٦٤. وفي كنز الدقائق و بحر الغرائب: ١٤/ ٥٧،

(٤٢٥٤٢٦)، وفي تفسير نور الثقلين: ٥/ ٤٧٨.

وكذلك ورد في تفسير البرهان عندما سُئل أبو عبد الله (عليه السلام)، قال "عن الرجل ليس عنده إلا قوت يومه، أعطف من عنده قوت يومه على من ليس عنده شيء، ويعطف من عنده قوت شهر على من دونه، والسنة على نحو ذلك كله الكفاف الذي لا يلام عليه؟ فقال: (هو أمران، أفضلهم فيه أحرصهم على الرغبة والأثرة على نفسه، فإن الله عز وجل يقول: ﴿أُولَئِكَ خِلَافَتُهُمْ﴾، والأمر الآخر لا يلام على الكفاف، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول)"^(١).

ومما تقدّم يتّضح أنّ الإيثار خُلِقَ نفسيّ كريم، فعندما يقدّم الإنسان لغيره ما يحبّه ويحتاجه، فهذا تعالٍ روحيّ ونفسيّ، وهو من الأخلاق الشريفة والمنازل الرفيعة، إذ إنّ هذا الفعل يعبر عن الإيمان العميق للقلب وتهذيب النفس؛ لأنّ الإيثار لم يكن من الفائض أو الزائد، وإنّما هو بذل الشيء العزيز والأكثر احتياج إليه وتقديمه لغيره؛ مما يكشف عن الجوهر الحقيقيّ لصفاء القلوب وفطرتها السليمة.

والإيثار ينمي روح العطاء والتضحية في الإنسان فيتحرّر الفرد من قيود الأنانيّة المبالغ بها، والتي تنتشر في المجتمعات المعاصرة، وفي هذا الواقع الذي يسود عليه المادّيّات والسعي وراء الأموال وجمعها وتكثيرها، بغضّ النظر على طريقة جمعها، فيكون تأثير ذلك التنافس بين الأفراد، يمثّل الإيثار عملاً كبيراً، وقيمة إنسانيّة، وعلاجاً قادراً على إرجاع التوازن الاجتماعيّ والنفسي، وتثبيت روح التكافل والتعاون بين أفراد المجتمع، وإنّ غرس هذا الخُلُق في النفوس يساعد في بناء نفوس طاهرة ونقيّة، وتكوين شخصيّات مؤثّرة وإيجابيّة في المجتمع تكون أكثر إحساساً بتحمّل المسؤوليّة تجاه المحتاجين من بني جنسهم، وذلك يحدث أثراً كبيراً في نفوس المتلقّين المحتاجين.

(١) البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني (ت ١٠٧٠ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، قم . إيران، ط ١، ١٤١٥ هـ: ٥٠٠/٧. في الكافي، الكليني: كتاب الزكاة، باب الإيثار، ٢٤٧/٧-٢٤٨، حديث رقم (١/٦٠٧١).

المطلب الرابع: التآلف

إنّ مفهوم التآلف من الصفات الأخلاقية والروحية التي تساهم في توحيد المجتمع وإعادة تماسكه، وتعزيز روح المودة والتعاقد والتلاحم بين الأفراد، إذ يؤدي إلى إزالة كلّ أسباب الاختلاف والعنصرية والخصومة، وعلى هذا الأساس تناول الشيخ النراقي (رحمه الله)، هذا مفهوم الأخلاقيّ وبيّن أثره في تحقيق التوازن في المجتمع.

التآلف في اللغة: "أَلَفْتُ الشَّيْءَ وَأَلَفْتُ فُلَانًا إِذَا أَنْسَتَ بِهِ، وَأَلَفْتُ بَيْنَهُمْ تَأْلِيفًا إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقٍ"^(١). **التآلف في الاصطلاح:** "الألفة: اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش"^(٢). **و في المعنى القرآني:** "الإلف اجتماع مع التّام"^(٣).

يمثّل التآلف أحد القيم التربويّة والأخلاقية في القرآن، ولها أثر كبير ومهم في بناء الإنسان والمجتمع، إذ يعمل على اجتماع الأفتدة، والأرواح بين الناس، بعضهم ببعض على المحبة والتلاحم، وبذلك يتحقّق التوازن النفسي والاجتماعي لدى الأشخاص في مجتمعهم، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): "الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف"^(٤)، فالتآلف لا يكون تقارباً فقط بين الأفراد من الناحية الظاهرية، إنّما يكون حالة وجدانية وروحية تنبعث من نقاء النفس وعمق الإيمان وثبات المبادئ.

(١) لسان العرب، أبن منظور: ٩ - ١٠ (ألف).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٣٨.

(٣) ينظر: الحقائق في محاسن الأخلاق قرة العيون، الفيض الكاشاني: ٣١٧ - ٣١٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: باب النوادر، ٢٧٩/٤، حديث رقم (٥٨١٨)، باب النوادر.

وقد ذكر الشيخ آيات كثيرة عن التآلف؛ منها قوله تعالى: **أَأَنِي** □□□□□□□□ **يَمِي** □
ذُرِي □□⁽²⁾، وفي بيان معنى الآية هناك تفاسير كثيرة، منها تفسير ابن عطية
 إذ قال في تفسيرها: **أَأَنِي** □□□□ الآية، وهذه إشارة إلى العداوة التي كانت بين (ت ٥٤١هـ)
 الأوس بالهـ، وعدّت هذه النعمة ثابتة لمحمد (صلّى الله عليه وآله وسلم)، أي: كما لطف
 بك أولاً فكذاك يفعل ثانياً، وقال ابن مسعود نزلت هذه الآية في المتحابين في الله⁽³⁾،
 وورد في تفسير القمي: "عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنّ هؤلاء قوم كانوا معه من
 قريش فقال الله: **أَأَنِي** □□□□□□□□□□ **نَمِي** □□□□□□□□ ... إلى آخر الآية)، فهم الأنصار،
 كان بين الأوس والخزرج حرب شديدة وعداوة في الجاهلية [قبل الإسلام] فألف الله بين
 قلوبهم ونصر بهم نبيّه (صلّى الله عليه وآله)، فالذين أَلّف بين قلوبهم هم الأنصار
 خاصّة⁽⁴⁾، أي: إنّ القرآن ذكر التآلف "وأراد بتأليف القلوب ما كان بين الأوس والخزرج
 من المعاداة والقتال سنين متطولة، فإنّه لم يكن حيّان من العرب بينهما من العداوة مثل
 ما كان بين هذين الحيين؛ فألف الله بينهم حتّى صارا متوارثين متحابين ببركة محمد

(٤) تفسير القمى، على بن إبراهيم القمى: ٢٧٩/١.

(صلى الله عليه وآله)، ولو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعاً لم يمكنك جمع قلوبهم على الألفة وإزالة ضغائن الجاهلية، إنه غالب في أمره أفعاله^(١). والآية تدلّ على حقيقة التآلف، وأنه لا يتمّ أو يتحقّق لا بالمال، ولا بالقوّة؛ إنّما يتحقّق بأسبابه التي هي التوفيقات الربّانية، والتآلف يمثلّ نعمة إلهية، أنعمها الله تعالى على عباده، إذ إنه يهيئ القلوب للوئام والقبول.

وقد أوضحت التفاسير أنّ للتآلف آثاراً إيمانية، كما أنّ تآلف القلوب ووحدتها، أعظم من وحدة الأجساد، فهو تقوم على أساس محبة الله ورابطة الإيمان والعقيدة والقيم الإنسانية، ولا يقوم على المصالح الذاتية الدنيوية الزائلة.

ومما تقدّم يتّضح أنّ التآلف من القيم التربوية والنفسيّة القرآنية السامية، تنشأ على أساس المحبة في الله، ويعدّ التآلف من الأساسيات المهمّة في التعايش السلمي في المجتمع، وتقوية انسجام الإنسان مع الآخرين، وهو من رحمة الخالق بالمؤمنين.

وفي واقعنا المعاصر الذي قد يظهر فيه تصاعد الخلافات والنزاعات الفكرية والاجتماعية، وتلاشي روح الأخوة والجماعة، تتّضح وتبرز مكانة التآلف وأهميته كونه قيمة إنسانية، وإصلاحية تربوية، ترجع للبشر إنسانيتهم، وتعيد تماسك المجتمع ووحدته وتلاحمه، فتعزيز هذا الخلق وغرسه في نفوس الأفراد يساهم في نشر الوعي والثقافة لقبول حوار الآخرين واحترام آرائهم؛ بعيداً عن التعصّب الطائفيّ أو العرقيّ، وفيه معاملة الآخرين على أساس الإنسانية المشتركة، والعمل المشترك، فيحدّ من مظاهر التفرقة والعنف؛ ممّا ينعكس بذلك على الاستقرار النفسي والتوازن الإيجابي بين أفراد المجتمع.

المطلب الخامس: الخوف من الله

(١) تفسير مقتبسات الدرر، السيد مير علي الحائري الطهراني: ١٢٩/٥

لا يخفى على أحد أنّ مفهوم الخوف من الله، هو الوازع الأساسي في أغلب الأعمال الصالحة التي تقرب العبد إلى خالقة العظيم، وتزكي النفس وتطهر الروح، فيؤدي هذا الخوف من الله (عز وجل) إلى تهذيب السلوك البشري؛ ممّا يستوجب رضا الله تعالى، وقد أورد الشيخ النراقي هذا المفهوم مبيناً أثر هذا المفهوم في سعادة الإنسان المؤمن.

الخوف في اللغة: قال ابن فارس: "الْخَاءُ وَالْوَاوُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الدُّعْرِ وَالْفَرَجِ"^(١). **والخوف في الاصطلاح:** قال الشريف الجرجاني: "الخوف: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب"^(٢).

والخوف في المعنى القرآني: "توقع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة، كما أنّ الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمانة مظنونة أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن"^(٣).

والخوف من الأمور التي تتضمن الخطر واقعاً، وهو أحد الحالات الروحية الطبيعية في الإنسان، ولولا هذه الحالة عند الشعور بالخطر سيفقد الإنسان حياته^(٤)، وأفضل الخوف وأشرفه وأعلى مراتبه هو الخوف من الله تعالى، وبه يصل الإنسان إلى مراتب عليا، قال الإمام الصادق (عليه السلام): "من خاف الله، أخاف الله منه كل شيء؛ ومن لم يخف الله، أخافه الله من كل شيء"^(٥).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٢: ٢٣٠/ (خوف) .

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٠٦ .

(٣) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢١٥.

(٤) ينظر: الأخلاق في القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، بالتعاون مع مجموعة من الفضلاء، مدرسة الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم-إيران، ط٢، ١٤٢٦ هـ: ٢٢٢/٢.

(٥) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الخوف والرجاء، ١٧٥/٣، حديث رقم (٣/١٦٠١).

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن الخوف من الله تعالى: "الخوف منزلة من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، وهو أفضل الفضائل النفسانية، إذ فضيلة الشيء بقدر إعانته على السعادة، ولا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه، ولا وصول إليها إلا بتحصيل محبته والأنس به، ولا يحصل ذلك إلا بالمعرفة، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر، ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر، ولا تتيسر المواظبة على الفكر والذكر إلا بانقلاع حب الدنيا من القلب، ولا ينقلع ذلك إلا بقمع لذاتها وشهواتها، وأقوى ما تنقمع به الشهوة هو نار الخوف، فالخوف هو النار المحرقة للشهوات، فإذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات ويكف من المعاصي ويحث على الطاعات، ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف ... وقيل: من أنس بالله، وملك الحق قلبه، وبلغ مقام الرضا، وصار مشاهداً لجمال الحق لم يبق له الخوف، بل يتبدل خوفه بالأمن، كما يدل عليه قوله سبحانه: **لَمْ يَلْمِ يَاسِينَ** (١)، إذ لا يبقى له التفات إلى المستقبل، ولا كراهية عن مكروهه، ولا رغبة إلى محبوبه، فلا يبقى له خوف ولا رجاء، بل صار حاله أعلى منها" (٢)، وبهذا الكلام أشار النراقي (رحمه الله) إلى أن فضيلة الخوف من فضائل الدين الحنيف، وهو من المنازل العظيمة من منازل الإسلام، ومقام رفيع من مقامات المؤمنين الموقنين، وأن له أثراً مهماً في السعادة، وبه يصل الإنسان إلى سعادة القرب من الله تعالى ورضاه، ولا سبيل إلى الحصول عليها إلا بالفوز بمحبته، والحصول على الأنس به، ولا يتم ذلك إلا بالوقاية من الغفلة وإدراك النفس من الضياع. فيمنع المسلم الاستقامة في العقل والفكر، والعمل، تبعده عن طريق الوقوع بالشهوات والذنوب المهلكة.

كما يرى النراقي، أن النفس لا تتحرز عن المعاصي إلا بالخوف من الله، ويتفاوت درجات الخوف عند البشر، بسبب مستويات تفكيرهم ومعرفتهم، وأحوال القلوب، ومدى تهذيب نفوسهم، فالخوف يساعد على السيطرة على النفس وضبط أخلاقها وسلامتها، وقد ذكر قوله تعالى: **أَيُّ يَوْمٍ ذُرِّعُ** (٣) (١)، وفي تفسير هذه الآية قال الخطيب الإسكافي

(١) سورة الأنعام: ٨٢.

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/١٥٥ .

(٣) سورة الرحمن: ٤٦.

(ت ٤٢٠هـ): "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنْعَمٌ عَلَى عِبَادِهِ نِعْمَتَيْنِ: نِعْمَةُ الدُّنْيَا، وَنِعْمَةُ الدِّينِ، وَأَعْظَمُهَا فِي الْأُخْرَى، وَاجْتِهَادُ الْإِنْسَانِ رَهْبَةً مِمَّا يُؤْلِمُهُ أَكْثَرُ مِنْ اجْتِهَادِهِ رَغْبَةً فِيمَا يَنْعَمُهُ، فَالْتَرَهيبُ زَجَرَ عَنِ الْمَعَاصِي وَبَعَثَ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَهُوَ سَبَبُ النِّفْعِ الدَّائِمِ، فَأَيَّةُ نِعْمَةٍ أَكْبَرُ إِذَا مِنْ التَّخَوُّفِ بِالضَّرَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى أَشْرَفِ النِّعَمِ"^(٢)، وَفِي تَفْسِيرِ فِرَاتِ الْكُوفِيِّ ذَكَرَ تَفْسِيرَ هَذِهِ الْآيَةِ "أَيُّمِي □ ذُرَّ: خَافَ ثُمَّ اتَّقَى، وَالْخَائِفُ: مَنْ رَكِبَ طَاعَةَ اللَّهِ، وَتَرَكَ مَعْصِيَتَهُ"^(٣)، وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَنَّهُ قَالَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: "أَيُّمِي □ ذُرَّ: وَإِنْ زَنَا وَإِنْ سَرَقَ"^(٤)، أَيُّ: إِنَّ مِنْ تَحَقُّقِ مَنْ هَذَا الْخَوْفُ مِنْ مَقَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَقَّ خَوْفِهِ سَيَحْصِلُ عَلَى الْجَنَّتَيْنِ وَإِنْ تَقَدَّمَ مِنْهُ ذَنْبٌ عَظِيمٌ كَالزَّانَا وَالسَّرَّاقِ، وَمِنْ الْمَوْكَّدِ أَنَّ هَذَا لَا يَحْصُلُ إِلَّا بَعْدَ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ النَّصُوحَةِ، وَكَذَلِكَ وَرَدَ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَيْ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَافَ إِشْرَافَ رَبِّهِ عَلَيْهِ وَنَظَرَهُ إِلَيْهِ بِحَيْثُ اسْتَشْعَرَ وَجُودَهُ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرَّكَهَا، وَاسْتَشْعَرَ أَنَّهُ تَحْتَ رِقَابَتِهِ، وَهَذَا يُؤَدِّي إِلَى الْقِيَامِ بِالْوَاجِبِ وَتَرْكِ الْحَرَامِ وَاتِّبَاعِ أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ كَمَا أَرَادَ وَأَحَبَّ"^(٥)، وَكَمَا ذَكَرَ مَعْنَاهَا: "أَيُّ: وَلِلَّذِي خَافَ رَبَّهُ وَقِيَامَهُ عَلَيْهِ،

(١) ينظر: جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ١٥٦/١.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ن ٤٢٠هـ)، تحقيق محمد مصطفى آيدين، طبع على نفقة شركة منازل العقارية، ط ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م: ١/ ١١٥٧ - ١١٥٨.

(٣) تفسير القرآن الكريم، عطية بن سعد بن جنادة الوفي الكوفي (ت ١٢٧ق هـ)، تحقيق عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين، مطبعة نكاش، منشورات دليل، قم - إيران، ط ١، ١٤٣١ هـ: ٢٤/٣.

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن: ٢٣٧/٢٢.

(٥) الواضح في التفسير، عباس علي الموسوي (ت ١٤١٢هـ)، د.ت، مركز الغدير، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م: ٣٢٧/١٥.

فترك ما نُهي عنه، وفعل، ما أمره به؛ له (جَنَّتَان) من ذهب آنيتهما وحليتهما وبنيانها وما فيها، إحدى الجنّتين جزاء على ترك المنهيات، والأخرى على فعل الطاعات^(١).

يتّضح لنا ممّا تقدّم أنّ الخوف المذكور بالآية يقصد به تقوى الله تعالى، وإظهار المقام المحمود الرفيع لله تعالى في نفس المؤمن، بأداء العبادة الحقّة، والفرائض الواجبة، والابتعاد عن المعاصي، ويرتبط هذا الخوف بنيل الجنّة التي أعدّها الله تعالى ووعد بها المؤمنين من عباده، فالذي يريد أن يقدم على ارتكاب الذنب ثمّ يتذكّر عظمة الله ومقامه وسطوته، فيبتعد عنه، فيكون جزاءه الفوز بالجنّة، كما تبين أنّ الخوف لا يكون شعوراً قلبياً فقط، وإنّما هو تطبيق ذلك الخوف عملياً، بهمة وعزيمة على ترك المنكرات والذنوب، فيستحقّ الخائف من ربّه بذلك الثواب الجميل.

والخوف هنا له علاقة باستشعار مقام الله بالنفس، وبالتذكير الذي يردع الشخص ويمنعه عن التعدّي على حدود الله تعالى، وأنّ تكرار ذكر الخوف من مقام الله يدلّ على استمراريّة التأثير والتأثر، ويصنع عادة روحية تروّض النفس وتجعلها أكثر حذراً وتحوطاً في كلّ لحظة وفي كلّ موقف، وأهميّة مخافة الله تعالى وتجنّب غضبه تكون بترك كلّ المعاصي والآثام، وعمل الطاعات التي تنيل رضاه، فيكون هذا النوع من الخوف للمؤمن هو المخرج من كلّ ضيق وهو الفرج من كلّ همّ، ويسير له هذا الخوف حياته ويرزقه من كلّ الأرزاق المعنويّة والماديّة، من نعيم الدنيا، وأرى أنّ هذا الجزاء الذي يستحقّه يكون في الدنيا قبل الآخرة، أي إنّ المقصود من قوله تعالى: (جَنَّتَان) هو الفوز بالجنّة الآخرة من نعيمها الدائم، والنصر والتوقيفات والراحة، والخير بكلّ أشكاله في الحياة الدنيا، فهي جنّة المؤمن السابقة للجنّة، الباقية اللاحقة^(٢).

(١) تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد

الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ٨٣١.

(٢) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/ ١٥٦.

ولكن للأسف نجد اليوم أنّ كثيراً من الناس تطغى عليهم حالة استعبادهم للشهوات والأهواء، فسيطرت عليهم الإغواءات الشيطانية، فصاروا يستكبرون على القوانين الإلهية، فيغرقون في جهلهم وعصيانهم، وبعدها يشكون من شعور الحيرة والضياع والتعب النفسي والشقاء في حياتهم، وأنهم لو استعملوا عقولهم، واستجابوا للأوامر الله تعالى، وأطاعوه، واتبعوا طريق هدايته، وتحذروا من الوقوع بالمحظورات، لكانوا من السعداء الفائزين في نعيمه في الجنّتين، في الحياتين، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) في علاج الخوف من أمور الدنيا: "اتّخذ مسجداً في بيتك فإذا خفت شيئاً، فالبس ثوبين غليظين من أغلظ ثيابك، وصل فيهما، ثم اجثُ على ركبتك، فاصرخ إلى الله، وسلّهُ الجنّة، وتعوّذ من شرّ الذي تخافه، وإياك أن يسمع الله منك كلمة بغي؛ وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك" (١).

وهنا يظهر أنّ الخطوة المهمّة في علاج حالة الخوف (غير الخوف من الله) هي التوجّه لله تعالى والتسليم لأمره والتوكّل عليه في كلّ الأحوال، فإنّه يستحيل على الإنسان أن ينال ما يصبو إليه من سعادة وسلام، وطمأنينة ورخاء، إلّا بطاعة الله تعالى، وانتهاج شريعته، وقوانينه (٢).

وفي حياتنا الواقعيّة يمكن تفعيل هذا المفهوم واستثماره في حدود التنمية الذاتيّة للإنسان، والتأثير الإيجابي؛ وذلك باستحضار الوظيفة التي يؤدّيها هذا المفهوم واستيعابها لضبط التوازن النفسي في الوقت الحاضر الذي تغلب عليه الإغراءات في وسط موجة التسارع والحدّاث؛ فيميل الفرد إلى التهاون في المبادئ الأخلاقيّة واستسهال طريق الانحراف الفكريّ والدينيّ؛ فيبرز إحساس الخوف من الله كنظام ومنهج تربويّ، وحصن

(١) الكافي، الكليني: كتاب الصلاة، باب صلاة من خاف مكرواً، ٦/٦٣١-٦٣٠، حديث رقم (٢/٥٦٨٣).

(٢) أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، محمد مهدي الصدر (ت ١٣٥٨ هـ)، مؤسسة الكتاب الإسلامي، قم- إيران، ط ٤، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ١٨٦-١٨٧.

وقائيّ يذكر النفس الإنسانيّة بحساب الله تعالى وعقابه في الدنيا والآخرة، كذلك في الحياة اليوميّة؛ تكون وظيفة الخوف من الله في التفكير بكلّ لحظة قبل الأقدام على اتّخاذ قرار أو تصرف يؤذي الآخرين ويضرّ بالنفس.

والتفكير بالمقام الذي يناله الشخص في ما أعدّ الله له من الجنّتين في السابقة واللاحقة سيمنع هذا التسارع ويمنحه فرصة لاستعمال التفكير والتأمّل بالمحاسن والمزايا التي توفرّها الأخلاق المستمدّة من القرآن الكريم وسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، وآثار هذا المفهوم في تحسين السلوك العملي في كلّ الأماكن والمواقف^(١)، سواء بالعمل أو التعاملات الماديّة، أو بالدراسة، فيخلق عادات في البيئة الداخليّة، تحارب وتقلع جذور الغشّ، والاستغلال، والطمع، والفساد بكلّ أحواله، فالخوف من الخالق يعزّز الواقع الإيجابيّ لتطوير الذات والوصول إلى النجاح الحقيقيّ.

وبعكس الخوف من المستقبل والمجهول، ومن الفشل ومن المظهر والنظرة الاجتماعيّة، فيكون لمخافة الله تعالى طاقة نفسيّة، محفّزة على التميّز والإبداع في العمل الصادق والنافع والهادف، ويثبت العزيمة والمثابرة على الحصول على العلم النافع وتنمية وتحسين الأداء بكلّ أمانة وإخلاص؛ لأنّ الإنسان بالفطرة الإلهية يسعى ليكون الأفضل أمام نفسه، وبين يدي خالقه، فيزداد عطاء وإنتاجية، فيذهب عنه القلق والتوتّر، فالخوف يمنح الفرد التوازن بين الشعور بالرضا والطموح، وما يتأمّل إليه، فيجعله يعيش حالة الراحة، بخشيته من الوقوع في المهالك أو التقصير، وفي الوقت نفسه يستشعر الرحمة الإلهيّة.

المطلب السادس: الذكر

(١) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١٥٥/١.

يُعدّ الذكر من المفاهيم القرآنيّة الأخلاقيّة التي تزكّي النفس وتهذّب السلوك، وتقرب العبد إلى الله تعالى، وتقوّي الاتّصال الروحيّ مع الله تعالى، لما له من أثر في طمأنينة النفس؛ مما يؤدي إلى البناء الذاتي للشخص، ومن هذا المنطلق تناول الشيخ النراقي (رحمه الله) هذا المفهوم وبيّن أثره المهمّ في توجيه الفرد المؤمن إلى طريق الخير والسعادة.

الذكر في اللغة: "ما ذكرته بلسانك وأظهرته"^(١).

الذكر في الاصطلاح: "هو خلاف النسيان"^(٢).

والذكر في المعنى القرآني: فإنّه "تارة يقال ويراد به هيأة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلّا أنّ الحفظ يُقال اعتباراً بإحرازه والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يُقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل: الذكر ذكران: ذكر بالقلب، وذكر باللسان"^(٣).

والذكر درجات؛ منها الثناء، والدعاء، ومن أعلى مراتب الذكر ذكر الله والأنس به، وهو أنّ الإنسان لا يجد لنفسه أنساً إلّا بذكر الله تعالى، ولا يجد لنفسه كياناً في حياته الدنيويّة، وإذا تمّ للنفس الأنس بذكر الله استغنى الإنسان بهذا الذكر عن غير الله، وسيترك كلّ ما سوى الله^(٤).

والذكر هو الألفاظ التي ينطقها الإنسان، يريد بها الله تعالى، عن طريق مناجاته، أو تذكّر عظّمته وقدرته، وحكمته وعدله، أو تلاوته للقرآن الكريم، كلام الله (عزّ وجلّ)، أو

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى: ١٠/١٦٢ (ذكر).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١/ ٨٢٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ١/ ٣٣.

(٤) ينظر: فلسفة الأخلاق الإسلامية، السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت-

لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م: ١٦٣.

بالدعاء، وتكمن "أهميّة الذكر كونه لبّ العبادة ... وهو التعبير الحقيقيّ بين المُحبّ والحبیب ... فأقلّ ما يفعله المحبّ تجاه حبيبهِ هو تكرار ذكرهِ والمداومة عليه آناء الليل وأطراف النهار (أي على مدار الساعة) لأنّ الله هو الحبیب الأوّل للموجودات"^(١)، وهو من أعظم المفاهيم القرآنيّة التربويّة والنفسيّة، فهو حضور القلب الدائم وليس مجرد ألفاظ، أي استحضار جلال الله ورحمته وعظمته في جميع الأوقات، وفي كلّ الأحوال، قال تعالى: "أَنَّهُ هُم هِيَ يَخْبِيهِ" □ □ □ □^(٢)، وقد قال الرسول (صلى الله عليه وآله): "ألا أخبركم بخير أعمالكم لكم، أرفعها في درجاتكم وأزكاها عند مليكم، وخير لكم من الدنيا والدرهم، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتقتلوهم، ويقتلوكم؟ فقالوا: بلى، قال: ذكر الله (عزّ وجلّ) كثيراً"^(٣)، وهذا الحديث الشريف يبيّن مكانة ذكر الله تعالى، وعظيم منزلته في حياة المسلم، فإنّ ذكر الله بكثرة من أجلّ الأعمال فضلاً وأجراً؛ لأنّه يعدّ اتصال الإنسان بخالقه، وتقوى هذه الصلة، وترتفع درجة العبد عند الله، فيتطهّر قلبه ويتهدّب سلوكه وخلقه، وتكون نفسه مطمئنة ومتوازنة، لأنّها لا تكون بمجرد كلمات يردّها اللسان، وإنّما هي حالة من السلام الداخليّ والروحيّ تعين المؤمن على مواجهة الحياة بكلّ مستوياتها.

وقد ذكر الشيخ النراقيّ هذا المفهوم بقوله: "أمّا الذكر، فالنافع منه هو الذكر على الدوام، أو أكثر الأوقات، مع حضور القلب، وفراغ البال، والتوجّه الكلّيّ إلى الخالق المتعال حتّى يتمكّن المذكور بالقلب، وتتجلّى عظمتُهُ الباهرة عليه، وينشرح الصدر بشروق نوره عليه، وهو غاية ثمرة العبادات"^(٤)، وهنا يرى النراقيّ أنّ الذكر الحقيقيّ هو (الذكر

(١) الذكر معراج الروح ولذة المحبين، عبد الرسول محمد، شبكة الفكر، د.ب، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٠: ١٩٩٥م.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) الكافي، الكليني: كتاب الدعاء، باب ذكر الله عز وجل كثيراً، ٣٦٧.٣٦٦/٤، حديث رقم (١/٣١٩٨).

(٤) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٦٨١/٣.

النافع) واستمراره ودوامه يكون بحضور القلب، وليس بالكلام فقط، وأنّ الذكر الدائم يحقّق الأنس بالله، وينبعث من الأنس والحبّ، إلى أن يكون الذكر محبوباً للنفس، وليس تكليفاً عليها، كما الشيخ بين أنّ النفس البشريّة تميل إلى المشاغل والعادات الأخرى غير الذكر، وقد تنفر منه في البداية، لكن بالاستمرار والمداومة، يصبح الذكر عادة وطبعاً مترسّخاً؛ فتأنس الروح به، وأنّ الذكر هو القصد والغاية من العبادات، فيشرح الصدر به، ويتنوّر الفؤاد به؛ فترتفع الحجب بين المؤمن والخالق. وذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) قوله تعالى: **أَقِمِّي ذُرِّيَّ**^(١)، وفسّرها السمرقندي: "إنّما المصدّقون الذين إذا أمروا بأمر في الغنيمة وغيرها من قبل الله عزّ وجلّ خافت قلوبهم، ويقال: إنّما المصدّقون الذين ذكر الله أي ذكر عندهم أمر الله، ويقال: إذا أمروا بأمر من الله تعالى وجلت قلوبهم؛ يعني: قبلت قلوبهم؛ فسمّي قبول القلوب وجلاً لأنّ الوجل يثبت القبول، لأنّهم وجلوا عقوبة الله تعالى فقبلوه"^(٢)، كما فسّرها السيّد الطباطبائي بأنّ: "ما يتميّز به المؤمنون بحقّقه الإيمان ويختصّون به من الأوصاف الكريمة والثواب الجزيل، وقد ذكر الله تعالى لهم خمس صفات اختارها من بين جميع صفاتهم التي ذكرها في كلامه ... وهي: وجل القلب عند ذكر الله، وزيادة الإيمان عند استماع آيات الله، والتوكّل، وإقامة الصلاة، والإنفاق ممّا رزقهم الله، ومعلوم أنّ الصفات الثلاث الأولى من أعمال القلوب والأخيرتان من أعمال الجوارح"^(٣). وممّا تقدم يتّضح أنّ الآية تبين أنّ من أبرز صفات الإنسان المؤمن الحقيقيّ هي حياة القلب، وأنّ ذكر الله يحدث أثر كبيراً وانعكاساً يتمثّل في وجل القلب، أي لخشية الله وتعظيمه، والخضوع إليه (جلّ جلاله). و أنّ الوجل لا يكون بمعنى الخوف السلبيّ، وإنّما هو خوف إدراك ينشأ من الوعي الداخليّ، فبالذكر يمنع الإنسان نفسه من المعاصي، ويوجّهها نحو

(١) سورة الأنفال: ٢.

(٢) تفسير السمرقندي، نصر بن أحمد السمرقندي: ٤/٢ .

(٣) الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي: ١١/٩ .

زيادة الإيمان، وفي الذكر يكشف حقيقة إيمان الفرد، إذ عندما يكون القلب متيقظاً وحيّاً بذكر الله، كان تأثيره وخشوعه أسرع، وبذلك يكون بعيداً عن القسوة، والغفلة^(١).

وإنّ تسارع الحياة العمليّة والفكريّة، وأثرها النفسيّ يجعل الفرد المعاصر كثير التعرّض للقلق وضعف التركيز، فهنا تتعرّز قيمة الذكر؛ لأنّه علاج تربويّ ونفسيّ؛ إذ إنّّه يساعد الإنسان على الاستقرار والتوازن من الداخل، فيقلّل الاضطرابات النفسيّة، ويمنعه من الانحراف خلف المادّيّات والمغريّات؛ فيقوم الذكر بتربية الفرد، وينمي وعيه، ويجعل منه شخصاً مستقيماً، وأكثر قدرة على ضبط انفعالاته، وأكثر قوّة في اتّخاذ القرارات المهمّة بنفس هادئة ومطمئنّة، وأكثر تحمّل للمسؤوليّة، ممّا يجعل النتيجة تكون انعكاساً إيجابياً على حياة الفرد والمجتمع بشكل عامّ.

المطلب السابع: الرجاء

يُعَدّ الرجاء من المفاهيم الأخلاقيّة التربويّة التي تمنح المؤمن الأمل والثقة بعتاء الله تعالى وإحسانه وكرمه؛ ممّا يعزّز لديه طاقة الاستمرار والسعي في الطاعة وأعمال الخير، وترك اليأس والقنوط عند مواجهه المصاعب وتحديات الحياة، وقد تطرق الشيخ النراقي (رحمه الله) إلى هذا المفهوم لأهمّيّته في ضرورة حسن الظنّ بالله تعالى.

الرجاء في اللغة: الرجاء هو الأمل، ثمّ يتّسع في ذلك، فيعبّر عن الخوف بالرجاء^(٢).

الرجاء في الاصطلاح: "تعلّق القلوب بحصول محبوب في المستقبل"^(٣).

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١١/٩.

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٩٤/٢ (رجا).

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١١٢.

والرجاء في المعنى القرآني: "ظَنُّ يقتضي حصول ما فيه مسرّة"^(١).

ويمكن القول: إنّ الرجاء من القيم التربويّة والإيمانيّة التي تُحيي النفس والقلب؛ إذ إنّهُ ينشأ من معرفة الله مع اقترانه بالعمل والسعي للأخذ بالأسباب، وهو واعز للاستقامة، ويحثّ على الاجتهاد في طاعة الله وعبادته الحقّة، فيمنع اليأس والقنوط، وينتج قوّة تدفع الفرد نحو السلوك الإيجابيِّ الفعّال والمثمر. والرجاء نوعان: الرجاء المحمود الذي يرجى فيه ما عند الله تعالى، لأنّه لا يخيب راجياً رجاءه، فهو سبحانه أعظم وأكرم من ذلك، وقد يكون الرجاء يبعث على استمرار العمل، أمّا النوع الآخر هو الرجاء الذي يكون الباعث له على ارتكاب المعاصي وترك العمل، فهذا النوع من أقبح القبائح، لأنّ الله تعالى لا يحقّق نوال ما عنده إلّا بتقديم الطاعة والعمل بالصالحات^(٢).

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) الرجاء بقوله: "اسم الرجاء إنّما يصدق على انتظار محبوب تمهّدت جميع أسبابه الداخليّة تحت اختيار العبد، ولم يبقَ إلّا ما ليس يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسّادات، فالأحداث الواردة في الترغيب على الرجاء وفي سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته، إنّما هي مخصوصة بمن يرجو الرحمة والمغفران بالعمل الخاص المعدّ لحصولهما، وترك الانهماك في المعاصي الممقوت لهذا الاستعداد، فاحذر أن يغرّك الشيطان ويشبّطك عن العمل ويقنعك بمحض الرجاء والأمل"^(٣)، وبهذا بيّن النراقي (رحمه الله) أنّ من حالات الصدق هو الرجاء الذي لا يتحقّق إلّا بعد إعداد أسبابه وتهيئتها، وليس فقط انتظار أو تمنّ قلبيّ ونفسيّ؛ إذ لا يتمّ ولا يكون فيما لو أصبح وقوعه من الممكن، وتواجّدت مقدّماته، فالمؤمن

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٥٣ .

(٢) ينظر: نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق، الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني العاملي (ت ٩٨٥هـ)، حققه محمد جواد الحسيني الجالي، مؤسسة النور، بيروت - لبنان، ١٤١٣ - ١٩٨٧: ٢٧٨.

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١٦٨/١ .

عندما يبذر في داخل قلبه الإيمان والصدق، ثم يسقي هذا البذر بمياه الطاعة، والصبر وينتظر معهما مغفرة الله تعالى وعطفه وفضله يكون بذلك رجاءه صادقاً، وإذا ترك العمل ويريد الثواب وينتظره، فيكون بذلك يتمنى على الله ولا يرجوه.

وأكد الشيخ أنّ الشيطان قد يلبس على الإنسان ويغويه، فيبعده ويصرفه عن العمل، ويجعله متعلقاً بالأمل والرجاء، فيقعه عن كلّ ما يقربه إلى الله تعالى من الطاعات، بينما أحوال الصالحين عكس ذلك تماماً، إذ كانوا من أشدّ البشر برجائهم وولائهم لله تعالى، وكانوا أكثر مثابرة وإصراراً، واجتهاداً في العمل والعبادة؛ لأنّ من الغرور أن يرجو الإنسان ربّه من غير تقديم عمل وبذل جهد من الطاعات، وأنّ رحمة الله يرجوها العبد مع مواصلة سعيه لا مجرد تمنّ وعجز، فالرجاء الصحيح هو ما اقترن بالعمل، وقد ورد في الكافي: "... عن الحارث بن المغيرة أو أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ما كان في وصية لقمان؟ قال: كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف الله عزّ وجلّ خيفة لو جئته ببرّ الثقلين لعذبك، وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك"^(١)، وهذه الرواية فيها من البيان ما يغني عن الشرح أو التوضيح لمنزلة الرجاء وكيف على المؤمن أن يرجو ربّه.

وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) قوله تعالى: **أَبِمِهْجَتِهِمْ تَقْتَضِيهِمْ** **جَم** **حَم** **خَم** ^(٢)، وورد في تفسير معنى هذه الآية: "**أَبِمِهْجَتِهِمْ** نزلت أيضاً في أصحاب السريّة لمّا ظنّ بهم أنّهم إن سلموا من الآثام، فليس لهم أجر، **أَتَقْتَضِيهِمْ** كرّر الموصّل لتعظيم الهجرة والجهاد كأنّهما مستقلّان في تحقيق الرجاء **أَجَم** **حَم** **خَم** ثوابه، أثبت لهم الرجاء إشعاراً بأنّ العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيّما والعبرة بالخواتيم، **لَمَّا** **فَعَلُوا** خطأ وقلة

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الرجاء والخوف: ١٧٣/٣ ١٧٤، حديث رقم (١/١٥٩٩).

(٢) سورة البقرة: ٢١٨.

احتياطاً □ بإجزال الأجر والثواب^(١)، وفي تفسير الميزان قال السيّد الطباطبائي: "قوله سبحانه: **أَمْ بِهِمْ جَهَنَّمُ**... قيل: نزلت في قصّة أصحاب عبد الله بن جحش حين خافوا على أنفسهم من الإثم؛ إذ قاتلوا في الشهر الحرام، أقول: فيدلّ على أنّ العقاب والثواب يدوران مدار النية"^(٢).

ويُتّضح من هذه التفسيرات لمعنى الآية أنّها تدلّ على أنّ رحمة الله لا تتحقّق بدعوى مجرّدة، بل تكون نتيجة وثمرة إيمان الإنسان الصادق، وبكلّ عمل يقدم عليه إن كان العمل المتجسّد بالهجرة وبذل الأموال والجهد والجهاد في سبيل الله تعالى، فالقرآن الكريم يجعل الرجاء مقترناً بالفعل، ويجعل أصحابه الذين وفقوا بين الإيمان والعمل والسعي والنصيحة، إذ يدلّ بوضوح على أنّ الرجاء من المعاملات العمليّة والنفسيّة والقلبيّة معاً^(٣). ويتبين مما تقدم أنّه علينا أن نستفيد من هذا المفهوم في واقعنا المعاصر؛ فالرجاء يمثّل أساساً من أسس بناء شخصية الإنسان النفسيّة والتربويّة، وبه يهوّن شدة الأزمات التي يمرّ بها بسبب التراكمات والضغوطات التي يعيشها في هذا الزمن الذي أصبحت فيه الذنوب والمعاصي شيئاً مستهاناً به، ولا يؤخذ بالحسبان لكثرة انتشار وسائل التواصل والاطّلاع على العالم الخارجي والاختلاط بالديانات المنحرفة والتشبع بأفكارهم وثقافتهم غير الأخلاقيّة التي تهدف إلى تدمير العقليّة الإسلاميّة والدين الإسلاميّ الحنيف بشكل عامّ، فيأتي هذا المفهوم ليصحّي الضمير البشريّ، على ما اقترّف من الآثام والمعاصي، ويخرجه من الانغماس بملذّات الحياة وزخارفها، فالرجاء يمنح الإنسان الحافز على العمل على الإصلاح النفسيّ على الرغم من الصعوبات التي يواجهها في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البضاوي، ناصر الدين الشيرازي الشافعي البضاوي (ت ٦٨٥هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت - لبنان: ١/١٣٧.

(٢) تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن: محمد حسين الطباطبائي، تحقيق أصغر ارادتي، دار التعارف، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦: ٥٢/٢.

(٣) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي.

حياته، وعندما يصبح وعي الإنسان مدركاً تثمر عنده طاقة إيجابية تقوده باتّجاه العمل والاستمرار، وتحارب الاستسلام فتنغرس في نفسه الثقة بالله تعالى؛ فيكون أكثر تحملاً للمسؤوليّة، وبهذا يساعد الرجاء على خلق شخصيّة مستقرّة، ومتوازنة نفسياً، ومنتجة في المجتمع. تبين من هذا المبحث أنّ المفاهيم النفسيّة الأخلاقيّة عند الشيخ النراقي (رحمه الله) تدور حول الإصلاح النفسيّ للإنسان وتهذيبه، ممّا يؤدّي إلى تخليص النفس من كلّ المنغصات، والقلق، والاضطراب، والحزن أو التسليم لليأس أو إلى وساوس الشيطان، وتقوم هذه المفاهيم بصقل النفس الإنسانيّة وإزالة كلّ الشوائب عنها، وتقودها نحو الاعتدال والتوازن النفسيّ والروحيّ، وقد أكّد النراقي (رحمه الله) أثر الأخلاق الحميدة في استقرار الشخص.

الفصل الثالث

المفاهيم القرآنيّة التشريعيّة

المبحث الأوّل: المفاهيم العقديّة

المطلب الأوّل: التوحيد _ المطلب: الثاني الشرك _ المطلب الثالث: العدالة _
المطلب الرابع: الأمانة _ المطلب الخامس: الصراط _ المطلب السادس:
الجدال _ المطلب السابع: اللعن.

المبحث الثاني: المفاهيم الفقهيّة

المطلب الأوّل: الطهارة _ المطلب الثاني: الصلاة _ المطلب الثالث: الزكاة _
المطلب الرابع: الحج _ المطلب الخامس: التوبة _ المطلب السادس: النية _
المطلب السابع: الربا.

الفصل الثالث: المفاهيم القرآنية التشريعية

تعدّ المفاهيم القرآنية التشريعية الأساس المهمّ في بناء الدين الإسلامي، وهي أساس بناء الإنسان على المنهج القرآني إيمانياً وروحياً؛ فالتشريع يمثل التوجّه الفكري والسلوكي الصحيح والقويم للبشر في الحياة الدنيا والآخرة، فعندما يأتي القرآن الكريم بالتشريعات العقدية والفقهية، فإنّه لا يعرضها من الناحية النظرية فقط؛ بل يقصد بها الجانب التربوي والعملي الشامل والمتكامل؛ إذ إنّه يجمع بين الجوانب الإيمانية والقلبية، وبين جوانب تنمية وتطوير الإدراك والوعي الروحي وتعزيز القيم الإسلامية السامية في نفس الفرد المسلم وسلوكه. وسيداً هذا الفصل بإظهار المفاهيم القرآنية العقدية ثمّ الفقهية مع بيان أهميّتها للإنسان عن طريق تحليل مقاصدها واستنباط وظيفتها التربوية في ترسيخ القيم والمبادئ في نفوس المؤمنين، وتعزيز صلة العبد بخالقه، وتقوية الفكر الواعي، ليكون قادراً على مواجهة التحديات والانحرافات العقدية والفقهية.

كما يقوم هذا الفصل بربط المفاهيم القرآنية بالواقع والحياة المعاصرة للإنسان؛ إذ إنّ القرآن الكريم يعدّ الدستور والمرجع التربوي المنظم لتربية النفس، وهو الذي يقدّم للمجتمع أسلوب الحياة البشرية.

المبحث الأول

المفاهيم العقدية

تمثّل المفاهيم العقدية للتربية الأخلاقية القاعدة الأساسية التي يقوم عليها البناء الفكري والديني الإسلامي، إذ إنّ المفاهيم العقدية تعدّ المبادئ الأولية الضرورية لتقويم السلوك، وتعديل الاتجاهات الأخلاقية والتربوية في الحياة البشرية، وهذه المفاهيم قدّمها

الدين الإسلامي للناس عن طريق القرآن الكريم الذي جاء ليقوم النظام الحياتي ويقدمه متكاملًا للبشرية، لتكون اليقين الفكري والروحي الذي يهدف إلى بناء الأساس الإيماني الصحيح الخالي من الشكوك والأوهام العقديّة المنحرفة، فتكون الوظيفة الأساسية للتربية العقديّة هي تكوين حقيقة الوعي وتثبيت الأساسيات الحقيقيّة لتحقيق الإيمان الكامل بالله خالق الكون، ومدبره، وكذلك تقوم بتحفيز القيم والمبادئ الإسلامية الصادقة، وتفعيلها في ضمير الإنساني، والعقل البشري؛ ليكتمل فكر الإنسان وقلبه، لتكون جيل مؤمن بالله تعالى، وملتزم بكل ما جاء به القرآن الكريم، ليجعله أسلوب الحياة اليومية له.

العقيدة في اللغة: من العقد، وهو التوثيق والتوكيد والإلزام^(١).

العقيدة في الاصطلاح: "ما يقصد فيه نفس الاعتقاد دون العمل"^(٢).

والعقيدة في المعنى القرآني: "العقد: الجمع بين أطراف الشيء، ويستعمل ذلك في الأجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء، ثم يستعار ذلك للمعاني نحو: عقد البيع والعهد وغيرهما؛ فيقال: عاقده وعقدته وتعاقدنا، وعقدت يمينه"^(٣).

ويمكن القول: إنّ المفاهيم العقديّة: هي المعاني الفكرية الأساسية التي ينشأ عليها الإيمان، والتي تتمثل بالإطار المعرفي الذي يحدّد رؤية الفرد إلى خالقه سبحانه، وإلى الكون والوجود، وإلى البشر والحياة، وهذا المفاهيم مستمدة من الوحي الإلهي بالنصّ الشرعي، وهي تُعنى بتثبيت العقيدة في النفس الإنسانية، وتكون وظيفتها هي التأثير في السلوك البشري ليسهم في تكوين شخصية متّزنة فكرياً ونفسياً، وتوجيه هذا السلوك نحو

(١) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى: ١/١٩٨ (عقد).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٥٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٤٣.

بناء الإنسان الواعي المدرك أن هذه الحياة زائلة وأن ما بعد هذه الحياة حساب وحياة أخرى أبدية.

المطلب الأول: التوحيد

يُعدّ مفهوم التوحيد أساس الدين والعقيدة، وهو أساس الإيمان الذي يقوم عليه الإسلام، وينطلق منه عبادة الإنسان وطاعته، ومن الأولويات التي اهتم بها القرآن الكريم الاهتمام الكبير، وتناول الشيخ النراقي هذا المفهوم؛ لما له من أثر في تهذيب النفس الإنسانية ينعكس على استقرارها وتحررها من كل الأهواء الباطلة.

التوحيد في اللغة: "يدل على الانفراد"^(١).

التوحيد في الاصطلاح: "تجريد الذات الإلهية عن كل ما يُتصوّر في الأفهام ويُتخيّل في الأوهام والأذهان، والتوحيد: ثلاث أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة"^(٢).

والتوحيد في المعنى القرآني: "الوحدة: الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتّة، ثم يطلق على كل موجود ... والوحدة في كلّها عارضة وإذا وصف الله تعالى بالواحد فمعناه: هو الذي لا يصحّ عليه التجزّي ولا التكثر"^(٣).

ومما تقدّم يمكن القول: إنّ التوحيد: تفرد الله عزّ وجلّ بالخلق والكون، ووحدانيته في الألوهية، والربوبية، وفي صفاته وأسمائه، وترك كل صور الشرك مع غيره في الظاهر والباطن، وهو وحده المستحقّ للعبادة والتوجّه إليه في كل الأمور؛ لأنّه هو الواحد الذي

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٩٠/٦ (واحد).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٧٣.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٦٦٧.

و"التوحيد يقتضي أرضية روحية مساعدة للتعالي؛ ليعمل هو على ترجيح كفة الروح ليجعلها منسجمة مع الأهداف الحياتية الكبرى"^(١)، وكذلك يمثل التوحيد منهج توجه العبد في أخلاقه وتعاملاته مع الناس والكون، وذلك يثبت في النفس الخشوع والخضوع لله تعالى، والتحرر من عبودية كل هوى باطل دون الله الواحد الأحد، "فلا تتصور عبادتنا التوحيدية لله سبحانه دون الإقرار المسبق بألوهيته ووحانيته، وإلا كنا على خطر عظيم من التعرض لشبح الشرك الناشئ عادة من شدة الاقتران بالحس أو متابعة الوهم"^(٢).

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) في التوحيد: "التوحيد في الفعل للسالكين الذين انكشف لهم وحدة الفاعل بالمشاهدة واستماع كلام ذرات الملك والملكوت، وهو موقف على الإيمان بعالم الملكوت والتمكّن من المسافرة إليه واستماع الكلام من أهله، ومن كان أجنبياً من هذا العالم ولم يكن له استعداد الوصول إليه ولم يمكنه أن يسلك السبيل الذي ذكرناه، فينبغي أن يردّ مثله إلى التوحيد الاعتقادي الذي يوجد في عالم الشهادة"^(٣).

وبهذا الكلام يبيّن الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ توحيد الله في العبادة لا يكون باللسان والمعرفة العقلية فقط، وإنّما هو من أجل الحالات القلبية والنفسية، التي ينتج محبة الله تعالى، والطاعات والعبادات، وكلّ حركات الإنسان في الحياة الدنيوية، وقد أشار النراقي (رحمه الله) إلى أنّ التوحيد يجعل الإنسان كلّ ثقة بخالقه، فيتخلّى عن كلّ ما يؤدي إلى الرياء واتّباع هوى النفس، فهو بذلك يكون الأصل في تزكية النفس والسلوك

(١) الدوافع نحو المادية. الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة محمد علي التسخيري، المشرق للثقافة والنشر، إيران، (د. ط)، (د. ت): ١١٤.

(٢) روحانية العبادات (دروس في الأخلاق التعليمية والواقعية)، السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الأمام الجواد (عليه السلام). تتفكر والثقافة، الكاظمية المقدسة . العراق، (د. ط)، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م: ٢٨ .

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ١٠٨/١.

وتهذيبهما؛ لأنه يجرد الإنسان من عبادة المادّيات من المخلوقات إلى التوجّه الروحيّ لعبادة الخالق المنعم والمتفضّل، الذي يستحقّ العبادة والإخلاص.

واستشهد الشيخ النراقي (رحمه الله) في قوله تعالى: "أَسْمِعْ سَمْعًا سَمْعًا" (١)، وقد فسّر هذه الآية الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، بقوله: "لو كان يتولّاهما ويدبّر أمرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما، لفسدتا، وفيه دلالة أمرين: أحدهما: واجب ألا يكون مدبّرهما إلا واحداً، والثاني: ألا يكون ذلك الواحد إلا إياه وحده؛ لقوله: "أَسْمِعْ سَمْعًا" (٢)، وكان لكلّ إله إرادة مغايرة ومستقلّة عن الآخر، فهذا التعدّد للآلهة ينتج الفساد، ويكون باطلاً، وفسّر الآية الطبرسيّ بقوله: "لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا، وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم، وهذا هو دليل التمانع الذي بيّن المتكلّمون مسألة التوحيد" (٣)، وبهذا امتنع الاختلاف والفساد لامتناع وجود إله آخر غير الله عزّ وجلّ، الواحد الأحد.

ويتّضح ممّا تقدّم أنّ تكوّن هذا النظام العجيب للكون والمخلوقات والحياة والسير على قانون ثابت ومستقرّ برهان قاطع ودليل واضح على تفرد الله تعالى في ملكه، فإنّ من دلائل وحدانيّة الله تعالى، وجود المخلوقات، وتسخير الكون، وتنزيل الكتب السماويّة، وغيرها من الأمور التي لا تعدّ ولا تحصى، وإنّ الله سبحانه كما أنّه لا شريك له في ذاته كذلك لا شريك فاعليّته، وأنّ كلّ سبب وفاعل بذاته وحقيقته وتأثيره وفاعليّته إنّما هو فاعل قائم بالله سبحانه، ويندرج في ذلك الإنسان، فهو موجود من موجودات العالم وواحد من أجزائه فإنّ له فاعليّة، وعليّة بالنسبة لأفعاله، كما أنّ له حرّيّة تامّة في مصيره وعاقبة

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) الكشف عن عيون الحقائق غوامض التنزيل لأوعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ. ١٩٨٧م: ٤ / ١٣٥-١٣٦.

(٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٧ / ٥٨. ٥٩.

حياته، ولكنّه ليس موجوداً مفوّضاً إليه ذلك، بل إنّه بحول الله وقوّته يقوم ويقعد ويتسبّب ويؤثّر^(١). ولمفهوم التوحيد أثر في واقعنا المعاصر، إذ يرجع إلى وعي الإنسان وإدراكه، أمّا تحديات الحياة، والاضطرابات النفسيّة، والضغوطات التي يعيشها، واستهلاك الطاقة، فإنّ توحيد الله تعالى يفتح عن الإنسان القيود، ويحرّره من الخوف على مصيره ورزقه، ومكانته في المجتمع، فيصبح متّزناً، وواثقاً ومؤمناً بالله تعالى، والتوحيد يثبت عنده قيمة المسؤوليّة الإيمانيّة، إذ من يتيقّن بوجود الله تعالى واحداً، يشعر بأنّه مراقب منه ومحاسب على كلّ سلوكه، فيبتعد عن الفساد والانحراف والظلم، فيكون بذلك قد أسهم في تطوّر ذاته وتنمية سلوكياته باتجاه الإيجابيّة، ممّا يساعد في بناء مجتمع إيمانيّ وإنسانيّ واعٍ.

المطلب الثاني: الشرك

إن مفهوم الشرك من أخطر المفاهيم التي وصفها القرآن الكريم، وذلك للانحراف العقديّ الذي فيه، الذي يتعلّق بالإنسان وعلاقته بخالقه، لأنّه يقوم بتوجيه الإنسان إلى الامتناع عن إخلاص العبادة لله تعالى، أو التوكل عليه أو تعظيمه، أو يوجّه المحبّة لغيره تعالى، ويكون ذلك إمّا بالقول أو بالفعل، وبذلك يكون الشرك من أسس الانحرافات التربويّة، والأخلاقيّة، والفكريّة، وهو انحراف يفسد علاقة العبد برّبّه. **الشرك في اللغة:** المخالطة^(٢).

الشرك في الاصطلاح: "الشرك: اسم من أشرك بالله؛ إذا كفر به"^(٣).

والشرك في المعنى القرآنيّ: "الشركة والمشاركة: خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً عينا كان ذلك الشيء أو معنى كمشاركة الإنسان والفرس في الحيوانيّة...

(١) ينظر: مفاهيم القرآن محاضرات جعفر السبحاني، جعفر الهادي، مؤسسة الأمام الصادق (عليه السلام)، قم-إيران، ط ٥، ١٤٣٠ هـ: ١٥/١.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى: ١٢/١٠ (شرك).

(٣) التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي: ٥٦/٦.

وشرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم؛ وهو إثبات شريك لله تعالى... والثاني: الشرك الصغير وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور؛ وهو الرياء والنفاق...^(١). والشرك هو أن تكون رؤية الإنسان أنّ في الكون والوجود غير الله تعالى مؤثراً، سواء كان إنساناً أو كوكباً أو صنماً أو شيطانياً، فإن خضع لعبادتها يصبح شرك عبادة؛ وهو الشرك الجليّ، وإن اعتقد بتأثيرها؛ فهو الشرك الخفيّ^(٢). وذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) الشرك بقوله: "الشرك أعظم الكبائر الموبقة موجباً لخلود النار ممّا لا ريب فيه، ثمّ للشرك مراتب تظهر في بحث ضده الذي هو التوحيد، والشرك وإن كان شعبة من الجهل، كما أن التوحيد الذي ضده من أفراد اليقين والعلم"^(٣). ويرى النراقي (رحمه الله) أنّ الشرك من الذنوب العظيمة والكبرى، بل هو أكبر الذنوب الموجبة لدخول نار جهنّم والخلود فيها والتي لا تغتفر، ويبيّن أنّ للشرك درجات، وتقابلها درجة التوحيد، وهي ضدّ الشرك، الذي هو الشرك الصريح العقديّ، وبعده هو الشرك الخفيّ؛ وهو ما كان بالقصد والنيّات، ونبّه النراقي (رحمه الله) في كلامه هنا على أمور جوهرية، منها: أنّ الشرك من أعظم الذنوب والكبائر، إذ أشار إلى أنّ الشرك ليس مجرد ذنب، وإنّما هو يفسد أصل الإيمان، أو يعدمه، ويقطع اتّصال العبد بربّه، وذلك ما يوجب الخلود في العذاب، ومنها أنّ للشرك مراتب، وأظهر للشرك درجتين: الجليّ الظاهر (كالتعظيم لعبادة غير الله تعالى)، والخفيّ (كالتعلّق بغير الله والاستعانة بغيره، والاعتماد على الأسباب. وقد استشهد الشيخ النراقي (رحمه الله) بقوله تعالى: **أَبَىٰ ذُرِّيُّ**^(٤)، وقد ورد في تفسير هذه الآية: "عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: شرك طاعة، وليس بشرك عبادة،

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٤١ - ٣٤٢.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات الأخلاقية إشراف وأعداد ليلي سووراني، فادية مروّة، ندى حيدر، مركز باء للدراسات، بيت الكتاب للنشر، بيروت _ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م: ٤٤.

(٣) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١/١٠١.

(٤) سورة يوسف: ١٠٦.

والمعاصي التي تركبون ممّا أوجب الله عليها النار شرك طاعة، أطاعوا الشيطان وأشركوا بالله في طاعته، ولم يكن بشرك عبادة، فيعبدون مع الله غيره^(١)، وبهذا التفسير يتبيّن أنّ الشرك الخفيّ من قبل الذين كانوا يعتمدون على الأسباب دون مشيئة الله تعالى فقد أشركوا في طريقة الطاعة لله تعالى ولم يشركوا بعبادته، وقد فسّرها الطبرسيّ إذ قال: "إنّهم مشركو قريش كانوا يقرّون بالله خالقاً، ومحياً ومميتاً، ويعبدون الأصنام ويدعونهم آلهة مع أنّهم كانوا يقولون: الله ربّنا وإلهنا يرزقنا، فكانوا مشركين بذلك، والمراد بالإشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة، وأطاعوا الشيطان في المعاصي التي يرتكبونها، ممّا أوجب الله عليها النار، فأشركوا بالله في طاعته ولم يشركوا بالله شرك العبادة فيعبدون معه غيره^(٢)."

ويتّضح ممّا تقدّم من التفاسير أنّ كثيراً من الناس كانوا يجمعون بين الاعتراف بالله تعالى الخالق المحيي والمميت، وبين أن يجمعوا معه شريكاً، إذ كان الشريك القلبيّ في القلب والعمل، فهم يعرفون بأنّه الخالق والرازق، بينما يتّكلون ويعتمدون على غير الله تعالى، وهذا الاعتماد يناقض التوحيد، فالآية بيّنت ازدواجية الإيمان الناقص، أي إنّ إيمان يناقض إيمان العقل واللسان، في مقابله شرك في التصرفات، أو بالسلوك، وشرك بالاعتماد.

وفي واقعنا المعاصر قد يرتقي الشرك بصورة واقعيّة، وحسيّة منها: تعظيم الوظيفة وتقديسها، وتعظيم المال والمنصب، إذ جعلوها الغاية العليا، ومنها: الاتّكال والاعتماد المطلق على الأسباب، ونسيان أنّ التوفيق والرزق والتدبير كلّ بيد الله تعالى. ومن الملاحظ أنّ هذا المعنى لمفهوم الشرك وعند فهمه ومعرفته وتجنّبه سيقوم بتعزيز الحرّيّة

(١) تفسير العياشي: ٢ / ٢١١. وفي الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الشرك، ١٦٤/٤،

حديث رقم (١/٢٨٧٦)، ونقل في البرهان: ٢٣٤/٤.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي: ٣٥٧/٥.

الداخلية، فلا يميل الشخص إلّا للحقّ والعدل والإحسان؛ ممّا ينتج عنه انعكاس إيجابيّ على أخلاق الإنسان وسلوكه وثقته بنفسه، وهذا ما يعزّز مفهوم التوحيد، ويحوّله من مجرد فكرة نظريّة إلى قيمة تربويّة لبناء الإنسان المؤمن الحرّ المستقيم.

المطلب الثالث: العدالة

مفهوم العدالة من المفاهيم الأخلاقية التي عُنِيَ بها القرآن الكريم وأكّدها؛ لأهميّتها في تكوين الشخصية المؤمنة داخل المجتمع، لأثره في المحافظة على حقوق الإنسان وكرامته بما يحقّق له التوازن النفسي والروحيّ.

العدالة في اللغة: العدل: الحكم بالحقّ، وهو نقيض الجور، والعدل هو المرضي من الناس قوله وحكمه^(١). **العدالة في الاصطلاح:** "الاستقامة على طريق الحقّ، والبعد عمّا هو محظور، ورجحان العقل على الهوى، وفي اصطلاح الفقهاء اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، واستعمال الصدق واجتناب الكذب، وملازمة التقوى، والبعد عن الأفعال الخسيسة"^(٢). **والعدالة في المعنى القرآنيّ:** "العدالة والمعادلة لفظ يقتضي معنى المساواة... العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر"^(٣). والعدالة مأخوذة العدل، وهو الأصل في الكون والنظام القائم عليه هو العدل، و"العدل هو الأصل الثاني من أصول الدين، ويعني أنّ الله تعالى عادل في جميع أفعاله، وأفعاله كلّها موافقة للحكمة والمصلحة، وليس في أفعاله ظلم، ولا يرضى بظلم أحد؛ لأنّه تعالى لو ظلم أحداً

(١) ينظر: كتاب العين، خليل بن أحمد الفراهيدي، ال: ١١٠/٣ (عدل).

(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبة: ٥٨ / ٢ .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٢٢ - ٤٢٣ .

أو رضي بظلم أحد لكان قبيحاً، وهو تعالى منزّه عن كلّ قبح^(١)، و"العدل أساس الملك العادل ومحور المدينة الفاضلة والمجتمع المثاليّ، وهو قد ينتهي إلى العقّة، وقد يكون من الشجاعة ويقابله من جانب الإفراط الجور على الغير والتعدّي على حقوقه، ومن جانب التفريط إهمال الحقوق المحترمة للنفس، وكلاهما جرثومة لكثير من الأخلاق الفاسدة، والعدل يكون صفة للفرد ويكون صفة للمجتمع"^(٢).

ويمكن القول إنّ العدالة: هي التعامل مع الناس بالمساواة، وإعطاء الحقوق بدون زيادة أو نقصان، والحكم بالعدالة وفق موازين الإنصاف والحقّ من غير تجاوز على الآخرين أو بخس حقّهم، ووضع الأمور في نصابها الصحيح التي وضعها الله تعالى وأمر بها، قال الإمام الباقر (عليه السلام): "إِنَّ لِلَّهِ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا ثَلَاثَةٌ، أَحَدُهُمْ مَنْ حَكَمَ فِي نَفْسِهِ بِالْحَقِّ"^(٣). وتمثّل العدالة قيمة قرآنيّة مهمّة جدّاً وضروريّة، وهذه القيمة هي التي يقوم عليها الكون بالنظام الربّانيّ، وهي تكون وفق متطلبات الحياة الصالحة للإنسان، قال الإمام الصادق (عليه السلام): "العدل أحلى من الماء يُصِيبُهُ الظَّمْآنُ؛ ما أوسعَ العدلُ إذا عُدِلَ فِيهِ وَإِنْ قَلَّ"^(٤)، وبها يكون تحقيق الاستقامة والتوازن بين الواجبات التي أمر الناس بتأديتها وبين الحقوق التي يجب مراعاتها للمحافظة كرامة الفرد وكيانه من الانحراف والظلم والجور، فالعادل هو الذي يوزّع القدرة والإمكانات بعدالة، بلا حيف

(١) العقائد والفقّه والاخلاق، شعبة البحوث والدراسات، الامانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، دار الكفيل، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٢ م: ١٦ .

(٢) الاخلاق عند الامام الصادق (عليه السلام)، محمد امين زين الدين، رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية، ايران، طهران، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ٧١ .

(٣) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الأنصاف والعدل ٣/٣٨٠، حديث رقم (١٩/١٩٦٥).

(٤) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الأنصاف والعدل، ٣/٣٨٠، رقم الحديث (٢٠/١٩٦٦).

أو إجحاف أو انحياز^(١)، والعدالة أساس الديمومة البشرية واستقامتها في الحياة. وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن العدالة: "العدالة أشرف الفضائل وأفضلها، إذ قد عرفت أنّها كلّ الفضائل أو ما يلزمها، كما أنّ الجور كلّ الرذائل أو ما يوجبها؛ لأنّها هيئة نفسانيّة يقتدر بها على تعديل جميع الصفات والأفعال، وردّ الزائد والناقص إلى الوسط، وانكسار سورة التخالف بين القوى المتعادية، بحيث يمتزج الكلّ وتتحقّق بينها مناسبة واتحاد تحدث في النفس فضيلة واحدة تقتضي حصول فعل متوسّط بين أفعالها المتخالفة، وذلك كما تحصّل من حصول الامتزاج والوحدة بين الأشياء المتخالفة صورة وحدانيّة يصدر عنها فعل متوسّط بين أفعالها المتخالفة"^(٢)، وبهذا يؤكّد الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ العدالة هي من أهمّ الفضائل وأشرفها، ويقابلها الجور الموجب للرذائل، ويشير إلى أنّها ملكة إنسانيّة يستطيع بها الشخص أن يعدّل صفاته ويهدّب سلوكه نحو الأفضل، وأفعاله نحو الأحسن، وينبّه إلى أن العدالة هي التوسّط في الأمور بلا إفراط ولا تفريط، بما يحفظ للنفس الإنسانيّة استقامتها وتوازنها وللمجتمع الاستقرار والانسجام، فجميع الأمور الحياتيّة في الدين وفضائل الأخلاق مترتبة على العدالة. وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) قوله تعالى: "أَأَمَّا نَمُوتُ أَمْ نَحْيَىٰ" ^(٣)، وقد ذكر المفسّرون في تفسير الآية أنّ "الكتاب اسم جنس لجميع الكتب المنزلة، ^١ : العدل في تأويل أكثر المتأولين، ... أراد الموازين المتصرّفة بين الناس... أَمْ نَحْيَىٰ، عبّر تعالى عن خلقه واتّخاذه بالإنزال، والحديد هنا أراد به جنس من المعادن وغيرها، ويترتّب معنى الآية: فإنّ الله تعالى أخبر أنّه أرسل رسلاً وأنزل كُتُباً وعدلاً مشروعاً، وسلاحاً يحارب بها من عانده ولم يهتدي بهدي الله، فلم

(١) ينظر: محمد باقر الصدر بين دكتاتوريين، عادل رؤوف، المركز العراقي للأعلام والدراسات، سوريا دمشق، ط١، ١٤٢٢ هـ. ٢٠٠١م: ٣٥١.

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١ / ٧٠ - ٧١.

(٣) سورة الحديد: ٢٥.

يبق عُذْرٌ^(١). وقال الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ) في تفسير الآية: "كلّ ما تُعرَف به الحقيقة فهو ميزان؛ سواء أكان وحياً أم عقلاً أم حسّاً؛ كالتجربة والمشاهدة، وعليه يكون عطف الميزان على الكتاب من باب عطف العامّ على الخاصّ، والمعنى: أنّ الله أرسل الأنبياء بالحجج الدالّة على نبوتهم ورسالتهم وبما يهدي الناس إلى الحقّ والعدل ليستقيموا على صراطه القويم، وأن الحديد قوّة في الحرب يتّخذ الناس منه سيفاً للضرب، ودرعاً للدفاع"^(٢)؛ فإنّ ذكر الحديد يعدّ القوّة التي يطبّق بها النظام على المخالفين بما يحفظ إقامة العدالة ومحاربة الجور ومنعه، إذ إنّ السلوك السياسيّ للحكّام الجائرين من الغابرين والحاضرين، فيه هنات تُشوّه سلوكهم عندما ينحازون أو يتعصّبون لقريب ما، فيسندون إليه المناصب الهامّة، ويطلقون يده في الأموال العامّة، فينفق ويوزّع ويأخذ ويعطي كيفما يشاء^(٣)، وهذا خلاف العدالة؛ لذا يجب محاربته وإيقافه وردّه إلى العدالة بالقوّة، كما بين ذلك المفسّرون؛ فإنّ القسط والعدل لا يكون بالعلم فقط، بل إنّ من الضروريّ وجود قوّة ونظام قانونيّ يحميه، وهذه القوّة لا تكون بدون موازين إقامة الحقّ، وذلك يتحقّق بالجمع بين القوّة التي أشارت إليها الآية بالحديد الذي يمثّل السلاح، وبين الهداية إلى طريق الحقّ والاستقامة الإنسانيّة في السلوك والعمل الصالح؛ ليدوم ميزان الحقّ والعدل الرّبانيّ الذي أَراده الله تعالى قائماً في الحياة.

ويتّضح ممّا تقدّم من تفسير الآية أنّ الله تعالى عندما أنزل الوحي على رسله جعل القصد والغاية من الشرائع هي أن يقيموا العدل بين البشر، فالكتب تمثّل القوانين الإلهيّة، والميزان يمثّل العدل والإنصاف والتوازن في الأمور والمعاملات الإنسانيّة، وبهذا تتبيّن أهميّة العدل والعدالة، فإنّ الإنسان يمكن أن يكون مستقيماً في عمله وسلوكه لوجود

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبن عطية الأندلسي: ١٨٢٨.

(٢) الكاشف، محمد جواد مغنية: ٧ / ٢٥٦.

(٣) ينظر: قبسات من نهج البلاغة، السيد سامي خضرا، دار الهادي، بيروت. لبنان، ط٢، ١٤٢٤ هـ.

٢٠٠٣م: ١٤١. ١٤٢.

القوانين الوضعيّة التي ترعبه وتهدّده، أو لأجل كسب الجاه والمكانة والمحبة عند الناس، وهذه الأمور تدفعه إلى عدم ارتكاب الجرائم، وأن يتّصف بالعدالة، أمّا الشخص الذي ينظر إلى الكون والحياة نظرة مادّيّة، ولم يؤمن بوجود هدف سام للخلقة، فإنّه لا يؤمن بالعدالة أبداً^(١).

ومفهوم العدالة في واقعنا المعاصر يعدّ من أهمّ أسس بناء المجتمعات وتقدّم الأمم وتوازنها واستقرارها، فعندما تتحقّق العدالة تُحترم الحقوق وتسود الأخلاق ويعمّ الاستقرار والأمن في النفوس والمجتمعات، وبالعكس ذلك عند انعدامها؛ إذ سيعم الظلم والفوضى والفساد، فإن معيار العدالة يعدّ مؤشراً للمساواة في المعاملة؛ فهو يتطلّب وجود المساواة في معاملة الأفراد جميعاً، وفي كلّ المجالات^(٢)، وهذا الترابط بين العدالة والميزان الذي يصوّره القرآن الكريم هو وصف للتّزان والانضباط؛ إذ يوحي للإنسان المسلم بمحاسبة ومراجعة ذاته وسلوكه وأن يزن أعماله بميزان الحكمة في تعاملاته مع الآخرين في مجريات الحياة اليوميّة، والعدالة في زماننا لا ينحصر تطبيقها على الأمور القضائيّة ووضع القوانين الرادعة للمقصرين أو المجرمين فقط، بل يتعدّى هذا المفهوم إلى العدالة في كلّ مجالات الحياة العمليّة والتعليميّة والتربويّة، فينتج عن ذلك المؤمن المثاليّ في عدالته واستقامته على النهج القرآنيّ القويم ليكون عنصراً صالحاً في المجتمع يؤمن شرّه أولاً وينفع المجتمع ثانياً.

(١) ينظر: الأخلاق والأدب في الإسلام تفسير سورة الحجرات، الشيخ محسن قرائتي، إعداد شؤون الثقافة والتعليم في مكتب الإمام الخامنئي، دار الولاء، ط ١، ١٤٢٦ هـ. ٢٠٠٥ م: ١٠٩.

(٢) ينظر: الانفصال الأخلاقي وعلاقته بالاتجاهات التعصبية لدى طلبة المرحلة الإعدادية، الدكتور ضرغام رضا عبد السيد، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٦٠، العدد ٣، ٢٠٢٥ م (بحث منشور): ٤٠٦.

المطلب الرابع: الأمانة

أكد القرآن الكريم مفهوم الأمانة وأهميتها الأخلاقية وقيمتها العالية، لتأثيرها في بناء الشخصية الإنسانية المتوازنة، والقوية الصالحة التي تساهم في استقامة الفرد وتعزز لديه الثقة بقدراته على تحمل المسؤولية التي خلُق من أجلها، وقد ذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) هذا المفهوم وبين أثر النفس الإنسانية في أدائه.

الأمانة في اللغة: "ضدّ الخيانة"^(١).

الأمانة في الاصطلاح: "الأمانة: كلّ ما يُؤتمن عليه؛ كأموال وحرَم وأسرار، فهو أمانة"^(٢).

والأمانة في المعنى القرآني: "أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصدر، ويجعل الأمان تارةً اسماً للحالة التي يكون عليها الإنسان في الأمان"^(٣). وذكر القرآن الكريم أنّ الله تعالى قد عرض أمانة ما على موجودات ذات مكانة عظيمة (السموات والأرض)، وكان يتوقّع منها أن تستجيب لتحمل تلك الأمانة، لكن جاءت المفاجأة على غير المتوقّع، إذ اعتذرت إلى الله، وأظهرت عجزها وخوفها، ورفضت حمل الأمانة؛ بسبب انعدام القدرة لديها تجاه تحمّل مسؤوليّة هذه الأمانة، في حين ظهر موجود آخر من الموجودات (الإنسان) أقلّ قدرة من (السموات والأرض) وقدم نفسه ليتحمّل الأمانة، وهو بهذا التحمّل يكون ظالماً لنفسه عندما يحاول تحمّلها ويؤدّيها حقّ أدائها، وبذلك عرف الإنسان جهله بقدرته^(٤).

(١) لسان العرب، ابن منظور: ٢١/١٣ (أمن) .

(٢) الكليات، الكفوي: ١٧٦.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٢/١ .

(٤) ينظر: من وحي الأخلاق، حسين عبد الرضا الأسدي: ٨٦ .

إنَّ من أعظم المقومّات الأخلاقيّة هي الأمانة التي تبرز كمال الإيمان الحقيقيّ ونقاء النفس، فهي ليس سلوكاً خارجيّاً للإنسان؛ بل هي التزام باطنيّ، وهي المسؤوليّة التي كفل بها الله تعالى الإنسان، وتحملها أمام خالقه وأمام البشر، روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: "لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده، فإنّ ذلك شيء اعتاده، فلو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا إلى صدق حديثه، وأداء أمانته"^(١).

والأمانة لا تنحصر في ما يودع من مال وغيره من المادّيّات؛ وإنّما هي تتضمّن الحقوق المتعلّقة بالدين والعهود والمواثيق وما أوجب عليه، وكلّ الطاعات التي يؤتمن عليها الإنسان من الله تعالى في طاعته. وذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) الأمانة في قوله: "ولو لا هذه الأسباب المانعة للنفس عن إفاضة الحقائق اليقينيّة إليها لكانت عالمة بجميع الأشياء المرتسمة في العقول الفعّالة؛ إذ كلّ نفس لكونها أمراً ربّانيّاً وجوهرّاً ملكوتيّاً فهي بحسب الفطرة صالحة لمعرفة الحقائق، ولذا امتازت عن سائر المخلوقات من السماوات والأرض والجبال، وصارت قابلة لحمل أمانة الله التي هي المعرفة والتوحيد"^(٢)، ويبين النراقي (رحمه الله) أنّ الأمانة لا يستطيع الإنسان أن يؤدّيها إلّا إذا قام بمجاهدة نفسه وروّضها، وقد زكّا نفسه ونقى قلبه؛ لأنّ اليقين الحقيقيّ والإدراك الحقيقيّ لا يوجد فقط لمجرّد تفكير الإنسان في ذهنه، وإنّما يريد منه إزالة الموانع عن النفس كالمرآة لا تكون عاكسة للصور إذا أصابها شوائب وخدوش، كذلك النفس والقلب لا يدركان معرفة الحقائق وتحمل مسؤوليّة الأمانة، فإنّ النفس بوصفها من الله تعالى، أي: أمر ربّانيّ، وبحسب الفطرة الإلهيّة تكون صالحة لهذه المهمّة، ولهذا السبب فضّلها وميّزها عن كلّ الخلق والكائنات الأخرى في السموات والأرض. وقد أشار النراقي (رحمه الله) إلى قوله

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب الصدق وأداء الأمانة، ٢٧٣/٣، حديث رقم (١٢/١٧٨٠).

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٩٩/١.

تعالى: ﴿أَسْمِعْ سِرِّي﴾^(١)، وقد بين المفسرون معنى الآية، فقد روي في تفسير قوله: ﴿أَسْمِعْ سِرِّي﴾ أن "الأمانة هي الإمامة، والأمر والنهي، والدليل على أن الأمانة هي الإمامة قوله عز وجل في الأئمة: ﴿حَمْدٌ لَهُمْ﴾^(٢) يعني الإمامة، فالأمانة هي الإمامة عُرضت على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، قال أبين أن يدعوها أو يغصبوها أهلها ﴿أَسْمِعْ سِرِّي﴾^(٣). وقد تبين في معنى الآية أن حمل الأمانة الإلهية يمثل أعظم افتخارات البشر، وفي هاتين الآيتين ذُكرت المسائل المهمة التي وردت في مجالات الإيمان، والعمل الصالح، والجهاد، والإيثار، والعفة، والأدب، والأخلاق، وتبين فيهما كيف أن الإنسان يحتمل موقعاً سامياً جداً حتى أنه يستطيع أن يكون حامل رسالة الله العظيمة، لكنه إذا ما جهل قيمته الحياتية والوجدانية سيظلم نفسه ظلماً عظيماً^(٤).

ويتبين لنا مما تقدم من التفاسير للآية المباركة أن هذه الآية بينت التكليف العظيم الذي عرضه الله تعالى وحمله الإنسان، وهذا التكليف هو الأمانة التي تشمل الإيمان والاختيار وتحمل المسؤولية ثم الطاعة، "فمن الأمانة أن يلتزم المسلم بالتكاليف فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبرّ الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن تؤديها بأمانة الله رب العالمين"^(٥).

وهذه الأمانة قد عرضها الله على الأرض والجبال والسماوات وهي كلها (مخلوقات عظيمة) لكنها أشفقن من هذه الأمانة يستوجب المحاسبة عليها واختبار كبير، فتولّى حملها وقبلها الإنسان بإراداته واختياره مع ضعف قدراته وبنيته، ويرجع السبب إلى أنه

(١) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي: ٢ / ١٩٨ .

(٤) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكرم الشيرازي: ٤٤١.

(٥) بحوث في علم الأخلاق وفلسفتها، عبد الرضا ناصر البهادلي: ٢٦٠ .

معدّ إلى هذه المهمة (الأمانة) بالفطرة ومميزاته العقلية عن سائر المخلوقات، لكنّه إذا انحرف عن طريق الله فقد يضيّعها بجهله وظلمه لنفسه، فيقصر في حمل هذه الأمانة التي استودعها الله تعالى لديه، في كلّ مجالات هذه الأمانة إنّ كانت أمانة الدين والشريعة والتمسك بها وأمانة أهل البيت (عليهم السلام) بعد الرسول (صلّى الله عليه وآله) بالاقتداء بهم وموالاتهم والسير على نهجهم^(١).

وأمانة العبادة الحقّة تكون بالتزام الإنسان بالتكاليف، والمحافظة على صلاته وصيامه، والإحسان للوالدين، ومعاشرة الناس بالخلق الكريم، وغير ذلك من الواجبات على المسلم تأديتها بأمانة لله، كذلك والأمانة في المحافظة على الجوارح والأعضاء؛ لأنّها أمانة ويجب المحافظة عليها، فلا يؤدّي بها إلى باستعمالها لغضب الله تعالى، مثلاً: العين يجب أن يعضّها عن المحرّمات، والأذن يجب عليه أن يمنعها، أو يجتنبها سماع الكلام المحرّم، كذلك اليد، والرجل... وغيرها، والأمانة بالودائع والمحافظة عليها، وأدائها إلى ذويها، والأمانة في أداء العمل الموكّل إليه بأحسن وجه وتحمل المسؤولية في كلّ المجالات أيضاً، وكذلك حفظ أسرار الناس، فلا يخون من ائتمنه على سرّه ولا يفشيّه، وغير ذلك من الأمانات^(٢)، فالتوفيق في حمل هذه الأمانة التي هي تكريم له يتطلّب لحملها أن ينقي قلبه ويسير على هدى خالقه وسيرة نبيّه الكريم (صلّى الله عليه وآله). وفي الواقع المعاصر يعدّ هذا المفهوم (الأمانة) ليس مجرد مفهوم تعبديّ، ودينيّ؛ بل هو أساس بناء حضارة الإنسان، فتطوّر المجتمعات ونهوضها لا يتم دون تأدية الأمانات في المسؤوليّات الملقاة على عاتقها، وبالعامل الجادّ المثمر، وفي التسلّح بالعلم والمعرفة، وفي كلّ التخصّصات الوظيفيّة، كذلك في التعاملات الإنسانيّة، وفي المال العامّ^(٣). وفي هذا

(١) ينظر: تفسير القمي، على بن إبراهيم القمي: ١٩٨/٢.

(٢) ينظر: بحوث في علم الأخلاق وفلسفتها، عبد الرضا ناصر البهادلي: ٢٦٠-٢٦١-٢٦٢.

(٣) ينظر: جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٩٩/١.

الزمان الذي انتشرت وكثرت فيه المغريات المادية والمعنوية، وغلبت المصالح الشخصية على الذات البشرية، صارت الأمانة اختياراً حقيقياً لمعدن الإنسان وصدقه، ويكون هذا الامتحان في أمانة الموظف على وقته وإنجاز عمله بأتَم وجه، وبصدق، والأستاذ يكون أميناً على تلاميذه أو طلابه، والطبيب مؤتمن على مرضاه وأسرارهم، والوالد مؤتمن على أبنائه وتربيتهم، كذلك الباحث أمين على بحثه ومصادره، وعلمه، فالنفس الإنسانية كلما نقيت من الشوائب التي تتمثل بالشهوات والمعاصي - كما أشار الشيخ النراقي - زاد وقوي إدراك الشخص لمسؤوليته ووعيه بها، واستقام وتوازن عمله وسلوكه، وتحول إلى عنصر فعال ومؤثر في المجتمع وأسهم في بنائه وتطويره، وكان جديراً بتحمل هذه الأمانة العظيمة، ويكون بذلك جديراً بنيل المنزلة الرفيعة عند الله تعالى والفوز برضاه وتوقيفاته في الحياة الدنيا والآخرة.

المطلب الخامس: الصراط

يُعدّ مفهوم الصراط من أهمّ المفاهيم العقديّة القرآنيّة التي تصف لنا الطريق للهداية والاستقامة السلوكيّة والأخلاقيّة عند الفرد المسلم، فهو الطريق الذي لا يوجد له ثاني، وهو الطريق المؤدّي إلى رضا الله تعالى، واليسر والراحة في الدنيا، السعادة الأبدية والتوفيق في الآخرة. لذا عُنِيَ بذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتابه جامع السعادات.

الصراط في اللغة: "هو الطريق"^(١). الصراط في الاصطلاح: هو "جسرٌ منصوبٌ على ظهر جهنم"^(٢). والمعنى القرآني للصراط: "الصراط: الطريق المستقيم"^(٣). وممّا تقدّم يمكن

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣ / ١٥٢، ٣٤٩ (صراط).

(٢) رياض الصالحين، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي (٦٧٦هـ)، تحقيق ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير الاولى، دمشق، بيروت، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م: ٢٨٥.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٠٣ - ٣٦٨.

القول: إنّ الصراط المستقيم هو طريق الحقّ والنهج القويم، وهو طريق واحد، وخلافه طرق الباطل متعدّدة، والصراط المستقيم يشمل كلّ الاعتقادات الحقّة والأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان في الدنيا ويحصل على ثمرتها في يوم الحساب، والسير عليه هو المنقذ من العذاب والهلاك في الدنيا والآخرة، وهو الموجب لرضا الله تعالى ومحبّته، وإنّ الصراط حقّ، وهو جسر ممدود على متن جهنّم إلى الجنّة، وعليه ممرّ جميع الخلائق^(١).

وإنّ التزام الإنسان بطريق الحقّ والطريق المستقيم لا يكون سهلاً يسيراً، بل يكون بالتضحيات الكثيرة وتحمل الصعاب والصبر على مجاهدة النفس؛ ليصل الإنسان إلى الإيمان الحقيقيّ، وهذا ما لا يتمّ للإنسان إلّا بتوفيق الله وتسديده وهدايته، كما قال نبيّ الله إبراهيم (عليه السلام): "أ□□□□□□□□ (٢) (٣)، فلا يجوزه إلا من عمل بما أمر الله تعالى واستقام على طريق الحقّ^(٤).

وقال الشيخ النراقي عن الصراط المستقيم: "لما كانت طرق الباطل كثيرة وطريق الحقّ واحدة، فالأبواب المفتوحة للشيطان إلى القلب كثيرة، وباب الملائكة واحد، لذا روي أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) خطّ يوماً لأصحابه خطّاً وقال: هذا سبيل الله، ثمّ خطّ خطوطاً عن يمينه وشماله فقال: هذه سبل على كلّ سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثمّ تلا قوله تعالى: "أبر□□ بن بيتر□□ تن تي□□" (٥)، ثمّ لسهولة ميل النفس إلى الباطل وعسر انقيادها للحقّ تكون الطرق المؤدّية إلى الباطل التي هي أبواب الشيطان جليّة

(١) العلم . التفكير . العقائد، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، منشورات ذوي القربى، قم . إيران: ط ١، ١٤٢٦هـ : ٢٣٦.

(٢) سورة الصافات: ٩٩.

(٣) ينظر: من وحي الاخلاق، حسين عبد الرضا الأسدي : ١ / ١٥٨.

(٤) الاخلاق من نهج البلاغة، محسن علي المعلم، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العراق - كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م : ١٢٦.

(٥) سورة الأنعام: ١٥٣.

ظاهرة، فكانت أبواب الشيطان مفتوحة أبداً، والطرق المؤدية إلى الحق التي هي باب الملائكة خفية^(١)، وهنا يبين النراقي (رحمه الله) أنّ طريق الحق والهداية واحد، بينما طرق الباطل متشعبة ومتعددة، وطبيعة النفس البشرية تميل إلى الغرائز والملذات، ممّا يجعل الانحراف أسهل وأسرع من الاستقامة، ويكون أثر الشيطان كبيراً في فتح الأبواب لكل المغريات والغواية ويكون بتقرّعات كثيرة ومزخرفة، في حين يكون باب الحق والاستقامة ضيقاً، يتطلّب من الإنسان المراقبة والمحاسبة لنفسه ومجاهدتها دائماً.

وقد أكّد الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ الوصول إلى طريق النجاة يتحقّق للفرد بالثبات والعزيمة والإصرار، وبالحذر من مغريات الشيطان وتزيينه وتزويقه المهلك، وقد ورد في تفسير الآية القرآنية التي استشهد بذكرها النراقي: **أَتَرَأَوْا أَنَّ**، الطرق المختلفة في الدين، من اليهودية والنصرانية والمجوسية، وسائر البدع والضلالات **أَتَتْ**، فتفرّقكم أيادي سبأ، **أَتَى** عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام^(٢)، كذلك جاء في تفسيرها: "وممّا حرم ربكم عليكم ووصاكم به أن لا تتّبِعُوا السبل التي دون هذا الصراط المستقيم الذي لا يقبل التخلف والاختلاف، وهي غير سبيل الله؛ فإنّ اتّباع السبل دونه يفرّقكم عن سبيله فتختلفون فيه؛ فتخرجون من الصراط المستقيم، إذ الصراط المستقيم لا اختلاف بين أجزائه ولا بين سالكيه، ومقتضى ظاهر السياق أن يكون المراد بقوله: (**صراط النبي** (صلى الله عليه وآله)؛ فإنّه هو الذي يخاطب الناس بهذه التكاليف عن أمر ربّه... ولا ضير في نسبة الصراط المستقيم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقد نسب الصراط المستقيم إلى جمع من عباده الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في قوله: **أَيُّكُمْ يَذُرُّ**، **أَتَى** وكيف كان فهو تعالى في الآية ينمي

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ١ / ١١٢.

(٢) الكشف: محمود بن عمر الزمخشري: ٢ / ٤١٣.

(٣) سورة الفاتحة: ٦-٧.

مما ذكر من كليات الدين بأنه صراطه المستقيم الذي لا تخلف في هداية سالكيه وإيصالهم إلى المقصد ولا اختلاف بين أجزائه ولا بين سالكيه ما داموا عليه فلا يتفرقوا البتة، ثم ينهاهم عن اتباع سائر السبل فإن من شأنها إلقاء الخلاف والتفرقة لأنها طرق الأهواء الشيطانية التي لا ضابط يضبطها بخلاف سبيل الله المبني على الفطرة والخلقة ولا تبديل لخلق الله، وذلك الدين القيم^(١). يتضح مما تقدم من تفاسير الآية المباركة أنها تمثل أساساً عقدياً وتربوياً كبيراً، إذ إن الصراط طريق الله الواحد المستقيم الذي لا انحراف وميل فيه ويتصور بالإيمان بالله تعالى وتوحيده والالتزام بأوامره ونواهيه، لكسب رضاه، أما السبل فهي الطرق المتفرقة من الضلال والشهوات والبدع التي تشتت الإنسان وتؤدي به إلى طريق الهلاك، وتبعده عن الهداية الربانية، وأكدت الآية أن الالتزام والتمسك بهذا الطريق الصراط المستقيم ينور بصيرة الإنسان ويوحّد رؤيته للأمور فيستقيم سلوكه، بينما اتّباع الطرق المتفرقة التي يزينها الشيطان يجعل القلب يصبو إلى الأفكار الشريرة والمنحرفة، وإلى الشهوات والرذائل المدمرة التي تسفل الإنسان وتحطّ من قدره وكرامته، فيخسر الدنيا والآخرة. وذكر الشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ) في رواية طويلة في وصف الصراط، عن النبي (صلى الله عليه وآله) "عن أبي جعفر (عليه السلام) إذ قال: (لما نزلت هذه الآية الخ لم لي^(٢))، سئل عن ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا جمع الأولين والآخرين أتى بجهنم نقاد بألف زمام، أخذ بكل زمام مئة ملك من الغلاظ الشداد... ثم يوضع عليها صراط أدق من حدّ السيف، عليه ثلاث قناطر: أما واحدة فعليها الأمانة والرحم، وأما الثانية فعليها الصلاة، وأما الأخرى فعليها عدل رب العالمين لا إله غيره، فيكلفون الممرّ عليه فحبسهم الرحم والأمانة، فإن نجوا منها حبستهم الصلاة، فإن نجوا منها كان المنتهى

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ٣٧٨/ ٧.

(٢) الفجر: ٢٣.

إلى رب العالمين جلّ وعزّ"^(١)، ويتّضح من هذا الحديث الشريف أنّ الصراط طريق دقيق في حدّته يوضع على جهنّم يوم الحساب يمرّ عليه من كان مؤمناً محاسباً لنفسه في الدنيا ملتزماً بأوامر الله تعالى؛ فإنّه ينجو من جهنّم ويصل إلى رضوان الله تعالى وجنّته.

وكذلك ذكر رواية وصف فيها الإمام الصادق (عليه السلام) الصراط في حديث طويل، قال: "هو أدقّ من الشعر، وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً؛ فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً"^(٢)، وهنا فسّر الصراط

بأنّه هو الأمام المعصوم، وفي حديث طويل قال الإمام الصادق (عليه السلام): "الطريق ومعرفة الأمام... هو الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعرفته والدليل على أنّه أمير المؤمنين"^(٣).

وفي واقعنا المعاصر يتبيّن هذا المفهوم بوضوح تامّ؛ إذ تتكاثر وتنتشر سبل الشرّ المهلكة، سواء أكانت في وسائل الإعلام أو بما يبثّ وينشر من الفكر المنحرف أو السلوكيات الخاطئة والسيئة التي يروج لها، ممّا يؤدي بالإنسان إلى التشتت والضياع في زحمة الفوضى العارمة في العالم والهجمات الفكرية المسيئة للأخلاق والمحرّضة على الفساد للفرد والمجتمع، وبالأخص الإسلاميّ منه، "وفي الناس كثيرون يؤمنون بالله ويعملون الصالحات، ولكنهم على غير الهدى ونهج الحقّ والصراط المستقيم، وليس ذلك

(١) الآمالي للصدوق: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي، تحقيق الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة، طهران، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ : ٢٤١ - ٢٤٢. ورد هذه الرواية في تفسير القمي: ٢ / ٤٢١. وروي في جامع السعادات: ١ / ٦١.

(٢) تقسي القمي: ٢٩/١، في الكافي، الكليني: ٣٩٤/٢، حديث رقم (٦٣/١١٥٠).

(٣) المصدر نفسه: ٢٨/١، وفي الكافي: ٣٩٤/٢، حديث رقم (٦٣/١١٥٠).

بعزيز بل العزيز من المؤمنين العاملين بالصالحات من يجري إيمانه وعمله على نهج الحق والصواب والهدى والصراط المستقيم^(١)، وهنا يكون أثر مفهوم الصراط المستقيم كمنهج ربّانيّ، يتمثّل باتّباع طريق النبيّ والأئمّة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً) والمرجعيّة التربويّة التي تحافظ على قيمة الإنسان وتجعله يسير على الطريق المستقيم أخلاقياً وتربوياً في هذا العالم المزدهم بكلّ الملهيات والمغريات، وهنا على الإنسان أن يجعل من الصراط بمعناه العام والشامل منهجاً عملياً في حياته يوجهه نحو السلوك الإيجابيّ، ويعزّز ثقته بقدراته، فيتحوّل إلى عضو نافع وصالح في المجتمع.

المطلب السادس: الجدل

عُني القرآن الكريم بمفهوم الجدل لما له من أثر في إثبات الحقوق وإظهار الحجج والبراهين، في المناقشات والآراء في إبعاد الشبهات، وإبراز شخصية المؤمن القويّة، وقد أورد الشيخ النراقي (رحمة الله) هذا المفهوم في كتابه جامع السعادات لارتباطه بالأخلاق والتربية الإيمانية للفرد المسلم.

الجدل في اللغة: قال ابن منظور "الجدل: اللدُّ في الخصومة والقدرة عليها... ويُقال: جَادَلْتُ الرجلَ فَجَدَلْتُهُ جَدَلًا أَي غَلَبْتُهُ... وَجَادَلَهُ أَي خَاصَمَهُ مُجَادَلَةً وَجِدَالًا، وَالْإِسْمُ الْجَدَلُ، وَهُوَ شِدَّةُ الْخُصُومَةِ... الْجَدَلُ: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ؛ وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَازَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ، وَالْمُرَادُ بِهِ فِي الْحَدِيثِ الْجَدَلُ عَلَى الْبَاطِلِ وَطَلَبُ الْمُغَالَبَةِ بِهِ لَا إِظْهَارُ الْحَقِّ"^(٢).

(١) البصائر الأربعة في سورة العصر، محمد مهدي الآصفى، مطبعة مجمع أهل البيت (عليهم السلام)،

النجف الأشرف، العراق، ط ٥، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م: ٤٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور: ١٠٥/١١ (جدل).

الجدل في الاصطلاح: "رفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه وهو الخصومة في الحقيقة، والجدال هو عبارة عن مرأ يتعلّق بإظهار المذاهب وتقريرها"^(١). **والجدال في المعنى القرآني:** "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"^(٢). والجدال عبارة عن طعن بكلام الآخرين المخالفين، وإظهار المذاهب، وهو الخصومة بإلحاح في الكلام ليحقّ به حقّ أو مالا، وهذا يأتي من جانبين: جانب يكون اعتراضاً على الكلام، أو أن يكون ابتداء ويكون القصد منه إمّا الإيذاء؛ وإمّا التسلّط^(٣)، والجدال هو المخاصمة والمدافعة، ومنه القبيح والحسن، فما كان لتبيين الحقّ من الفرائض مثلاً فهو حسن، وما كان لغيره فهو قبيح^(٤). ويمكن القول: إنّ الجدل هو تبادل الآراء ومناقشتها، وإظهار الحجّة أو الدليل على شبهة تتعلّق بالرأي المقابل، أو مجموعة آراء، والقصد يكون إثبات فكرة، أو رأي، أو ردّه إلى رأي آخر، أو قد يكون قصده إظهار الحقيقة وتعزيزها بالبراهين، معتمداً بذلك على النية الصادقة والعلم النافع للوصول إلى تغيير عقيدة الآخرين أو تصحيح أفكار منحرفة ومؤذية، وتنمية الروح الإيمانية والإنسانية وتفعيل القيم القرآنية للأفراد. وقال الشيخ النراقي (رحمه الله): "الجدال إن كان بالحقّ - أي تعلّق بإثبات إحدى العقائد الحقّة - وكان الغرض منه الإرشاد والهداية؛ ولم يكن الخصم لدوداً عنوداً فهو الجدل بالأحسن، وليس مذموماً، بل ممدوح معدود من الثبات في الإيمان الذي هو من نتائج قوّة المعرفة وكبر النفس"^(٥)، وهنا بيّن النراقي (رحمه الله) أنّ

(١) التعريفات، الشريف الجرجاني : ٧٩ .

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٣٧/١.

(٣) ينظر: المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء ، محسن الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، بذررت مكتبة الصدوق ، طهران، (د.ط)، (د.ت)، ٥ / ٢١١ - ٢١٢.

(٤) ينظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانى (ت ٧٨٦هـ)، دار احياء التراث العربي ، بيروت، لبنان، ط ١ ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م ، ط ٢ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م : ٢٥ / ٧٤.

(٥) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ٢ / ٣٩٦ .

الجدل يكون بدافع إظهار الحق وإثبات العقيدة الحقّة، وتقديم النصح والإرشاد للناس وهدايتهم، فهو غير مذموم، بل يعدّ من الثبات على طريق الإيمان والحقّ، وهو بذلك ممدوح، ومأجور فاعله، بينما إذا كان القصد منه المخاصمة وحبّ إبراز النفس والغلبة، وإرضاء الغرور والطمع، فيكون مذموماً، وهو من رذائل النفس الشهويّة والغضبّيّة، ومنشؤه من جهل وضعف في الشخصية، أو من علم لكن لم تهذب بالصفات الحميدة والأخلاق السامية، وهذا يجعل القلب قاسياً، وبعيداً عن الهداية الربانيّة، لأنّه يحوّل الإنسان إلى عبد للعناد والكبر، فيذهب بالجادة، ونور البصيرة، وتضيع عنده الدلائل والحجج الواضحات.

واستشهد الشيخ على ما ذكر بقوله تعالى: **أَرَىٰ** □ □ □ □ □^(١)، وقد ورد في التفسير أنّ هذه "الآية دالّة على أنّ الجدل مع العلم والهدى والكتاب المنير حقّ حسن... المراد بالعلم، العلم الضروريّ، وبالهدى الاستدلال والنظر لأنّه يهدي إلى المعرفة وبالكتاب المنير الوحي، والمعنى إنّّه يجادل من غير مقدّمة ضروريّة ولا نظريّة ولا سمعيّة"^(٢)، وذكر القمي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: "نزلت هذه الآية في أبي جهل"^(٣)، وروى السيوطي أنّها نزلت في النضر بن الحارث^(٤)^(٥)، والنضر بن الحارث

(١) سورة الحج : ٨ .

(٢) تفسير الكبير مفاتيح الغيب، الفخر الرازي : ٢٣ / ١٢ .

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي : ٢ / ٧٩ .

(٤) هو النضر بن الحارث هو بن علقمة بن كلدة بن عبد المناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجوهها، ومن شياطينها له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، وهو ابن خالة النبي (صلى الله عليه وآله)، ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وآذى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، كثيراً... شهد واقعة بدر مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الواقعة". ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي: ٣٣/٨ .

(٥) ينظر: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، راجعه وقدم له طه عبدالرؤوف سعد، الناشر المكتبة الازهرية للتراث، مصر، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م : ٧٧ .

كان يقول: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين، ولا يقدر الله على إحياء من بلي وصار تراباً، والحق أنّ الآية عامّة في كلّ من تعاطى الجدل ولا يرفع إلى علم برهان ولا نصفه وهذا ممّا لا يحتاج إلى الاستدلال لوضوحه^(١). ويتّضح لنا ممّا تقدّم من تفسير الآية أنّها تشير إلى أن الجدل المذموم هو الذي يكون في مسائل العقائد الحقّة بدون علم صحيح موثوق ولا دليل قاطع، وبدون هدى من الله تعالى، وبدون كتاب منزل بواسطة الوحي من الله تعالى، إذ يجادلون على الشبهة والظنّ، من غير بصيرة وهذا الجدل يؤدّي إلى الانحراف والضلالة، لأنّ المجادلين هنا لم يحكموا العقل، بل اتّبعوا أهواءهم المظلمة ونزعاتهم الشخصية ونفوسهم الأمّارة بالسوء؛ لغرض العناد والاستبداد بالراي وحبّ الغلبة، "فكلّ من ذمّ الجدل من السلف إنّما ذمّه على أحد وجهين: إمّا أن يذمّ جدل من نصر باطلاً ودعا إلى ضلالة، أو جدل من لا علم له بذلك، فلا يحلّ له أن يتعرّض له ولا يناظر أهل البدع، لأنّه يتعرّض لأحد أمرين ممنوعين، وربّما اجتمعا له، أحدهما: أنّه يظهر باطلهم على حقّه، والثاني: أنّه ربّما وقعت في نفسه شبهة، ليس عنده من العلم ما يردها به فتضلّه"^(٢).

وقد حرّم الجدل في الحجّ؛ قال الإمام الصادق (عليه السلام): "اعلم أنّ الرجل إذا حلف بثلاث أيمان ولأء في مقام واحد وهو محرم؛ فقد جادل، فعليه دم يهريقه ويتصدّق، وإذا حلف يميناً واحدة كاذبة؛ فقد جادل وعليه دم يهريقه ويتصدّق به"^(٣).

(١) ينظر: ضياء الفرقان في تفسير القرآن، محمد تقي النقوين، (ت ١٣٤١هـ)، دار الكتب الإسلامية، د.ت، طهران، ١٤٣٩هـ، ١١: ٥٠٩ - ٥٢٢.

(٢) سنن الصالحين وسنن العابدين، ابو الوليد بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ)، تحقيق ابراهيم باجس عبدالمجيد، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ٤٨-٤٨.

(٣) الكافي، الكليني: كتاب الحج، باب ما ينبغي تركه للمحرم من الجدل وغيره، ٣٨٧/٨، حديث رقم (٣/٧٢٠٢).

وفي زماننا المعاصر تظهر الصور المختلفة للجدال المذموم في ما يقوم به الأشخاص من طرح نقاشات غير مجدية وعرض آراء شخصية غير مدعمة بمعرفة صحيحة عن طريق الوسائل الإعلامية المنتشرة، ومواقع التواصل الاجتماعي، وما وفّرتة العولمة باسم الحداثة والتطور التكنولوجي المستغلّ بشكل خاطئ من قبل بعض الأفراد الذين استحوذت عليهم الدنيا بمغرياتها ونسوا ذكر الله تعالى وطاعته، فعميت بصيرتهم عن الحقائق الإلهية بخوضهم في أمور الدين والعقيدة والفكر؛ من غير علم نافع و رصين أو منهج إيماني صحيح؛ وغرضهم هو شيوع الفتن وإثارة الشبهات، وزرع التفرقة والطائفية، وتشثيت قوى المسلمين، لتكثر الفوضى ويعمّ الفساد في المجتمع الإسلامي.

والجدال مطلوب ممّن يحسن الكلام ويعرف الحقيقة، وعليه أن يجادل بأفضل الأساليب التي يقنع بها الآخرين، كما أمرنا الله في قوله تعالى: ﴿أَجِبْهُمْ بِجَوَابِهِمْ تَحْسَنُ تَهْتِمُ﴾ جم ١ حم ١ خم ١ (١).

ومن هنا تتّضح الحاجة الملحة إلى إعادة إحياء المعرفة وثقافة النقاش والحوار البناء ونشر الوعي على أساس الاحترام المتبادل والعلم الحقيقي، ليتحوّل الجدل إلى طريق للوصول إلى الحقيقة وتعزيزها وتوجيه الآخرين إلى طريق الخير والمنفعة، وهداية العقول ونصحهم وإرشادهم وبثّ روح الأخوة والبعد عن التنافر والتباغض والتخاصم، فإنّ الالتزام بأوامر القرآن الكريم وضوابط الدين الحنيف يجعل من الجدل طريقاً للسلام والأمان والإصلاح، ويكون من أدوات تثبيت القيم والمبادئ الإسلامية، لتهديب الإنسان فكراً وأخلاقياً.

المطلب السابع: اللعن

(١) سورة النحل: ١٢٥.

يُعدّ اللعن من المفاهيم العقديّة التي أظهر القرآن لها من الله موقفاً حازماً، وهو عقوبة في الدنيا والآخرة، ويتوجّه إلى كلّ ما يصدر من الإنسان من انحراف عقديّ، وسلوكيّ مثل الإصرار على الكفر، وعمل الكبائر، وكتمان الحقّ بعد بيانه، أو الفساد الخلقيّ، وقد بيّن الشيخ النراقي (رحمه الله) مفهوم اللعن وأثره في الإنسان. واللعن في اللغة: الطرد والإبعاد^(١). وفي الاصطلاح: قال الشريف الجرجانيّ: "اللعن من الله هو إبعاد العبد بسخطه، ومن الإنسان الدعاء بسخطه"^(٢). واللعن في المعنى القرآنيّ: "الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيّقه، ومن الإنسان دعاء على غيره"^(٣). ويكون اللعن بحكم من الله تعالى بعد توجيه وتحذير الفرد من تعديّ الحدود التي رسمها الله تعالى له في الشريعة التي إن تعدّاها انحرف إلى طريق الباطل، واللعن قد يتجاوز الشخص الملعون و يمتدّ أثره إلى ما له علاقة به، فإذا وقع اللعن الإلهيّ على أحد من الناس؛ فإنّ اللعن قد يطال ما حوله من أموال، ومن حوله من أولاد وحتى قد تصل اللعنة إلى أولاده وذريّته كما في الحديث القدسيّ: (ولعنني تبلغ السابع من الولد)^(٤).

واللعن يكون في الدنيا قبل الآخرة؛ وذلك لمن ظلم نفسه وظلم الآخرين بعمله المفسد المنحرف ليكون موعظة أخلاقيّة للبشريّة؛ ليراجعوا أنفسهم ويحاسبوها دائماً، لتقادي عقاب الله تعالى العاجل قبل الآجل في اللعن، ومن وصايا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) للإمام عليّ (عليه السلام): "يا عليّ، من انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله، ومن منع

(١) ينظر: أساس البلاغة، جاز الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، قدم الطبعة محمود فهمي

حجازي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ٢ / ٣٤٥ .

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٩٢ .

(٣) مفردات الفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني: ٧٤١ .

(٤) المواعظ الاخلاقية في شرح الاحاديث القدسية، السيد حسين نجيب محمد: ٢٥٤ .

أجيراً أجره فعليه لعنة الله، ومن أحدث حديثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله، فقيل: يا رسول الله وما ذلك الحدث؟ قال: القتل^(١).

وقد قال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن اللعن: "فلا ريب في كونه مذموماً، لأنّه عبارة عن الطرد والإبعاد من الله تعالى وهذا غير جائز إلّا من اتّصف بصفة تبعده بنصّ الشريعة، ثمّ لما كان اللعن هو الحكم بالبعد أو طلب الإبعاد من الله، والأوّل: غيب لا يطلع عليه إلّا الله، والثاني: لا يجوز إلّا على من اتّصف بصفة تبعده منه؛ فينبغي ألاّ يلعن أحداً إلّا من جوّز صاحب الشرع لعنه، والمجوّز من الشرع إنّما هو اللعن على الكافرين والظالمين والفاستقين كما ورد في القرآن، ولا ريب في جواز ذلك بالوصف الأعمّ، كقولك: لعنة الله على الكافرين، أو بوصف يخصّ بعض الأصناف، كقولك: لعنة الله على اليهود والنصارى، والحقّ جواز اللعن على شخص معيّن علّم اتّصافه بصفة الكفر أو الظلم أو الفسق"^(٢)، فبيّن النراقي (رحمه الله) أنّ الذي يبلغ مرحلة العناد والفساد، يستحقّ اللعن؛ وذلك لأنّ لطف الله ورحمته الواسعة لا يمنعها عن عباده إلّا من أغلق على نفسه أبوابها، بفساد نفسه واختيارها الانحراف، كما أشار النراقي (رحمه الله) إلى أنّ حكم اللعن لا يصدر إلّا من الله تعالى لمن يستحقّه، ولمن اتّصف بصفة تغضب الله تعالى وتبعده منه، ويكون اللعن على الكافرين والفاستدين والظالمين، وعلى المستمرّ بالتمادي ويتججّ به. وقد ذكر النراقي (رحمه الله) مثلاً من آيات القرآن الكريم عن اللعن، وهو قوله تعالى: **مَبْهُوتَتَحَنَّنَ**^(٣)، وقد ذكر المفسّرون أنّ معنى هذه الآية: "هؤلاء الذين يكتُمون ما أنزل الله من أمر محمّد (صلّى الله عليه وآله) وصفته وأمر دينه، أنّه الحقّ، من بعد ما بيّنه الله لهم في كتبهم، يلعنهم الله بكتّمانهم ذلك وتركهم تبينه للناس... وأصل اللعن، الطرد"^(٤).

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، باب النوادر: ٢٦٦/٤ .

(٢) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ١ / ٢٠٨ .

(٣) سورة البقرة: ١٥٩ .

(٤) تفسير الطبري: ابن جرير الطبري: ٢ / ٧٣٢ .

فالمستحقّين لللعن في هذه الآية هم الذين كتموا الحقائق والحجج والبراهين الصريحة الواضحة على نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) واستمروا بهذا دون التراجع والتوبة، فهم مطرودون من رحمة الله ولطفه وعنايته، وكلّ من قد لعنه الله من الجنّ والأنس يلعنهم اللاعنون^(١). وقد يكون اللعن مستحقاً على من يلعن المؤمنين غير المستحقّين لللعن؛ فيعاقبه الله تعالى بأن ترجع اللعنة عليه كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: "إن كنتم تريدون أن تكونوا معنا يوم القيامة لا يلعن بعضكم بعضاً فانّقوا الله وأطيعوه، فإن الله يقول: **أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَلْعَنُ اللَّهُ مَن لَّعَنَ أَهْلَ الْبَيْتِ**"^(٢)^(٣)، وإنّ الله تعالى وعباده المؤمنين الصالحين، والملائكة المقربين يلعنون كلّ من يكتُم الحقّ، ولا يظهره للناس، فإنّهم غاضبون من أجل أنصار الحقّ، ويوصف هذا العمل بأنّه خيانة كبرى، من أجل تضليل الناس عن الحقيقة وخوفاً على مصالحهم أن تضرب^(٤). ومن الحالات التي يُستحقّ عليها اللعن ما جاء في حديث النبي (صلى الله عليه وآله)؛ فقد ورد عن الإمام عليّ (عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: "سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المغيّر لكتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمبدّل سنّة رسول الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله عزّ وجلّ، والمتسلّط في سلطانه ليعزّ من أدلّ الله ويذلّ من أعزّ الله، والمستحلّ لحرم الله والمتكبر على عبادة الله (عزّ وجلّ)"^(٥). ويتّضح هنا أنّ اللعن يكشف عن قباحة الجرم وخسّته، وأنّ هذا الطرد من رحمة الله تعالى يكون شاملاً وعاماً، إذ يكون بدعوة اللعن من جميع اللاعنين من الناس والملائكة والأنبياء لوجوب استحقاق الاستبعاد من

(١) ينظر: تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي : ١ / ٦٤ .

(٢) سورة الإسراء: ٧١ .

(٣) سفينة البحار، عباس القمي، دار الإسوة للطباعة والنشر، طهران، د . ت ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ : ٧ / ٥٩٧ .

(٤) ينظر : الامثل، ناصر مكرم الشيرازي : ١ / ٣١١ .

(٥) سفينة البحار، عباس القمي : ٧ / ٥٩٨ .

رحمة الله تعالى^(١). وفي واقعنا الذي نعيشه اليوم يظهر أنّ اللعن يقع على كلّ من يضلّل الآخرين، أو يوقع بهم الضرر، أو يستغلّ منصبه ويستغلّ المظاهر الدينيّة لغايات ومصالح شخصيّة، فيكون التذكير واستحضار مفهوم اللعن، يؤدّي إلى تنبيه الضمير والوعي الأخلاقيّ والإنسانيّ، ويمنع الإنسان من ارتكاب الظلم والمفسدات والكذب وغشّ الناس، فتتخلّى عنه روح المسؤوليّة عن الفعل أو القول وآثارها الوخيمة في الدنيا من لعن من الله تعالى ورفع رحمته وعنايته الربّانيّة، فيكون معرضاً للمصائب والكوارث التي تصيب نفسه، أو أولاده وماله وما يملك، واللعن في الآخرة من البعد من رحمة الله ورضوانه وخلوده في العذاب، وهذا كلّ نتيجة قطعيّة؛ لاستبعاد الفرد عن طريق الحقّ، إذ يتوجّه بمحض إرادته إلى طريق الظلم والمهالك فيحرم نفسه من فيض الرحمة الإلهيّة، ويتعدّ عن قرب الله ورضوانه (عزّ وجلّ).

المبحث الثاني: المفاهيم الفقهيّة

إنّ الفقه الإسلامي يعدّ من العلوم الشرعيّة المهمّة، التي تقوم بتنظيم الجوانب المختلفة في حياة الإنسان، فيبين الأحكام الشرعيّة والعمليّة التي تستنبط من الأدلّة التفصيليّة، وهذه الأحكام تعنى بإرشاد الفرد المسلم إلى تطبيق كلّ ما أمر الله تعالى به من التشريعات وما نهى عنه في الحياة الواقعيّة، وهذه الأحكام الفقهيّة اعتمدت على ألفاظ ومصطلحات لها دلالات معيّنة، تبيّن المفاهيم الفقهيّة، وتوضّح أبرز معانيها؛ وإنّ فهم واستيعاب هذه المفاهيم يعدّ أساساً لمعرفة الأحكام الشرعيّة وتوضيح مقاصدها، ومن هذا الجانب تأتي أهميّة إبراز المفاهيم الفقهيّة وربطها بالواقع المعاصر للإنسان، وبذلك يتحقّق التوازن بين متطلّبات الحياة والالتزام بالواجبات من الأحكام الشرعيّة. ومما يسهّل إدراك

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٥٩٨/٧.

الأبعاد المعرفية والعملية، التي ذكرها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتابه جامع السعادات، وتفسير تلك المفاهيم وإبراز المضمون التشريعي لما له أهمية كبيرة في إعادة توجيه نظر الإنسان إلى هذا الموروث المتأصل الذي يربط بين المنهج القرآني وتطبيقه في الحياة اليومية الواقعية المعاصرة. **والفقه في اللغة:** قال الخليل: "الفقه: العلم في الدين، والتفقه: تعلم الفقه" (١).

الفقه في الاصطلاح: قال الشريف الجرجاني: "هو العلم بالأحكام الشرعية العلمية المكتسبة من أدلتها التفصيلية" (٢). **والفقه في المعنى القرآني:** "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم" (٣). ومما تقدم يمكن القول: إن المفاهيم الفقهية هي: المعاني، والأغراض، والدلالات المتعلقة بالأحكام الشرعية الدينية العملية التي يستنبطها الفقيه من أدلتها التفصيلية، وتسهل فهم الأحكام، والنصوص الشرعية وتوضيح حدودها، وهذه المفاهيم تمثل الإطار الفكري الذي يبين مفاهيم الأحكام الفقهية، وعلاقتها بالواقع مما يقدم للإنسان تنظيم حياته العلمية اليومية، ومنها يدرك مقصدها الجوهري، والفائدة الحقيقية التي تعود بالنفع والمصلحة للفرد والمجتمع.

المطلب الأول: الطهارة

لأرب في أن الطهارة من المفاهيم القرآنية المهمة، التي أكدها القرآن الكريم، والتي لها مكانة أساسية في التربية الإسلامية، لأثرها في تهيئة المؤمن للقيام بأداء العبادات والأدعية والأعمال المستحبة التي تقربه من الله تعالى، وتكون بطهارة الجسد الظاهرية،

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٣/ ٣٣٤ (فقه).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٧٠.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٩٦.

وطهارة النفس الباطنيّة، وقد تطرّق الشيخ النراقي (رحمه الله) لمفهوم الطهارة بوصفه الوسيلة العمليّة لتَهذيب النفس وتركيتها؛ للمساهمة في تحقيق التوازن النفسي والروحي، والوصول إلى محبة الله تعالى ورضاه. **والطهارة في اللغة:** قال ابن فارس: "الطَّاءُ وَالْهَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى نَقَاءٍ وَزَوَالِ دَنَسٍ، وَمِنْ ذَلِكَ الطُّهْرُ، خِلَافُ الدَّنَسِ، وَالنَّطُّهُرُ: التَّنَزُّهُ عَنِ الدَّمِّ وَكُلِّ قَبِيحٍ"^(١). **الطهارة في الاصطلاح:** "عبارة عن غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة"^(٢).

والطهارة في المعنى القرآني: تعني طهارة الجسم أو طهارة النفس، وتعني ترك الذنب والعمل على الصلاح^(٣). والطهارة لا تُحدّد بطهارة الجسم من النجاسات للقيام بسلوكيات العبادة، بل تكون بمثابة عمليّة متكاملة غايتها التَهذيب والتطهير الباطني والظاهريّ تنفيذاً لأوامر الله تعالى؛ لجعل الحياة منسجمة مع ما يريده الله تعالى من الإنسان، ليصبح نقي القلب والضمير، و"لا تجري طهارة إلّا بنية وقصد، لأنّ المفروضات لا تؤدّي إلّا بقصد أدائها، ولا يسمّى الفاعل لها على الحقيقة فاعلاً بقصد منه إلى الفعل"^(٤)، و"الطهارة هي الحالة الناتجة عن زوال الدنس، إلّا إن الأدناس تختلف جداً، وإنّ عامّة معاني الطهارة تعود إلى الطهارة المعنويّة، ولا تختصّ بالطهارة الماديّة"^(٥)، واشترط في أداء الاعمال العباديّة الطهارة الظاهريّة؛ كلبس المصحف، وفي الصلاة والصيام والطواف، والسعي في الحجّ والعمرة.

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤٢٨/١ (طهر).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٤٥.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٤٠١.

(٤) معجم فقه التمهيد، علي بن عبد القادر، (د. ت)، دار ابن حزم، رَفَعَهُ عبد الرحمن النجدي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ٤١٤-٤١٥.

(٥) فقه الاخلاق، السيد الشهيد محمد صادق الصدر: ١ / ٩٤.

ويمكن القول: إنّ الطهارة هي عملية إزالة النجاسة والخبث، وكلّ ما يتعلّق بذلك من تنظيف وغسل، أي تنزيه الجسم من النجاسة الظاهرة، وتنظيف وتنقية الباطن من الأدناس والذنوب المعنويّة الرذيلة، وتهيئة الأنفس للعبادة واستقبال الفيض الإلهي. وقد قال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن الطهارة: "ينبغي لكلّ مؤمن أن يستحضر عند اشتغاله بالطهارة عن الحدث أنّ تكليفه بها للدخول في العبادات والمناجاة مع خالق البريّات إنّما هو لكون أعضائه التي أمر بغسلها مباشرة للأمور الدنيويّة منهمكة في الكدورات الطبيعيّة، فخرجت عن أهليّة القيام بين يدي الله سبحانه والاشتغال بعبادته، فالأمر بغسلها؛ لتتطهّر عن هذه الكدورات؛ فيتأهّل للمناجاة، ولا ريب في أنّ مجرد غسلها لا يطهّرها عن الأدناس الدنيويّة والكدورات الجسمانيّة ما لم يطهّر قلبه عن الأخلاق الذميمة، والعلائق الدنيويّة، ما لم يعزم على الرجوع إلى الله، والانقطاع عن الدنيا وشهواتها"^(١)، وبهذا القول يؤكّد النراقي أنّ الطهارة لا تقتصر على رفع الحدث، ليقوم المكلف بالعبادات والدخول بالمناجاة لله تعالى، بل تكون للطهارة الداخليّة، والتطهير النفسي والأخلاقيّ، ومثلما الجسم يتدنّس بالنجاسات الماديّة والحسيّة، فكذلك القلب والنفس يتلوّثان بالرذائل كالحسد والتكبر، والاهتمام بالطهارة الظاهرة، ونسيان أو إهمال الباطن، يعدّ تقصيراً في معرفة الحقيقة من الطهارة وفهم الغاية منها، فإنّ المقصود من كلّ العبادات هو إصلاح النفس وتهذيبها^٢، فيكون الشيخ بذلك قد قرّر أنّ الطهارة الكاملة لا تتحقّق إلّا عندما تجتمع طهارة القلب والنفس مع طهارة الجسم، إذ إنّ الأعمال لا تؤدي نتيجة أو ثمرة ما لم تنبع من باطن طاهر ونقيّ.

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي : ٣ / ٦٥٢ .

(٢) ينظر: جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٣ / ٦٥٢ .

وقد ذكر الشيخ قوله تعالى: ﴿تَنَقَّيْ﴾^(١)، ورد في تفسير معنى الآية: "قد استفاد من الآية الشريفة حكان تكليفيّان، واقعيّان، أوليّان، مقدّمان، هما وجوب الوضوء على المُحدِّث بالأصغر مقدّمة للصلاة، والغسل على المُحدِّث بالأكبر كذلك، وحكم تكليفيّ اضطراريّ مقدّميّ، وهو وجوب التيمّم مع فقدان الماء، وقد بيّنت الآية أحكام الطهارة الثلاث، فقوله (﴿تَنَقَّيْ﴾) مسوق لبيان أنّ جعل تلك الأحكام وإيجاب تلك الأفعال ليس لإيجاد الضيق على المكلفين، فلم يقصد من تشريعها لك وإن أوجبه قهراً، ويقتضي طبع التكليف والعمل على ما هو ظاهر الآية؛ بل المقصود منها حصول المكلفين، والظاهر أنّ المراد ليس خصوص الطهارة البدنيّة الحاصلة باستعمال الماء؛ فإنّها غير متحقّقة في الطهارة الترابيّة، بل الأعمّ منها ومن النظافة الباطنة والنزاهة الروحيّة"^(٢). وقد قسّمت الشريعة الطهارة قسمين: "طهارة بالماء، وطهارة بالتراب، فالطهارة بالماء على ضربين: أحدهما وضوء، والآخر غسل، فالموجب للوضوء عشرة أشياء: البول، والغائط، والريح، والنوم الغالب على السمع والبصر، وكلّ ما أزال العقل من سكر أو جنون وإغماء وغير ذلك، والجنابة، والحيض، والاستحاضة، والنفاس، ومن الأموات من الناس بعد بردهم بالموت وقبل تطهيرهم بالغسل"^(٣). ويتّضح من هذا التفسير أنّ الآية تقيد بيان الطهارة وأحكامها، ومقصدها الشرعيّ، إذ أبعد الله تعالى الضيق أو التعب، وبين إثبات الغاية من الطهارة، هي التطهير من الدنس الظاهر والباطن، وإتمام النعم على العباد، فبسط عليهم عند فقدان الماء، التيمّم بالتراب تخفيفاً عنهم، وهذا دليل على أنّ الله تعالى يسّر الطهارة على المسلمين، ولم يشدّد عليهم، وأشارت الآية إلى أنّ التطهير يشمل الجسد، والنفس من

(١) المائدة: ٧.

(٢) تفسير المبسوط، علي مشكيني (١٣٥٨هـ)، تحقيق جواد فاضل البخايش، مؤسسة دار الحديث العلمية والثقافية، قم، إيران، ط ١، ١٤٣٤هـ: ١ / ٥١٠.

(٣) مصباح المجتهد، ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق حسين الاعلمي، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: ٢٢.

الرزائل المهلكة، وبذلك ينمي عند المسلم روح الانضباط والنشاط والطاعة، وهو الشكران بمفهومه التطبيقي لله تعالى وليس فقط باللفظ.

وفي واقعنا الذي نعيشه اليوم؛ إذ تتسع الضغوطات النفسية وتحديات الحياة اليومية، تظهر الحكمة المقصودة من هذا المفهوم القرآني بأنه يرفع القيود والضيق من الإنسان، فيتحرر من الإحساس بالثقل في ممارسة العبادات الدينية الواجبة والمستحبة، مؤكداً أنّ الطريق للراحة، هو الالتزام بأوامر الله تعالى وأحكامه الشرعية، وبالطهارة يتعلم الإنسان التنظف، والتجمل بالمظهر وبالجوهر.

وبالوعي الذاتي تزرع الطهارة في داخله التزكية القلبية والنفسية الحقيقية، فيثمر منها السلوك الأخلاقي الإيجابي الحميد في المجتمع، وبذلك ينتقل مفهوم الطهارة من تطبيقات يومية وأنشطة اعتيادية إلى طاقة إيجابية وتربوية تعزز قيمة الإنسان، وتبني توازنه واستقراره، وتجعل منه شاكراً، ممتناً لخالقه عز وجل، وعنصراً فعالاً ومؤثراً في واقعه.

المطلب الثاني: الصلاة

يُمثّل مفهوم الصلاة واحدةً من أعظم وأقدس الطاعات الواجبة على العباد المشرعة من الله تعالى، وهي الوسيلة التي توصل وتقرب العبد بخالقه، وبها تطهر النفس والقلب من دنس الذنوب والمعاصي، وقد تناول الشيخ النراقي (رحمه الله) هذا المفهوم لأثره الكبير في إصلاح سلوك الفرد المسلم نحو الخير والإحسان.

الصلاة في اللغة: تدلّ على الدعاء والذكر والاستغفار، قال الخليل: "صَلَوْتُ الرَّسُولَ لِلْمُسْلِمِينَ: دُعَاؤُهُ لَهُمْ وَذِكْرُهُمْ، وَصَلَوْتُ اللَّهَ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ خَلْقِهِ: حُسْنُ ثَنَائِهِ

عليهم وحُسن ذكره لهم، وقيل: مَغْفَرَتُهُ لهم، وصَلَاةُ الناسِ على المَيِّتِ: الدُّعاء، وصلاة الملائكة: الاستِغفار^(١).

الصلاة في الاصطلاح: "عبارة عن أركان مخصوصة واذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدّرة، والصلاة أيضاً: طلب التعظيم لجانب الرسول (صلى الله عليه وآله) في الدنيا والآخرة"^(٢). **والمعنى القرآني للصلاة:** "هي الدعاء والتبرّك والتمجيد، يقال: صليتُ عليه، أي: دَعَوْتُ لَهُ وزَكَّيْتُ... وصلوات الرسول وصلاة الله للمسلمين هو في التحقيق تركيته إيّاهم... ومن الملائكة هي الدعاء والاستغفار كما هي من الناس"^(٣). ويمكن القول: إنّ الصلاة هي صلة العبد برَبِّه، وهي دائمة ومتجدّدة، ويعبّر بها المسلم عن توحّيده لله وإخلاصه خضوعه له لله تعالى؛ بالتكبير والقيام وقراءة القرآن والركوع والسجود والذكر والدعاء والتشهُّد والتسليم، إذ إنّها تشتمل على هذه الأفعال والأقوال المخصوصة، فقد شرّعها الله تعالى لتحقيق الخضوع لعظمته وإقامة ذكره، وتركية النفس الإنسانية، والصلاة تحفظ الإنسان من الوقوع بالحرام أو الانحراف في سلوكه أو فكره أو عقيدته. قال الرسول (صلى الله عليه وآله): "ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس: أيّها الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم"^(٤)، فعلى المسلم العاقل البالغ إقامة فريضة الصلاة، وعليه تحقيق أمور منها: "إنّه ينبغي الإقدام عليها بعشقٍ ورغبة وهمّة عالية؛ لا متكاسلاً، ولا متناعساً، خاشعاً خاضعاً ذليلاً خائفاً وجِلاً، ممثلاً للجنة والنار بين يديه، مترقباً لملك الموت متى يُؤمَر عليه وتأهباً

(١) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٢ / ٤١٠ ، (صلو).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١٣٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٣٧٤ .

(٤) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١٤٩/١ .

لحساب، وحصول الثواب، وحلول العقاب، متحذراً من الشيطان، متحفظاً من الرياء، والعُجب، وحبّ السمعة التي قلّ ما يخلو منها إنسان^(١).

وتعدّ الصلاة أهمّ عبادة شرعيّة، وهي تمثّل هويّة المسلم، واستقامته على طريق الهداية والصلاح، وهي منهج روحيّ، وتربويّ، وسلوكيّ، تُرجع الإنسان إلى خالقه في كلّ يوم، وفي خمس أوقات، وبها يُعيد الإنسان توازنه الداخليّ في جميع أحواله، قال الإمام الصادق (عليه السلام): "لا تجتمع الرغبة والرغبة في قلب إلاّ وجبت له الجنّة، فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ وجلّ؛ فإنّه ليس من عبد مؤمن يُقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلاّ أقبل الله عزّ وجلّ عليه بقلوب المؤمنين إليه وأيّده مع مودّتهم إياه بالجنّة"^(٢).

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) في الصلاة: "فاعلم يا حبيبي، إنّ صلاتك قربة وتحفة تتقرّب بها إلى حضرة ملك الملوك، كوصيفة يهديها طالب القرب والجاه من السلاطين إليهم، وهذه التحفة تُعرض على الله ثمّ تردّ إليك في يوم العرض الأكبر، فالإيك الخيرة في تحسين صورتها أو تقبيحها، فمن أدّاها على النحو المأمور به؛ بأعمالها الواجبة والمندوبة، وشرائطها الظاهرة والباطنة، مع الإخلاص وحضور القلب كان كمن أهدى عبداً صحيحاً سويّاً شابّاً جميلاً عاقلاً كاملاً إلى ملك من الملوك، ومن اقتصر على أعمالها الظاهرة، وغفل من الحضور والتوجّه والقربة والإخلاص؛ كان كمن أهدى عبداً ميّتاً بلا روح إلى ملك من الملوك، ومن ترك عمداً شيئاً من واجباته؛ كان كمن أهدى عبداً مقتولاً إليه، ومن اقتصر على أقلّ ما يجزي كان كمن أهدى إليه عبداً حيّاً أعمى، أو أصم، أو أبكم، أو مقطوع الأطراف، أو هرماً، أو قبيح المنظر، أو مجروح الأعضاء، أو أمثال

(١) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ)، تحقيق مكتب

الاعلام الاسلامي، فرع خراسان الرضوي، قم، مؤسسة بوستان كتاب، ط ٢، د.ت: ٣/ ١٣٩

(٢) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق: ١/ ١٥٠٣.

ذلك، فتنّبّه أيّها الغافل، وتأمّل في أنّك إذا أهديت تحفة إلى ملك من ملوك الدنيا؛ بل إلى من دونه بمراتب كثيرة؛ من الأمراء والحكّام، كيف تجتهد وتسعى في تجويدها وتحسينها ليقبلها، فما بالك أيّها المغرور تغفل وتتساهل من تحسين هديّتك وتحفّتك إلى ملك الملوك الذي منه بدؤك وإليه عودك^(١)، ومن هذا الكلام يتبيّن أنّ النراقيّ (رحمه الله) ينظر إلى الصلاة على أنّها لا تكون مجرد أداء أو حركات ظاهريّة، وإنّما هي حضور القلب؛ إذ يكون العبد بين يدي ربّه، وهي قربة وتحفة؛ يصبح العبد بها أقرب إلى الله تعالى، كما يكون التقرب إلى ملك من الملوك في حضرته يريد بها قربة وطلب الجاه منه، فعليه أن يعدّها ويقدمها إليه بما يليق بسلطانه ومكانته، وكما أنّه إذا أهدى هديّة وتكون ناقصة أو بها عيب؛ فإنّها لا تُقبل منه، ولا يرغب الملك بها، وقد يردها عليه، كذلك الصلاة؛ إذا كانت خالية من الشروط المحدّدة لها؛ الظاهريّة، والباطنيّة فإنّها ناقصة في أثرها وتأثيرها، وقد لا تُقبل منه وتردّ عليه، بل قد تكون وبالاً عليه^(٢)، وأكد الشيخ أيضاً أنّ ظاهر الصلاة الذي يمثّل شروطها وأركانها والأمور الخاصّة بالآداب هو تأديتها، أمّا باطنها فيكون تحقيقه بحضور القلب والنيّة الصادقة للتوجّه لله تعالى لا إلى غيره، مع الإخلاص والصدق له وحده سبحانه وتعالى، والذي يأتي بصلاته كاملة لكلّ الأعمال والأقوال الظاهرة منها والباطنيّة مع الخشوع التامّ، والانقطاع إلى الله تعالى، فكأنّه قدّم هديّة متكاملة ومرضيّة عند الملك، ودون ذلك فإن أهداها ناقصة، بلا أحساس أو روح، وبدون قيمة تُذكر.

وقد ذكر الشيخ النراقيّ (رحمه الله) قوله تعالى: **أَنَّى** □ □ [سورة طه: ١٤]، وجاء في تفسير الصلاة في الآية: "خصّها بالذكر وأفردها بالأمر، للعلة التي أناط بها إقامتها، وهي: تذكّر المعبود، وشغل القلب واللسان بذكره، وقيل: (□) لأنّي ذكرتها في الكتب

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٦٥٧ / ٣.

(٢) ينظر: جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٦٥٧/٣.

وأمرت بها، أو لأنّ أذكرك بالثناء، أو: لذكري خاصّة لا ترائي بها ولا تشوبها بذكر غيري، أو: لأوقات ذكري، وهي مواقيت الصلاة، وقيل لذكر صلاتي^(١).

وجاء في تفسير الطبري: "أي: لأن تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم، لأنّ الصلاة لا تكون إلّا بذكر الله، عن الحسن ومجاهد، وقيل: معناه لأن أذكرك بالمدح والثناء، وقيل: إنّ معناه صلّ لي، ولا تصلّ لغيري كما يفعله المشركون... وقيل: معناه أقم الصلاة متى ذكرت أنّ عليك صلاة، كنت في وقتها أم لم تكن"^(٢)، وقال ابن كثير: "معناه: صلّ لتذكرني، وقيل معناه: وأقم الصلاة عند ذكرك لي"^(٣).

يتّضح ممّا تقدم أنّ هذه الآية تبين أنّ المعنى الجوهريّ للصلاة هو الذكر الدائم لله تعالى، وأنّ هذا الذكر يكون بإقامة الصلاة بخشوع وحضور قلب، وبشروطها، وبكلّ آدابها، والتعوّد على إدراك عظمة الله تعالى، والثناء عليه وتسبيحه، في أثناء القيام بها، فهذا الأمر بإقامة الصلاة لا ينحصر على التأدية بالحركات من ركوع وسجود فقط، بل وجوب إقامتها يشمل الاتّصال الروحيّ والقلبيّ مع الله تعالى. وهو المقصد الحقيقيّ للإقامة، إذ تكون الصلاة الوسيلة التي يؤدّيها المسلم للإحياء الدائم لذكر الله تعالى في النفس والروح، ويبقى أثر هذا الاتّصال مع الله متجدّداً ولا يزول عن المؤمن حتّى بعد الانتهاء منها، "وأقرب ما يكون العبد في صلاته إلى الله حالة السجود... وغاية هذه الرحلة هو الله تعالى، ويمرّ الإنسان خلال هذه الرحلة على مشاهد ذات بهجة من الشكر والذكر، والاستغفار، والدعاء، والقنوت، والتشهد، والتسليم، والثناء، والمدح... وكلّ واحد من

(١) تفسير كنز الرقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تحقيق حسين دركاهي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، طهران- إيران، ط ١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م : ٨ / ٢٩٨ .

(٢) جامع البيان من تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: ٧ / ١١ .

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ٥ / ٢٧٧ .

هذه المشاهد روضة بهجة من رياض الذكر والعبودية، يعرف قيمتها، وما فيها من لذة وقرّة عين أولئك الذين رزقهم الله وفي هذه المباهج واللذات العقلية والروحية^(١).

وفي عصرنا هذا؛ إذ تتكالب الظروف الصعبة، والضغوطات اليومية المتكررة لتسارع الأحداث وتكثر التحديات والصعاب، فتكون الصلاة محطة الراحة النفسية والاطمئنان والسكينة اليومية؛ لتعيد الفرد إلى وعيه وتوازنه الروحي والنفسي؛ فهي تغرس في داخل المؤمن الأمان والانضباط، والالتزام، وتعوّده على مراقبة نفسه وأعماله، فتعطي له الطاقة الإيجابية الروحية الباعثة للتفاؤل والتحمّس لفعل الخير، وحبّ الآخرين ومساعدتهم، وتمنحه القدرة على مواجهة كلّ التحديات وصعوبات الحياة اليومية فعندما تؤدّي الصلاة بصدق ووعي ذاتي، وبيقين بالله عزّ وجلّ؛ يصبح الإنسان أكثر هدوء في تعامله وسلوكه مع الآخرين، وأكثر إدراكاً، وأكثر التزاماً بالتعاليم الربّانية، والأخلاق الفاضلة، وبهذا تصبح الصلاة ليست عبادة وفريضة واجبة؛ بل تتحوّل إلى عملية إصلاح للفرد المسلم وتهذيبه في المجتمع.

المطلب الثالث: الزكاة

الزكاة من الفرائض الإلهية التي تمثّل تأصيل الأخوة، والرفق والرحمة بالآخرين المحتاجين، وهي بحدّ ذاتها تربية للنفس، على نبذ الأنانية، وحبّ المال وفكّ التعلّق به، ممّا يساهم في تحقيق التوازن الاقتصادي، ومنع تكديس الثروات بأيدي فئة قليلة من الناس؛ ممّا يؤدّي إلى ظهور الطبقة في المجتمع، أي: طبقة متخمة مترفة متنعمة، وطبقة معدمة محرومة لا تكاد تسد أبسط احتياجاتها.

(١) حضور القلب في الصلاة، محمد مهدي الآصفي، مطبعة مجمع أهل البيت (عليهم السلام)، النجف الأشرف، العراق، ط٢، ١٤٣٢هـ - ٢٠١٠م: ١٢.

الزكاة في اللغة: الزيادة والنماء، والصلاح، وزكاة المال: تطهيره^(١).

الزكاة في الاصطلاح: ما يُخْرَج من المال للمساكين بإيجاب الشرع^(٢). والمعنى القرآني للزكاة: الأصل في معنى الزكاة هو النموّ الحاصل عن بركة الله تعالى، ويعتبر ذلك بالأمور الدنيويّة والآخريّة، والزكاة تطلق على ما يُخْرِج الإنسان من حقّ الله تعالى إلى الفقراء، وتسميته بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس؛ أي تتميتها بالخيرات والبركات^(٣). ويمكن القول: إنّ الزكاة فرض على كلّ مسلم ومسلمة، وهي حقّ في الأموال بنسبة مخصّصة بشروط محدّدة، والقصد منها تطهير الأموال وتتميتها لحصول البركة منها، وهي تزكية للنفس بالدرجة الأولى بما تتخلّى عنه؛ من أجل تعويدها على الطاعة والعطاء، وتحقيق روح التعاون والتكافل والعدالة بين أبناء المجتمع. والزكاة "ما يدفع الهلاك عن الإنسان تحقيقاً كالنفقة، ودور السكن، وآلات الحرب، والثياب المحتاج إليها لدفع الحرّو البرد، كالدين، فإنّ المديون محتاج إلى قضائه ممّا في يده من النصاب دفعاً عن نفسه الحبس الذي هو كالهلاك"^(٤). وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) في الزكاة: "السّرّ في إيجاب الزكاة، بل فضيلة مطلق إنفاق المال، ثلاثة أمور: الأول أنّ التوحيد العامّ ألاّ يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد، إذ المحبّة لا تقبل الشركة، والتوكيد باللسان قليل الجدوى، وإنّما تمتحن درجة الحبّ بمفارقة سائر المحابّ، والأموال محبوبة عند الناس؛ لأنّها آلة تمتّعهم بالدنيا، ولأجلها يأنسون بهذا العالم، ويخافون من الموت، ويتوحّشون منه، مع أنّ فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا في صدق دعواهم الحبّ التامّ

(١) ينظر: كتاب العين، الليل بن أحمد الفراهيدي: ١٨٩/٢ (زكو).

(٢) ينظر: الكليات، الكفوي: ٤٨٦.

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٨٢.

(٤) مجمع البحرين وملتقى النيرين في الفقه الحنفي، الأمام مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب المعروف بأبن الساعاتي الحنفي (ت ٦٩٤هـ)، تحقيق إلياس قبلان، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م: ١٧٩.

لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابّهم، أعني المال^(١). ويرى النراقي (رحمه الله) أنّ الزكاة من العمليّات التي تربّي النفس على هدم حبّ المال، وحبّ الدنيا، وليست فقط مجرد فرض واجب بإخراج نسبة من المال، وأنّ الغاية من الزكاة أن يُقدّم حبّ الله ورضاه، على شهوة حبّ المال والتمكّك للثروات، فبالزكاة يتطهّر قلب الإنسان من التعلّق المفرط بفارقة المحبوب من المال، وهذه المفارقة لا تتمّ إلا بالمجاهدة، وهي تنمّي فضيلة الإيثار والإحساس بالمسؤوليّة نحو المحتاجين. وقد استشهد النراقي (رحمه الله) في كلامه عن الزكاة بقوله تعالى: **أَثْمَرٌ جَمِيدٌ حَمِئٌ خَمِيمٌ** ^{سورة}، وقد ذكر المفسّرون معنى الآية، فقال الطباطبائي: "الاشتراء هو قبول العين المبيعة بنقل الثمن في المبايعه، والله سبحانه يذكر في الآية وعده القطعيّ للذين يجاهدون في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم بالجنة، ويذكر أنه ذكر ذلك في التوراة والإنجيل كما يذكره في القرآن، وقد قلبه سبحانه في قالب التمثيل؛ فصوّر ذلك بيعاً، وجعل نفسه مشترياً، والمؤمنين بائعين، وأنفسهم وأموالهم سلعة ومبيعاً، والجنة ثمناً، والقرآن سنداً للمبايعه، وهو من لطيف التمثيل ثم يبشّر المؤمنين ببيعهم ذلك، ويهنّئهم بالفوز العظيم"^(٣)، ويتّضح من هذا التفسير أنّ الآية تبين العلاقة بين المسلم وماله، وهي لا تكون علاقة ملك فقط وإنّما علاقة مسؤوليّة، فالمال أمانة أودعها الله عند الإنسان واستخلفه عليها، والملك كلّّه بالحقيقة لله عزّ وجلّ، وقد اشترى من المؤمن ماله ونفسه في مقابل الفوز بالجنة، ومن المصاديق لهذا البيع والشراء هو الزكاة؛ إذ يأخذ المؤمن نسبة من ماله سنوياً، ويقدمها طاعة وقربة لله تعالى متيقناً بأنّ ما يجازي به الله أحسن وأبقى.

(١) جامع السعادات، شيخ محمد مهدي النراقي، ١/٢: ٣٠٩.

(٢) سورة التوبة: ١١١.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ٩/٣٩٥.

وذكر النراقي (رحمه الله) شاهداً آخر عن الزكاة بالأمر الصريح بها من الله في قوله تعالى: ﴿...﴾^(١)، وذكر المقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ) في تفسير هذه الآية أنّ إيتاء الزكاة المراد بها هنا هي الواجبة، وأمّا الإيتاء الأول فيشمل الواجب وغيره ففي المال حقوق واجبة سوى الزكاة، وهي محمولة على حقوق واجبة غير الزكاة ممّا له سبب كالنفقة على من يجب نفقته، وعلى الجائع بسد رمقه^(٢)، وقال الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) في تفسير هذه الآية: إنّها متعلّقة بما قبلها، فهي "تفريع على جملة (هو اجتباكم)، وما بعدها، أي: فاشكروا الله بالدوام على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله"^(٣)، وهنا يتبيّن من هذا التفسير أنّ أوامر الله تعالى: (إيتاء الزكاة والصلاة والاعتصام) قد جاءت في ختام الآية، وهي نتيجة (اجتباكم)، أي: إنّ الله تعالى شرفكم واختاركم لحمل رسالة الإسلام، والدين الحنيف، فكان مكان الذي يقابله هذا (الاختيار) هو الشكر بالأعمال الصالحة الواجبة عليهم، وليس باللسان فقط، والتوكّل الخالص والالتجاء الكامل إليه، وتوحيده بإقامة الصلاة التي تكمل الاتّصال الروحي مع العبد وربّه، والرسوخ على دينه، وذكّر في تفسيرها أيضاً أنّ صلاة الفرد الضعيف الفاني ليست مصدر القوّة والزداد، وأنّ الزكاة تمثّل صلة الجماعة بعضها ببعض والتأمين من الحاجة والفساد^(٤). ويتّضح لنا ممّا تقدم من التفسير لمعنى الآية أنّ من أجلّ صور الشكر لله تعالى على نعمائه التي لا تعدّ ولا تحصى هو أنّ الالتزام بأوامره تعالى من إقامة الصلاة، التي تقوي صلة العبد برّبّه وتزكّي قلبه، وإيتاء فريضة الزكاة التي تنمي الأموال وتزكّيها، وتطهّر النفس من البخل،

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) ينظر: كنز العرفان في فقه القرآن، مقداد السيوري الحلي (ت ٨٢٦هـ)، د.ت، دار الأضواء في النجف الأشرف، (د. ط)، (د. ت ١): ١ / ١٨٠.

(٣) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، (د.ت)، دار أبّن حزم، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م: ١ / ٤٥٤.

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (ت ١٣٨٦هـ)، (د.ت)، دار الشروق، القاهرة - مصر، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م: ٤ / ٢٤٤٦.

فيزرع في المؤمن سمة العطاء والتعاقد والتعاون، بين أبناء الأمة، فالزكاة لا تنتهي عند إخراج جزء من المال، وإنما تعمل على تربية النفس الإنسانية وتهذيب سلوك الفرد نحو الرحمة والرفق بالآخرين، وقد ورد في رواية عن رجلٍ من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) قال: "كُنَّا عند أبي عبد الله (عليه السلام) ومعنا بعض أصحاب الأموال، فذكروا الزكاة؛ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): (إِنَّ الزكاة ليس يُحَمَّدَ بها صاحبها؛ وإنما هو شيء ظاهر، إنما حقن بها دمه يسمَّى بها مسلماً، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة)"^(١). وفي واقعنا المعاصر؛ إذ تكبر الفجوة بين الفقراء والأغنياء، تظهر الزكاة كحلٍّ لهذه المشكلة، فالزكاة من الفرائض الإيمانية والأخلاقية الداعمة للفقراء والمحتاجين، وهي تساعد في تقوية الروابط بين الناس، وتثبيت الاستقرار في المجتمع، فهي ليست مجرد واجب شرعي؛ بل تمثل الوعي والشعور بالمسؤولية، فهي عملية إصلاحية منقذة للمجتمع من الفروقات المعيشية والطبقية، وتستطيع أن تعيد توازن المجتمع وتقاربه، فإنّ المال وظيفته الأساسية تتمثل بمدّ احتياج المحتاجين والفقراء من أموال الأغنياء، وبذلك تعمل الزكاة على تربية النفس الإنسانية على حبّ الخير والعطاء والتخلّي عن الحرص الماديّ الأدنى المؤقت مقابل عرض الأعلى، وهو رضا الله تعالى والفوز بجنته في الآخرة، والحياة السعيدة الهانئة في الدنيا.

المطلب الرابع: الحجّ

إنّ الحجّ من أعظم المفاهيم العبادية وأهمّهما، وهو من أركان الإسلام التي شرعها الله تعالى لعباده، وله أثر أخلاقي وإيماني وتربويّ كبير في تهذيب نفوس المسلمين، وله

(١) دليل الطالب لنيل المطالب، (باب الزكاة)، مراعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ)، تحقيق سلطان بن عبدالرحمن العبد، مؤسسة الرسالة، (د . ط)، (د.ت): ١٧٠. الكافي، الكليني: كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق: ٧/ ١٣، حديث رقم (٩/٥٧٢٨).

معانٍ سامية تترسخ في قلوبهم، وقد أكد الشيخ النراقي (رحمه الله) على هذا المفهوم لعمق ما يقدمه للفرد والمجتمع من مضامين تربوية وأخلاقية وإنسانية جلية. **والحج في اللغة:** "هو القصد، وكلّ قصد حج" (١). **والحج في الاصطلاح:** "القصد إلى الشيء المعظم، وفي الشرع: قصد لبیت الله تعالى بصفة مخصوصة في وقت مخصوص بشرائط مخصوصة" (٢). **والمعنى القرآني للحج:** "خُصّ في تعارف الشرع بقصد بيت الله تعالى إقامة للنسك" (٣). والحج أحد العبادات المهمة التي تتجلى فيها سمات العبد الموحد لله تعالى، ويمكن القول: إنّ الحج تأدية فريضة بأمر الله تعالى بها لمن يقدر عليها صحياً ومادياً ومعنوياً، فيقصد البيت الحرام في مكة المكرمة في وقت محدّد، ويقوم بأعمال معينة يبدأ فيها بالإحرام ثمّ ينتهي بالطواف وسائر الأعمال المخصوصة في المناسك، ويكون القصد من الحج هو التقرب إلى الله تعالى، والامتثال لطاعته، ليحقّق الغاية العظمى من الحج وهي توحيد الله تعالى والإخلاص في عبادته وحده وطاعته، روى الإمام الباقر (عليه السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حديث طويل: "إنّ الحاج إذا أخذ جهازه لم يخط خطوة إلّا كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، حتّى يفرغ من جهازه متى فرغ، فإذا استقلّت به راحلته لم ترفع خفّاً ولم تضعه إلّا كتب الله له به مثل ذلك حتّى يقضى نسكه، فإذا قضى نسكه غفر الله له بقيّة ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأوّل، فإذا مضت أربعة أشهر خلط بالناس" (٤).

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس : ٢ / ٢٩ (حج) .

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني : ٨٧ .

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني : ١٤١ .

(٤) تهذيب الأحكام، أبي محمد بن الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د . ط)، ١٣٨٦ : ٢٣/٥، حديث رقم (٥٦)، كتاب الحج، باب ثواب الحج.

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن الحجّ: "اعلم أنّ الحجّ أعظم أركان الدين، وعمدة ما يقرب العبد إلى ربّ العالمين، وهو أهمّ التكاليف الإلهيّة وأثقلها، وأصعب العبادات البدنيّة وأفضلها، وأعظم بعبادة ينعدم بفقدائها الدين، ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الخسران المبين"^(١)، ويظهر هنا النراقي (رحمه الله) بهذه الإشارات من كلامه أنّ الحجّ لا يكون فقط بمجرد لبس الإحرام والقيام بالأفعال المعيّنة الظاهريّة، بل هو رحيل القلب والروح قبل الجسد، ونزع العادات، والشهوات الماديّة والمعنويّة، قبل نزع الملابس المعتادة، فالإحرام وحده يمثّل التجردّ من الدنيا وملذّاتها، والذهاب إلى خالقها بالتجرّد من كلّ العوالق والملهيات، ويبيّن الشيخ أنّ الحجّ من العبادات التي يختبر فيها إخلاص الإنسان المسلم العابد وصدقه، ويقربه من الله تعالى، ومن هنا جاءت عظمته، وأهمّيّته التكليفيّة الرّبانيّة، وبكلّ ما يتحمّل من صعوبات، وإثقال في أدائه سواء كانت أفعاله البدنيّة أو الماديّة، ولما له من آثار جليّة في تطهير النفس وتهذيبها، فهذه العبادة لا يقوم بها الجسد وجوارحه فقط، بل يجب فيها حضور القلب وانشغال الروح والفكر معاً، وأنّ ترك هذه العبادة مع وجود الاستطاعة الماديّة والمعنويّة يمثّل خسارة كبرى، وشبهه من يتركها وكأنّته خرجت منه روح العبادة والدين، وهذا ما يبيّن مدى خطورة التفريط في هذا الركن العظيم، وأشار النراقي (رحمه الله) إلى أنّ كتب الحجّ لا يقتصر على الأمور الظاهريّة بأحكامها الفقهيّة، وإنّما فيه أسرار خفيّة باطنيّة، وهي ليست أعمالاً حركيّة شكلية ظاهريّة، بل هي أحد الرموز التربويّة التي تسعى إلى أن تنبّه القلب من الغفلة، وتفتح عقل الإنسان وتنوّر بصيرته، فتهدّب سلوكه، وتقويّ تعلّقه بالله تعالى^(٢).

(١) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٣ / ٦٩٣ .

(٢) ينظر جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٣ / ٦٩٣ .

وقد ذكر النراقي (رحمه الله) في كلامه عن الحجّ قوله تعالى: **أَجْزِبْ بِهَا تَحْتَحْتَمِتْ** ^(١)، وورد في تفسير الآية رواية عن رجل سأل الإمام الباقر (عليه السلام) عن الحجّ فقال: **بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ والولاية**، قال: قلت: فأيّ ذلك أفضل؟ قال: **الولاية أفضلهنّ؛ لأنها مفتاحهنّ والوالي هو الدليل عليهنّ**، قال: قلت: ثمّ الذي يلي من الفضل؟ قال: **الصلاة**، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: **الصلاة عمود دينكم**، قال: قلت: الذي يليها في الفضل؟ قال: **الزكاة**؛ لأنّه قرنهما بها وبدأ بالصلاة قبلها، وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): **الزكاة تُذهب الذنوب**، قال: قلت: فالذي يليها في الفضل؟ قال **الحجّ**؛ لأنّ الله يقول: **أَجْزِبْ بِهَا تَحْتَحْتَمِتْ** ^(٢)، وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): **(لَحَجَّةٌ مُتَقَبَّلَةٌ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِينَ صَلَاةً نَافِلَةً، وَمَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ طَوَافًا أَحْصَى فِيهِ أَسْبُوعَهُ وَأَحْسَنَ رَكْعَتَيْهِ غُفِرَ لَهُ)**، وقال: **يوم عرفة ويوم المزدلفة ما قال، قال: قلت: ثمّ ماذا يتبعه؟ قال: ثمّ الصوم**، قال: قلت: ما بال الصوم آخر ذلك أجمع؟ فقال: **قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (الصوم جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ)**، قال: ثمّ قال: **إنّ أفضل الأشياء ما إذا كان فاتك لم يكن لك منه التوبة دون أن ترجع إليه فتؤدّيه بعينه**، إنّ الصلاة والزكاة والحجّ والولاية ليس ينفع شيء مكانها دون أدائها، وإنّ الصوم إذا فاتك أو أفطرت أو سافرت فيه أدّيت مكانه أياماً غيرها، وفديت ذلك الذنب بغدية ولا قضاء عليك، وليس مثل تلك الأربع شيء يجزيك مكانها غيره) ^(٣)، وذكر تفسير هذه الآية القمي فروى عن الإمام الصادق (عليه السلام) تفسير الآية قال: **"أي من ترك الحجّ وهو مستطيع فقد كفر، والاستطاعة هي القوّة والزداد والراحلة"** ^(٣)، كذلك ورد في تفسير الآية: **"أنّه تعالى بعد بيان فضائل البيت، أمر الناس بحجّه، بقوله: (حج) ثابت (حج) عهده كافّة المكلفين من (بم) رجالهم**

(١) سورة آل عمران: ٩٧.

(٢) تفسير العياشي: ١ / ٢١٤ . البرهان في تفسير القرآن: ١ / ٦٦٤، حديث رقم (١١/١٨٤٥)،

(٣) تفسير القمي، علي بن إبراهيم: ١ / ١٠٨ .

ونسائهم ومؤمنهم وكفارهم (به) ذلك (تج) وقصد زيارته، للنُّسك المخصوصة، روي عن الصادق (عليه السلام) قال: (يعني به الحج والعمرة؛ لأنَّهما المفروضان)، ثمَّ خصَّ سبحانه تكليف عموم العباد بالحجِّ بخصوص (تختج) منهم استطاعة عرفية (تمت) وأطاق إلى البيت ذهاباً، ولا شبهة أنَّها بوجودان الزاد والراحلة، وصحة البدن، وتخلية السرب^(١). ويتَّضح ممَّا تقدم من التفسير أنَّ الآية تدلُّ على الحقِّ الذي جعله الله واجباً على عباده، وهو الحجِّ، وليس جبراً، أو إكراهاً في تأديته، بل عند استطاعة المسلم العاقل البالغ، وهذه الاستطاعة تشمل الصحة الجسدية، والقدرة المالية، وأن يكون المستطيع في مأمن على عياله وفي طريقه، وكذلك أكَّد المفسِّرون أنَّ الحجَّ يجب أن لا يقصد به الحاجُّ مجرد رياء أو سمعة، أو مظهر خارجيٍّ أمام الناس، لطلب الجاه والمدح، إنَّما يقصد به العبادة والإخلاص لله تعالى، وطلب مغفرته ورحمته، وإنَّ تعلُّق هذه الاستطاعة بالواجب يبيِّن التسهيل والتيسير في شريعة الله تعالى، وهو رفع الحرج عن الناس والرأفة بهم. وقد "سُئِلَ الإمام الباقر (عليه السلام) عن وجوب الحجِّ فقال: "هلك الناس إذاً، لئن كان كلُّ من كان له زاد وراحلة قدر ما يقوت به عياله ويستغنى به عن الناس ينطلق إليهم فيسلبهم إياه لقد هلكوا إذاً، فقليل له: فما السبيل؟ قال: فقال: السعة في المال إذا كان يحجُّ ببعض ويبقي بعضاً يقوت به عياله، أليس قد فرض الله الزكاة فلم يجعلها إلَّا على من ملك منِّي درهم"^(٢)، وهنا تظهر العدالة الإلهية والرحمة الربَّانية عندما يراعي الباري جلَّ وعلا الناس وظروفهم وأحوالهم المختلفة من دون أن تخلَّ بالتكليف الشرعيِّ، فعندما يُلبِّي الحجاج تلبية الإحرام يتبيَّن أنَّ الله يوحد كلَّ المسلمين بنداء واحد يصدقون به فيقولون:

(١) نفحات الرحمن في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحيم النهاوندي (١٣٧١هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، إيران، ط ١، ١٤٢٨هـ : ٢ / ٣٨. وفي الكافي، الكليني: كتاب الحج، باب فرض الحج والعمرة : حديث رقم (١/٦٩١١).

(٢) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي: كتاب الحج، باب وجوب الحج، ٤/٥ ، حديث رقم (١).

(لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمَلِكُ) (١). وفي هذا العالم الذي تتسع فيه المشاحنات، والتباغض، والخصومات، بين الأفراد، فيكون أثر الحجّ عندما يذكّر المسلمين بهذا المفهوم، ومقاصده، ومنها جمع المسلمين وانضباطهم، فمهما اختلفوا فلا تمتنع الوحدة بين صفوفهم في الحجّ وهم من كلّ بقاع الأرض، فيتعارفون ويتقاربون إلى جنب الله تعالى في فريضة واحدة وتلبية واحدة، وفي وقت واحد جامع كلّ الطوائف والمذاهب الإسلاميّة باختلافاتهم المتنوعة؛ فيشعر الإنسان أنّ الخالق واحد والملك واحد، إليه يرجع كلّ البشر، وهذا القرب يصلح العلاقات ويهذب السلوك، فالإنسان في هذا العصر بالذات أحوج إلى أن يرجع من حجّه، وقد نقّى قلبه، وهذب خلقه، نحو الرقيّ والإحساس بالمسؤوليّة تجاه أمته الإسلاميّة، فهذا الحجّ تحوّل إلى مناسك موسميّة، وإلى انطباع وأثر يتركه في نفسه، وضميره، باقياً معه دائماً، وأصبحت عبادة الحجّ فعّالة تساهم في صفاء النفوس وحلول السكينة والطمأنينة محلّ البغض والأحقاد، كما أنّها تساعد على بناء الإنسان تربوياً وروحياً، كذلك تزرع في هذا الواقع المعاصر قيم التواضع، والتسامح، والصبر، واحترام الآخرين، واحترام النظام، وهذه القيم أحوج ما يكون إليها المجتمع العصريّ الذي يعيش في أغلب الأحيان فاقداً لتلك القيم الإنسانيّة الحيّة.

المطلب الخامس: التوبة

إن مفهوم التوبة من أعظم المفاهيم العباديّة والتربويّة التي تُطهّر القلب وتُهدّب النفس وتُصلح السلوك الإنسانيّ، وقد جعل الله تعالى التوبة من أوسع أبواب مغفرته ورحمته لعباده المذنبين بعد ندمهم وعزمهم على ترك الآثام، وقد أولى القرآن الكريم العناية بهذا المفهوم؛ لأثره في بناء الشخصية المسلم، وعدم تركه غارقاً في المعاصي المهلكة

(١) ينظر: كتاب المقنع، مؤسسة الصدوق، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي الحسين بن بابويه قمّي (ت ٣٨١هـ)، تحقيق مؤسسة شمس الضحى الثقافي، قم، إيران، ط ١، ١٤٤٤هـ : ٢١٢.

والياس من عدم المغفرة والرجوع إلى الطريق الهداية والصلاح^(١)، وقد أظهر الشيخ النراقي (رحمه الله) أهميّة هذا المفهوم في تحقيق السعادة الأبدية.

التوبة في اللغة: قال ابن فارس: "النَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْبَاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تَدُلُّ عَلَى الرَّجُوعِ. يُقَالُ تَابَ مِنْ ذَنْبِهِ، أَيْ رَجَعَ عَنْهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً وَمَتَابًا، فَهُوَ تَائِبٌ. وَالتَّوْبُ التَّوْبَةُ"^(٢).

التوبة في الاصطلاح: قال الشريف الجرجاني: "التوبة: الرجوع إلى الله بحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثم القيام بكلّ حقوق الرب"^(٣). والمعنى القرآني للتوبة: ترك الذنب على أجمل الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فيقول المعتذر في التوبة: فعلت وأسأت؛ وقد أقلت، والتوبة تقتضي الإنابة^(٤). والتوبة هي الباب الذي فتحه الله تعالى لعباده المذنبين ليعودوا منه إلى ربّهم بعد أن يستغفروا عمّا فعلوه من الذنوب، وهي "الرجوع عن مخالفة حكم الحقّ إلى موافقته، فما لم يعرف المكلف حقيقة الدين وكون الفعل الصادر عنه مخالفاً لحكم الحقّ لم يصحّ له الرجوع عنه ... وهي أن تنتظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: انخلاعك من المعصية حين إتيانه، وفرحك عند الظفر به، وقعودك عن الإصرار عن تداركه"^(٥)، ومن يتوب يكون مقبولاً عند الله على الرغم من إساءته باقتراف الذنب، بل يكون محبوباً عند الله إذا تاب توبة نصوحة بعد أن علم بذنبه وأقرّ به وندم على فعله، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أحد أصحابه، قال: "سمعتُ أبا عبد الله يقول: إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه؛ الله فستر عليه، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي مَلَكِيَه ما كانا يكتبان عليه، ويوحى الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي

(١) ينظر: جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ٥٠١ / ٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ١ / ٣٥٧ (توب).

(٣) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٧٤ / ١.

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٩٨ - ٩٩.

(٥) معجم المصطلحات الأخلاقية، إشراف عباس نور الدين وآخرون، مركز باء للدراسات، ط ١، بيروت، ٢٠٠٦.

عليه ذنوبه، فيلقى الله عزّ وجلّ حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب"^(١).

إذن، فالتوبة من أجلّ المفاهيم القرآنيّة في التربية النفسيّة، وهي عمليّة التحوّل بالإدراك من طريق الغفلة والخطايا إلى طريق الصلاح والطاعة، وتقوم على الاعتراف بالذنب، ثمّ الرجوع إلى الله تعالى، وهي ترجع الفرد إلى التوازن النفسي والروحي، وينشأ في داخله التفاؤل والقوّة، "فالتوبة واجبة، إذ معناها العلم بأنّ الذنوب والمعاصي مهلكات، ومبعدات من الله، وهذا داخل في وجوب الإيمان، ولكن قد يغفل الإنسان عنها، ومعنى العلم هنا هو إزالة هذه الغفلة، ومن معناها أيضاً ترك المعاصي في الحال، والعزم على تركها في المستقبل، و تدارك ما سبق من التقصير، وذلك كلّه لاشكّ في وجوبه أيضاً"^(٢). وذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) أنّ التوبة عن الذنوب بأسرها واجبة بالإجماع، وبالنقل، وبالعقل، فأما الإجماع؛ فلا ريب في انعقاده، وأما النقل فإنّ التوبة واجبة بمقتضى ما ورد من الآيات الصريحة بذلك، وأما العقل: فهو أنّ من علم معنى الوجوب ومعنى التوبة فلا يشكّ في ثبوته لها^(٣)، وأكد النراقي (رحمه الله) أنّ التوبة ليست لا تقتصر على ترك الذنوب ظاهريّاً، وإنّما هي أعمال القلوب، والسلوك معاً، وهي واجبة على كلّ إنسان بدليل الإجماع عليه، وبدليل النقل من الآيات القرآنيّة الصريحة، وكذلك دليل العقل الذي يوجب العودة عن الخطأ، فإنّ التوبة من الضروريّات العقليّة؛ لأنّها تنجي من الشقاء، وتحقّق السعادة الدائمة، وتقرب الإنسان من خالقة العظيم، ولا يتحقّق هذا القرب إلّا بالعزيمة والإصرار على ترك الذنوب، فإنّ الذنوب تجعل حاجزاً بين العبد وربّه، ورفع هذا الحاجز لا يتمّ إلّا بالتوبة الخالصة.

(١) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة، ٢٢٦/٤، حديث رقم (١/٢٩٦١)،.

(٢) الرجوع إلى الله، العلامة الفيض الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، منشورات ذوي القربى، قم - إيران، (د. ط.). (د. ت.)، ١١٤.

(٣) ينظر: جامع السعادات: ٣ / ٥٠١.

وقد ذكر النراقي (رحمه الله) من الآيات التي تدلّ على وجوب التوبة قوله تعالى: **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (١)، وفسّرها القمي بما ورد فيها عن أهل البيت (عليهم السلام) فذكر: "عن أبي الحسن (عليه السلام) في قوله: **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** قال (عليه السلام): يتوب العبد ثم لا يرجع فيه، وإن أحبّ عباد الله إلى الله المتّقي التائب" (٢)، وقد ذكر الكاشاني تفسير الآية فقال: إنّ معنى (نُصُوحاً): بالغة بالنصح، والنصح هو الخلوص لوجه الله، وقد وُصِفَتْ به التوبة على الإسناد المجازيِّ مبالغة، وهو أن ينصحو بالتوبة أنفسهم، فيأتوا على طريقها متداركة للمفرطات، ماحية للسيئات، وذلك أن يتوبوا على القبائح لقبحها، نادمين عليها، مغتمّين أشدّ الاغتمام على ارتكابها، عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح (٣).

ويظهر من هذه التفاسير أنّ التوبة يجب أن تكون خالصة، وصادقة؛ تجمع بين ترك الذنوب بصدق ونية التقرب إلى الله تعالى، مع العزم على عدم العودة إليها، ويكون ذلك بالاستغفار وعمل الأعمال الصالحة التي توصل إلى قبول التوبة، كما قال تعالى: **وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ تَبَتَّ** (٤)، وقد وعد الله تعالى بمحو السيئات وتكفيرها مقترناً هذا الوعد بالتوبة الصادقة عملاً واقعاً لا بلفظ كلمة التوبة لساناً فقط، مع عمل الصالحات التي تزيد من الحسنات وتقلّل من السيئات في ميزان العدالة الإلهية، وهذا يدلّ على لطف الله تعالى ورحمته، بأن يفتح باب الأمل بمغفرته إلى كلّ من رجع إلى الله بصدق، فالتوبة تطهّر القلب والنفس وتدعو إلى الطمأنينة والسكينة. ويجسّد مفهوم التوبة في واقعنا المعاصر، قوّة تربويّة ونفسيّة تعضّد الإنسان وتحرّره من التسليم لليأس والشعور بالندم، فإنّ التوبة تمنحه الطاقة والقوّة على البدء ببناء نفسه من جديد، والتوبة اليوم نحتاجها بشدّة؛ لأننا في

(١) سورة التحريم: ٨.

(٢) تفسير القمي: ٣٧٧/٢. وفي الكافي: حديث رقم (٣/٢٩٦٣)، كتاب الإيمان والكفر، باب التوبة.

(٣) ينظر: زبدة التفاسير: ٣٧٧/٧.

(٤) سورة طه: ٨٢.

زمن تكثر فيه الانحرافات والمغريات التي تدفع الفرد إلى الاستمرار في الضلالة واقتراف الذنوب والمعاصي باتباع خطوات الشيطان، و"إذ أدركنا الأثر الكبير والخطير للمعاصي والذنوب في حياتنا في الدنيا والآخرة، كالتى تنزل النقم، وتمنع النعم، وتحبس استجابة الدعاء وتقطع الرزق، وتقودنا إلى العذاب الأليم، فلا بدّ للعاقل المؤمن بالله خالق العباد والمعاد أن يُسارع في المبادرة في إعلان توبته وتهذيب وتطوير نفسه لكي لا يكون قد عاش محروماً في دنياه وشقيّاً في آخرته"^(١)، فتقوم التوبة بإعادة تصفية النفس الإنسانية وشحنها لإعادة تعزيز الثقة وبناء الشخصية الإيمانية القويّة، فإنّ القلق إذا كان ناشئاً عن معصية وذنوب أرتكّب؛ فترك الروح الإنسانية والفكر معذبين بسيّاط الوجدان؛ فإنّ من الطبيعي أن يلجأ الشخص إلى التوبة ويطلب من الله العفو والغفران، وأن لا يدعه يعود إلى تكرار ذلك العمل، وكل ذلك لكي يعود للروح اطمئنائها، وقد اقترح الإسلام في هذا المجال أروع سبيل وهو التوبة التي بها يصحّ لنفسه الطريق الأخلاقي والسلوكي، وهذا ما يؤثّر في حياة الفرد تأثيراً إيجابياً، فيتحرّز الفرد المسلم للعمل على تغيير وتطوير ذاته، وينقذ نفسه من التشنّج والضياع في الخطايا والضلال.

المطلب السادس: النية

تُمثّل النية المحور الباطنيّ الأساسي الذي تدور حوله كلّ دوافع الإنسان إلى الأعمال، وهي التي تجعل قيمة لكلّ فعل وتعطيه قدره عند الله تعالى، فبعض الأعمال قد تتشابه في ظواهرها؛ لكن النية تجعل منها مجرد عمل عاديّ أو غاية أو مصلحة، وبعضها قربة لله (عزّ وجلّ) خالصة لوجهه الكريم، لذلك تناولها الشيخ النراقي (رحمه الله) لما تقدمه من تصحيح لأعمال المسلم وتنقية لنفسه، وتوصله للصالح والفلاح في الدنيا

(١) كمال الروح سلسلة من حلقات برامج إذاعة الكفيل صوت المرأة المسلمة، إعداد نور عبد الرضا، التدقيق اللغوي موفق هاشم الرجال، مطبعة دار الكفيل، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ العراق، ط١، ١٤٣٥ هـ. ٢٠١٤ م: ١٧٠١٦.

والآخرة. والنية في اللغة: "ما ينوي الإنسان بقلبه من خيرٍ أو شرٍ... ومعناها: القصد"^(١). والنية في الاصطلاح: "الإرادة المتوجهة نحو الفعل ابتغاء لوجه الله أو امتثالاً لحكمه"^(٢). والنية في القرآن الكريم غير موجودة بلفظها؛ لكن عبر عنها في مضمون الآيات، فتكون النية مقدمة على العمل كما قال النبي (صلى الله عليه وآله) المروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): "نية المؤمن خير من عمله، ونية الكافر شر من عمله، وكلّ عاملٍ يعمل على نيته"^(٣)، وقد ذكر الشيخ النراقي (رحمه الله) كلاماً طويلاً في النية، قال فيه: "قد عرفت أنّ ضدّ الغفلة النية، وهي انبعاث النفس وتوجّهاها إلى ما يراه موافقاً لغرضها، وقد عرفت أيضاً أنّ النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد، وهي واسعة بين العلم والعمل، إذ ما لم يعلم أمر لم يُقصد وما لم يُقصد لم يفعل، فالعلم مقدّم على النية وشرطها، والعمل ثمرتها وفرعها؛ إذ كلّ فعل وعمل يصدر عن فاعل مختار فإنّه لا يتمّ إلّا بعلم وشوق وإرادة وقدرة"^(٤)، وقال أيضاً: "لا ريب في تصحيح النية في كلّ مباح يترتب عليه الثواب، بل يمكن تصحيح النية في كلّ نقصان ماليّ وعرضيّ، فإنّ من تلف له مال، فإن قال: هو في سبيل الله، كان له أجر، وإن سرقه أحد أو غصبه يمكن أن ينوي كونه من ذخائر الآخرة، وإذا بلغه اغتيال غيره له فيمكن أن يطيب خاطره بأنّه سيحمل عليه سيئاته وينقل إلى ديوان حسناته، فإنّك أن تستحقّر شيئاً من نيّاتك وخطرات قلبك، ولا تقدم على عمل إلّا بنية صحيحة"^(٥)، وهنا يبيّن الشيخ أنّ لكلّ عمل باعاً ومنه إذا كان الدافع للعمل مختلف، فإنّه يختلف بالمقابل ثوابه وفي ما يترك من أثر، فقد يعمل شخص بأحد الأعمال من إحسان للناس أو معاونه فقير؛ لكن الغاية

(١) كتاب العين، الخليل أبْن أحمد الفراهيدي: ٢٨١/٤ (نوى).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي: ١٧٣٥/١.

(٣) الكافي، الكليني: كتاب الإيمان والكفر، باب النية، ٣/ ٢١٨ - ٢١٩، حديث رقم (٢/١٦٧٦).

(٤) جامع السعادات: الشيخ محمد مهدي النراقي: ٥٢٩/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٥٣٢/٣.

والقصد يختلفان؛ فتتغير قيمة هذا العمل، فمن أكرم محتاجاً أو فقيراً لِيُمدَح أمام الناس أو خشية أن يُلام على عدم الإعطاء؛ فإنّ هذا لا يتساوى في القيمة المعنويّة ولا في الثواب والأجر مع الذي يساعد ويعطي يريد وجه الله عزّ وجلّ، بل قد يكون الأوّل مأثوماً بسبب نيّته غير الصالحة.

كذلك ضرب النراقي (رحمه الله) مثلاً عن الناس بأنهم قد يتساوون في ظاهر العمل وصورته، مثل المصلّين في المسجد أو في الاعتكاف، لكن في دواخلهم وقلوبهم اختلفوا اختلافاً قد يكون جذرياً، فمن قصد التقرب إلى الله تعالى وابتغاء وجهه، سينال الأجر الوافي والتام، ومن كان قصده الرياء وخداع الناس لتحسين مظهره الاجتماعي، لم ينل الجزاء والثواب الحقيقي. وقد أكّد الشيخ أنّ النية هي أساس المقياس والتفاضل بين الناس بأعمالهم، وأنّ المنزلة والثواب لا يحصل عليه الشخص بمجرد الأعمال الظاهرة، إنّما بالإخلاص القلبيّ قبل كلّ عمل وهذا الإخلاص هو النية الصالحة التي يبتغي بها القربة إلى الله تعالى، فالقلب النظيف والسالم من الشوائب والمفسدات هو الذي يرقّي الأعمال.

وقد ذكر النراقي (رحمه الله) من الآيات التي تتضمن معنى النية قوله تعالى: **أَوْ ذُرِّيٍّ** ^(١)، وقيل في تفسير هذه الآية: "القلب السليم الذي يلقي الله وليس فيه أحد سواه" ^(٢)، وذكر السيّد نعمة الله الجزائري في تفسيرها أنّ قوله تعالى: **أَوْ ذُرِّيٍّ** أي: إلّا حال من أتى الله بقلب سليم، أي: أن يكون القلب السليم بدلاً عن المال والبنين، أو أن يحمل الكلام على معنى أنّ المال والبنين في معنى الغنى؛ كأنّه قال: لا ينفع غنى إلّا غنى من أتى الله بقلب سليم، لأنّ غنى الرجل في دينه سلامة قلبه؛ كما أنّ غناه في دنياه بماله

(١) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٢) تفسير القمي، على بن إبراهيم القمي: ١٢٣/٢.

وبنيه^(١)، وقال السيد مير الحائري (ت ١٤٤٤ هـ) في تفسيرها: "أي: لا ينفع المال والبنون أحداً إذ يتهياً لذي مال أن يفتدي من شدائد ذلك اليوم به، ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئاً من معاصيه^٢ □ □ □ من الشرك، وقيل: من الفساد والمعاصي، وإنما خص القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد؛ من حيث أن الفساد بالجراحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد، وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (هو القلب سلم من حب الدنيا)^(٢)."

ويتبين مما ذكره المفسرون أن القلب السليم في هذه الآية هو الذي يمثل النية الصادقة، فإن الذي يكون سلم قلبه من الشرك بالله تعالى وظهر وسلم من أمراض الكبر والبغضاء والأحقاد، وكان ممتلئاً بالإيمان والصدق، والإخلاص، تكون نيته وقصده هو التقرب بأعماله إلى الله تعالى، إذ إن الآية الكريمة تدلّ على أنه في يوم القيامة لا ينفع الإنسان ما يملك من مال وثروة، ولا أولاد، ولا جاه، لأن كل هذه الأمور هي قيم مادية دنيوية زائلة، والذي ينفعه عندما يلاقي الله يوم الحساب هو قلبه الصافي ونيته الخالصة، فالطريق إلى النجاة من المهالك يكون مقترناً بسلامة باطن الإنسان، وهذا المعنى الذي بينه المفسرين يتوافق مع ما طرحه الشيخ النراقي (رحمه الله)، إلا أنه عبر عنها بأنها هي الميزان الحق في العمل عند الله تعالى، وبهذا يتضح أن النية هي التي تجعل للعمل قيمة، وأن قلب المؤمن السليم هو منبع النية الخالصة.

(١) ينظر: عقود المرجان في تفسير القرآن، نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ)، تحقيق مؤسسة شمس الضحى الثقافي، أحياء الكتب الإسلامية، قم - إيران، ١٤٨٨ هـ: ٥١٠/٣.

(٢) تفسير مقتنيات الدرر، السيد مير علي الحائري الطهراني، تحقيق السيد محمد وحيد الطبرسي الحائري، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، قم - إيران، ط ١، ٢٠١٢ م. ١٤٩١ هـ: ٨/٧.

وفي هذا الزمن الذي تختلط فيه الدوافع والنزعات الشخصية، وتكثر المقاصد، وتتنوع الغايات؛ فهنا يصبح الطريق لترقي النفس، هو تصحيح النيات، لتثبيت الآثار الإيجابية، وخلق نفوس إنسانية تسعى للعمل بإدراك ووعي وتسعى لهدف سام.

المطلب السابع: الربا

يُمثِّل الربا نوعاً من الانحرافات الخطيرة التي تمس الاقتصاد والأخلاق معاً، وقد حذر الإسلام منها؛ لأنه يجعل المال أداة استغلال للناس وظلمهم، بدلاً من جعله طريقاً للتكافل والتعاون مع المحتاجين من الفقراء، فتطرق الشيخ النراقي (رحمه الله)، لمفهوم الربا للأثر الكبير الذي يقوم به في التأثير المباشر في توازن المجتمع، وظهور طبقة الفقراء المعدمين وطبقة الأغنياء المتخمين، من جراء الانشغال بهذه العمل المحرم، واستغلال المحتاجين الضعفاء.

الربا في اللغة: الزيادة^(١).

الربا في الاصطلاح: "هو فضل خالٍ عن عوضٍ شرط لأحد العاقلين"^(٢).

والربا في المعنى القرآني: "الزيادة على رأس المال لكن خُصَّ في الشرع بالزيادة على وجه دون وجه ... إنَّ الزيادة المعقولة المعبر عنها بالبركة مرتفعة عن الربا"^(٣).

وبالربا ينغرس الفساد في التعاملات المالية، وهو يبعث على الأنانية، والطمع، فيؤدِّي إلى خلل في نظام المجتمع وتوازنه الاقتصادي، ويجعل الفوارق الطبقيّة سائدة بين أفراد المجتمع، "وقد حرّمه الله تعالى وشدّد الأمر فيه، ويجب الاحتراز منه على الصيرافة

(١) ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهرى: ٢٧٢/١٥ (ربا).

(٢) التعريفات، الشريف الجرجاني: ١١٢.

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٢٤٨.

المتعاملين على النقيدين، وعلى المتعاملين على الأطمعة؛ إذ لا ربا إلا في نقد أو في طعام^(١). ويكون الربا عن طريق "معاوضة متجانسة مكيالين أو موزونين بزيادة في أحدهما وإن كانت حكمية كحال بمؤجل، أو مع إبهام قدره وإن كان باختلافهما رطباً ويابساً، وأكثر إطلاقه على تلك الزيادة وقد مضى أنه من السحت"^(٢). ويمكن القول: إنَّ الربا هو كلَّ زيادة في المال المشروطة عند التعامل به، بدون مقابل حقيقي مشروع، ويكون بفرض المال أو البيع، ونتيجته أكل المال بالباطل، وقد ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: "قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (أكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده فيه سواء)"^(٣)، أي إنَّ الحرمة تقع على كلِّ من اشترك في عملية الربا، سواء الآخذ له والمأخوذ منه، وكذلك من كتب عقد المرباة وشهد عليه.

وقال الشيخ النراقي (رحمه الله) عن الربا: "جعل أكل الربا في أول الأمر مؤدياً إلى محاربة الله، وفي آخره متعرّضاً للنار، وقد ورد الذمّ الشديد على كلِّ واحد منها بخصوصه في أخبار كثيرة، وهي في كتب الأخبار والفقه مذكورة"^(٤)، فيرى النراقي (رحمه الله) أنَّ الربا من الذنوب التي جعلت من الأمور التي تستوجب الحرب من الله تعالى، لمن يؤدّيها، وفي الآخرة يتوعّد به فاعله، وهي غاية ما يكون من الوعيد، إذ يمثّل مرتكب هذا الذنب ويصوّره في موقف المحاربة من الله تعالى بعد الشرك به تعالى، كما أشار الشيخ إلى الذمّ الشديد والكثير للربا؛ الوارد في النصوص والأخبار، في كتب الفقه وتفاصيلها، وقد وصل به أن يعدّ من الكبائر التي حذّرت الشريعة منها، وذلك للظلم والفساد الواقع فيه في

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي: ٥١١ .

(٢) الوافي ، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق مكتبة الأمام أمير المؤمنين علي

(ع)، أصفهان، مؤسسة مكتبة العلم، كمال الدين فقيه ايماني -عصر عترة عليهم السلام، ط ١

، ١٤٣٠هـ : ١٠ / ٣٧٥ .

(٣) الكافي، الكليني: كتاب المعيشة، باب الربا، ٩ / ٧٤٨ ، حديث رقم (٢/٨٦٦٣).

(٤) جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي: ٢ / ٣٣٣ .

21.

فإنّه قد نما وزادت قيمته في الظاهر في الدنيا، وعند الله أسقطت البركة عنه، فإنّ الربا يحقّق الزيادة بالمال لصاحبه مؤقتاً، ولكنّه في مقابل ذلك في الحقيقة قد فقد في ميزان الحساب الآخريّ، فقد قيمته الحقيقيّة، المعنوية، وبخس ميزان العدالة والاستقرار الاجتماعيّ^(١)، فتقرّر الآية أنّ للبشر منطقاً في المال قائماً على الزيادة المادّية في المال، أمّا منطق الوحي فإنّه يقوم على الطهارة والبركة، لتكون الزيادة وتتحقّق، والنمو الحقيقي لا يكون بكثرة المال، بل بزيكاته، وبما يؤدّي أثره من رضا الله تعالى. وقد تتحوّل الهدية في بعض الحالات ربا؛ لذلك على الشخص أن يتأنّى ويتحدّر في إعطاء الهدية، فإن كان الفرد مقترضاً مالاً من أحد الأشخاص، وقد حان وقت التسديد، لكنّه لم يتمكن من تسديد الدين؛ فيلجأ إلى اتّخاذ طريق الإهداء لذلك الشخص صاحب المال، ليضمن سكوته عن مطالبته بالمال، ويصبر عليه، فهنا من الورع أن يترك الهدية بهذه الطريقة وبهذا المقصد، وإنّ صاحب المال يجوز أن يقبلها ما لم يكن هناك شرط لذلك، ولكن تركها أحوط إذا كان بهذه الغاية^(٢)، فإنّ من الهدايا ما تكون في مقام الربا بحكم القصد منها والنية. وفي واقعنا الذي نعيشه يبرز الخطر من الربا في كثير من المعاملات والأنظمة الماليّة التي تنتج فجوة كبيرة بين الغنيّ والفقير، وتجعل الشخص المحتاج المدين، مستغلاً وخاضعاً؛ بدلاً من مساعدته وإعانته على صعوبات الحياة المادّية، ومع هذا التوسّع في المعاملات الربويّة، بغطاء القرض والاستثمار، يكون الإنسان أحوج إلى إعادة وعيه الإيمانيّ ومراجعة نفسه، ومحاسبتها عند الإقدام على أيّ تصرّف في المشكلات، التي تواجهه، وحلّها من جذورها الأساسيّة، والنظر بعمق لمسبّباتها وإيجاد العلاجات المناسبة لها، ووضع البدائل الشرعيّة لها، وتحكيم العدالة، وتحمل المسؤولية، فإنّ التذكير بهذا المفهوم القرآنيّ للربا والأموال المحرّمة والمعاملات المشبوهة مع الآخرين سيعيد التفكير العقلانيّ الحكيم في

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٤٧٨١ . ٤٧٨٢.

(٢) ينظر: فقه الاخلاق والمعاملات مع المؤمنين، مصطفى العدوي، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، (د . ت)، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م : ٨١ .

سلوكياته الماليّة ويزرع في داخله اليقين والقناعة بأنّ تزكية المال وتنميته لا تتحقّق بالطرق المحتالة والملتوية، أو باستغلال حاجات الناس، بل تتحقّق بالتقوى، وبالإيمان والثقة برحمة الله تعالى وعطاياه غير المحدودة؛ ويكون ذلك عن طريق التوكّل على الله تعالى في العمل والاجتهاد فيه، مع الالتزام بالعدالة، والمحافظة على حقّ الناس بمعاملتهم برحمة وإحسان.

الخاتمة

في ختام هذا البحث، وبعد مسيرة مدّتها ليست بالقصيرة، أنعمت فيها نظري في كتاب الله العزيز، وتأمّلت في آياته وتفسيرها، ونظرت في كتب الأخلاق، والحديث، والمعجمات، وغيرها من المصادر، وبعد أن بيّنت ما قدّمه الشيخ النراقي (رحمه الله) من جهد علمي في علم الأخلاق وفنائل الأخلاق المستنبطة من المفاهيم القرآنية، وأثرها في بناء النفس الإنسانية التي لا تكون بمعزل عن الحياة الواقعية المعاصرة؛ فقد سلّطت هذه الدراسة الضوء على ما ورد من مفاهيم قرآنية للتربية الأخلاقية في كتاب

جامع السعادات، وأكدت أنّ نهج القرآن الكريم قد تميّز بكونه متكاملًا وشاملاً لكلّ ما يخصّ الإنسان من تنظيم حياته، وتهذيب نفسه بالتربية الأخلاقية، وتقويم السلوك الإنساني، ومن خلال البصائر القرآنية المتعلقة بالجوانب العقلية، والمعرفية المرتبطة بتكوينه النفسي ونزعاته النفسية التي تهدف إلى الاستقامة والصلاح، وتقوده إلى الاعتدال والتوازن، لتحقيق السعادة الحقيقية في الدارين.

ومن كلّ ما تقدّم في هذه الرسالة، توصّلت إلى نتائج في مسيرتي البحثية فيها، أبرزها:

١. اتّضح أنّ المفاهيم القرآنية التي قدّمها الشيخ النراقي (رحمه الله) في كتابه تستند إلى أسس عقلية وفكرية، وتربوية متكاملة؛ تساعد في تطوير بناء الشخصية الإنسانية المتوازنة.

٢. أظهرت الآيات القرآنية التي ذكرها النراقي (رحمه الله) أنّ التربية الأخلاقية لا تتحدّد بالجوانب النظرية فقط ؛ وإنّما تعتمد على التطبيق العملي في الحياة اليومية للفرد.

٣. كشفت الدراسة عن العمق والدقّة في المعالجات التي عرضها الشيخ في كتابه (جامع السعادات)، مع ربط المفاهيم القرآنية بالجوانب النفسية والعقلية، والنفسية، والسلوكية، ثمّ تحليلها.

٤. أظهرت الدراسة الترابط الوثيق بين موضوعات المفاهيم العقلية، وعلاقتها بالتربية الأخلاقية، وفي تشكيل البناء التربوي؛ بما ينتج شمولية منهج التربية الأخلاقية.

٥. إنّ المفاهيم القرآنية التي أوردها الشيخ النراقي (رحمه الله) تحقّق المرونة، وقد امتازت بالقدرة على تلبية متطلّبات الحياة الإنسانية المعاصرة، والمواكبة لتطورها.

٦. إنّ المحور الأساسي في تحقيق القيم الأخلاقية هو في تهذيب النفس، والعكس صحيح أيضاً، كما بيّنه الشيخ النراقي (رحمه الله) وهذا ما ورد في النصوص القرآنية التي استشهد بها.

٧. أكدت الدراسة أهميّة الدور التوعويّ والمواظ القرآنيّة في تثبيت القيم للتربية الأخلاقيّة التي ترسّخت في مشاعر الإنسان الوجدانيّة وفي سلوكياته في المجتمع، وتحويله إلى عنصر فعّال وإيجابيّ.

٨. إنّ أبرز خصائص التربية الأخلاقيّة، تكمن في التكامل بين الجوانب المعرفيّة والتطبيقيّة في المفاهيم القرآنيّة سواء أكانت عقليّة، أو نفسيّة أو تشريعيّة.

٩. إنّ ضعف الإدراك العقليّ، والنفسيّ، والتشريعيّ كان السبب المباشر في الانحراف، وعدم تركية النفس الإنسانيّة.

١٠. إنّ الشيخ النراقي (رحمه الله) اعتمد على المنهج التحليليّ، العقلي والفلسفي، وبالاستناد إلى الأدلّة الشرعيّة من القرآن الكريم والأحاديث النبويّة الشريفة، وكذلك أحاديث أهل البيت (عليهم السلام).

ويمكن تقديم مقترحات وتوصيات، في ضوء ما توصّلت إليه الدراسة، وأهمّها:

١. الاستفادة من المفاهيم القرآنيّة للتربية الأخلاقيّة في تأسيس المناهج التعليميّة والتربويّة المعاصرة.

٢. توجيه أنظار الباحثين إلى ضرورة دراسة المفاهيم القرآنيّة للتربية الأخلاقيّة من الناحية التطبيقيّة والعملية في المجتمع.

٣. اعتماد كتاب جامع السعادات بكلّ مباحه كتراث إسلاميّ معتمد في التربية الأخلاقيّة؛ لما يقدّمه من عمق تربويّ.

٤. العمل على إدخال التربية الأخلاقيّة بمفاهيمها القرآنيّة في المناهج الدراسيّة، من المراحل التعليميّة الأولى إلى مرحلة الدراسات العليا؛ لتعليم الأجيال وتربيتهم على النهج القرآنيّ في الأخلاق.

٥. تعزيز ما تقوم به المؤسسات التربويّة والتعليميّة، من دور مهمّ في غرس القيم التربويّة والأخلاقيّة المستنبطة من المفاهيم القرآنيّة وترسيخها في نفوس التلاميذ والطلبة.

٦. إقامة برامج معدّة تربوياً، تستند إلى التنمية الإيجابية في تزكية النفس في ضوء مفاهيم القرآن الكريم التربويّة.
٧. إعداد دراسات مقارنة بين ما طرحه المفاهيم القرآنيّة للتربية الأخلاقيّة، والنظريّات الإنسانيّة التربويّة المعاصرة؛ لإبراز قيمة التربية الأخلاقيّة المستمدّة من القرآن الكريم.
٨. توظيف المفاهيم القرآنيّة والخطاب القرآنيّ في معالجة الانحرافات الأخلاقيّة والسلوكيّة بشكل تطبيقي عمليّ.
٩. التركيز على فئة الشباب والمراهقين في إقامة الندوات والدورات؛ لتدريبهم واستثمار الطاقات الكامنة لديهم، في الأعمال الخيريّة، والنشاطات الإنسانيّة، وبثّ الروح الإيمانيّة المؤثرة فيهم؛ الفاعلة في تطوير الذات والمجتمع.
١٠. العناية بتعزيز الوعي والأدراك العقليّ والنفسيّ والتشريعيّ؛ لتهديب السلوك وتأصيل الأخلاق الحميدة في المجتمع؛ عن طريق وسائل التواصل الاجتماعيّ، وصناعة المحتوى الهادف، وغيرها من وسائل الأعلام المختلفة.
- وفي الختام نسأل الله العزيز القدير أن يتقبل هذا العمل بأحسن القبول، وأن يقدّم المنفعة للمهتمين من أبناء المجتمع الإسلاميّ، لما فيه الخير والفلاح، ومن الله التوفيق والسداد.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم.

- ١- أبجد العلوم، أبو الطيب صديق بن حسن خان القنوجي البخاري (ت ١٣٠٧ هـ)،
وضع حواشيه وفهارسه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط ٢.
١٩٧٨ م.
- ٢- آثار الأعمال، سامي خضرة، دار الهادي، بيروت لبنان، ط ٢، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م.
١٢٤ م.
- ٣- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبري (ت ٥٦٠ هـ)،
منشورات الشريف، الرضي، مطبعة شريعت، إيران، ط ١، ١٣٨٠ هـ.
- ٤- أحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) ، دار ابن حزم،
بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
- ٥- الأخلاق الإسلامية في القرآن دراسة في الأسس والمفاهيم، محمد حسين فهمي نبا،
ترجمة محمد نبيل جمعة العاملي، إشراف ومراجعة وتقديم اللجنة، العلمية في
مؤسسة الخلق العظيمة، العتبة الحسينية المقدسة، النجف . العراق، ط ١، ١٤٤٠ هـ .
٢٠١٩ م.
- ٦- أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، محمد مهدي الصدر (ت ١٣٥٨)، مؤسسة دار
الكتاب الإسلامية، قم . إيران، ط ٤، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠١ م .
- ٧- الأخلاق، السيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ)، دققه جواد شبر، مطبعة النعمان .
النجف الأشرف، العراق، (د . ط)، ١٣٨٣ هـ . ١٩٦٣ م.
- ٨- الأخلاق عند الإمام الصادق (عليه السلام)، محمد أمين زين الدين، رابطة الثقافة
والعلاقات الإسلامية، إيران . طهران، (د . ط)، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٧ م .
- ٩- الأخلاق في القرآن الكريم، عبد الأعلى البروجردى الموسوي، إعداد أبراهيم سرور،
دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط ١، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م .

- ١٠- الأخلاق في القرآن الكريم، محمد تقي مصباح اليزدي (ت ١٤٤٢ هـ)، تدوين وتحقيق محمد حسين إسكندري، ترجمة كاظم الصالحي، دار المعارف للطبوعات، بيروت . لبنان، (د. ط)، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م .
- ١١- الأخلاق في القرآن، ناصر مكرم الشيرازي، مؤسسة الأمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قم . إيران، ط ٢، ١٤٢٦ .
- ١٢- الأخلاق من نهج البلاغة، محسن علي المعلم، مؤسسة علوم نهج البلاغة، العراق . كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٤٢ هـ . ٢٠٢٠ م .
- ١٣- الأخلاق والأدب الإسلامي، عبد الله الهاشمي، دار الأمين، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م .
- ١٤- الأخلاق والأدب في الإسلام في تفسير سورة الحجرات، محسن قارئتي، إعداد شؤون الثقافة والتعليم في مكتب الأمام الخامنئي، دار الولاء، ط ١، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م .
- ١٥- الآداب الإسلامية من منظور أهل البيت (عليهم السلام)، إعداد قسم الشؤون الدينية . شعبة التبليغ، العتبة العلوية المقدسة، ط ١، ١٤٤٠ هـ . ٢٠١٨ م .
- ١٦- إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن، محمد السبزواري النجفي (ت ١٤١٤ هـ)، دار التعارف للطبوعات، بيروت . لبنان، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م .
- ١٧- أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، قدم الطبعة محمود فهمي حجازي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠٣ م .
- ١٨- أساس التربية، عطية خليل، دار البداية، عمان . الأردن، ط ١، ٢٠١٢ م .
- ١٩- الآصفي في تفسير القرآن، محمد محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية، إيران . قم، ط ١، ١٤١٨ م .

٢٠- الأصول القرآنية المصروفة لمعالجة القوة الشهوية في كتاب جامع السعادات،
هيو طاهر عباس ملازادة، مجلة الجامعة العراقية، المجلد ٧، العدد الأول، ٢٠٢٤
م.

٢١- أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، منشورات الفجر، بيروت
لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧ م.

٢٢- الأعلام، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، مؤسسة ثقافة،
بيروت - لبنان، ٢٠٠٢.

٢٣- أعيان الشيعة، السيد محسن أمين (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق حسن الأميم، دار
التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د. ط)، (د. س).

٢٤- أمل الآمل، الشيخ محمد بن الحسن (الحر العاملي) (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق
السيد أحمد الحسيني، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م.

٢٥- الأمالي غرر الفوائد ودرر القلائد، الشريف المرتضى علي بن الحسين
الموسوي علم الهدى (ت ٤٣٦ هـ)، تحقيق سعيد عرفان، حب الله النجفي، محمد
حسين الدрани، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأمانة الرضوية المقدسة مجمع
للبحوث الإسلامية، مشهد. إيران، ط ١، ١٤٤٥ هـ.

٢٦- الأمالي الشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن الحسين بن موسى ابن بابويه
القمي (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية. مؤسسة البعثة الأولى،
طهران، بيروت، ١٤١٧ هـ.

٢٧- الأمالي الشيخ الطوسي، أبي جعفر بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، قدم له
محمد صادق بحر العلوم، مكتبة الداودي، قم. إيران، (د. ط)، (د. ت).

٢٨- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكرم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت. لبنان، ط ١، ١٤٣٤ هـ.

٢٩- أنوار البدرين ومطلع النيرين في تراجم علماء القطيف والأحسان والبحرين، علي بلادي(١٣٨٦هـ)، منشورات مطبعة النعمان، إيران، مكتبة المرعشي، (د.ط)، (د.س).

٣٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل تفسير البضاوي، ناصر الدين أبي عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البضاوي(ت٦٨٦هـ)، إعداد وتقديم محمد عبد الرحمن المرعشي دار إحياء التراث العربي، بيروت . لبنان، ط١، (د.ت).

٣١- أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، أبي بكر جابر الجزائري(ت١٤٣٩ هـ)، تحقيق عبد الرحمن النجدي، دار الحديث القاهرة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة . المملكة العربية (د. ط)، ١٤٢٣ هـ.

٣٢- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي(ت٧٥٤ هـ)، مراجعة صدقي محمد جميل، دار الفكر للطباعة والنشر. بيروت . لبنان، ١٤٣٢ هـ. ٢٠١٠ م .

٣٣- بحوث في علم الأخلاق وفلسفتها، عبد الرضا ناصر البهادلي، الإخراج الفني علي حسين الهاشمي، مؤسسة أم أبيها، ميسان . العراق، ط١، ١٤٣٣ هـ. ٢٠١٢ م.

٣٤- البداية في الأخلاق، مرتضى المطهري(ت١٣٩٩هـ)، ترجمة وجيه المسبح، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، إيران، بيروت، ط١، ١٤٢١ م.

٣٥- البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني(ت١١٠٧ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية . مؤسسة البعثة، قم . إيران، ط١، ١٤١٥ هـ.

٣٦- البرهان في تفسير القرآن، هاشم الحسيني (ت١١٠٧ هـ)، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، منشورات الاعلامي للمطبوعات، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٢٧ هـ. ٢٠٠٦ م.

٣٧- البصائر الأربعة في سورة العصر، محمد مهدي الأصفى، مطبعة مجمع أهل البيت (عليهم السلام)، النجف الأشرف، العراق، ط ٥، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٣٨- تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، دار التراث العربي، (د. ط)، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م. تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤرخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٩- التبيان في تفسير غريب القرآن، ميرزا محمد علي بن الحاج ميرزا محمد محمد حسين الشهرستاني الحائري (ت ١٣٤٤ هـ)، تحقيق عادل عبد الجبار ثامر الشاطي، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، ط ١، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

٤٠- التبيان في تفسير القرآن، أبي جعفر محمد بن الحسن الطبرسي (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د. ط).

٤١- تتم أمل الآمال، العلامة الفقيه المحقق الشيخ عبد النبي القزويني (ت ١٢٨٢ هـ) من أعلام القرن الثاني، تحقيق السيد أحمد الحسيني - باهتمام السيد محمد المرعشي، مكتبة آية الله المرعشي - قم، مطبعة الخيام - قم، (د. ط)، ١٤٠٧ هـ.

٤٢- تحف العقول عن آل الرسول (ص)، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامية تابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، ط ٢، ١٤٠٤ هـ - ١٩٦٣ م.

٤٣- تحف العقول عن آل الرسول (ص)، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني (ت ٣٨١ هـ)، علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، (د. ط)، قم - إيران، ١٤٤٠ هـ.

- ٤٤ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي (ت ١٤٢٦ هـ)، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، إيران، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٥ - التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، دار عالم الكتب . الرياض، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٦ - التربية وما ليس تربية، الدكتور عبد العظيم كريمي، ترجمة زهراء يگانه، دار الهادي، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م.
- ٤٧ - التربية الروحية بحوث في جهاد النفس، السيد كمال الحيدري، المراجعة عبد الرضا الافتخاري، مطبعة ستاره . مؤسسة الإمام الجواد (عليه السلام)، للفكر والثقافة، ط ٢٠، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م.
- ٤٨ - التربية وأثرها صنع الأجيال الحرة، الدكتور علي القاسمي، دار النبلاء، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م.
- ٤٩ - تزكية النفس، كاظم الحسيني الحائري، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر، شريعت . قم، ط ١، ١٤٢١ هـ .
- ٥٠ - تسنيم في تفسير القرآن، عبد الله الجوادي الطبري الأملي، مراجعة حسين صافي، دار الأسراء للطباعة والنشر، إيران، ط ٢، ١٤٤٣ هـ . ٢٠٢٢ م.
- ٥١ - التعريفات، السيد الشريف أبي علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الحنفي (ت ٨١٦ هـ)، وضع حواشيه وفهارسه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ٢، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م.
- ٥٢ - التعليم والتربية في الإسلام، مرتضى مطهري، ترجمة أحمد القبانجي، قلم مكنون . شريعة، قم . إيران، ط ١، ١٣٨٥ هـ .
- ٥٣ - تفسير البغوي معالم التنزيل، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق محمد عبد الله نمر، عثمان جمعة ضميرية سلمان مسلم الحرش، دار طيبة . رياض . السعودية، (د. ط)، ١٤٠٩ هـ.

- ٥٤- تفسير البيان في الموافقة بين الحديث والقرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ)، تحقيق أصغر أردني، دار التعارف للمطبوعات، لبنان . بيروت، ط١، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م.
- ٥٥- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ)، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٤٣ هـ . ٢٠٢١ م.
- ٥٦- تفسير الرازي مفاتيح الغيب، محمد الرازي فخرالدين أبن العلامة ضياء الدين عمر (ت ٦٠٤ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان . بيروت، ط١، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م.
- ٥٧- تفسير السمرقندي بحر العلوم، أبي الليث نصر بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥ هـ)، تحقيق وتعليق علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، زكريا عبد المجيد النوتي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١٣ هـ . ١٩٩٣ م.
- ٥٨- تفسير الطبري جامع البيان من تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مراكز البحوث والدراسات العربية والإسلامية . بدر هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م.
- ٥٩- تفسير العياشي (ت ٣٢٠ هـ)، أبي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، تصحيح وتعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة الاعلمي للطباعة، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م.
- ٦٠- تفسير المعين، نور الدين محمد مرتضى الكاشاني (ت ١١١٥ هـ)، تحقيق حسين دركاهي، إشراف محمود المرعشي، مطبعة بهمن . قم، ط١، (د.ت).

٦١- تفسير فرات الكوفي، أبي القاسم فرات بن أبراهيم بن فرات الكوفي (ت ٣٥٢هـ)،
من أعلام الغيبة الصغرى، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، لبنان،
١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م.

٦٢- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء أسماعيل بن عمر بن كثير القرشي
الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طبعة للنشر والتوزيع،
المملكة العربية السعودية . الرياض، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٧ م.

٦٣- تفسير القرآن العظيم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي بن أبي
حاتم (ت ٣٢٧ هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، مركز الدراسات والبحوث بمكتبة
نزار الباز. مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة. الرياض، ط ١، ١٤١٧ .
١٩٩٧ م.

٦٤- تفسير القرآن الكريم، عطية بن سعد جُنادة العوفي الكوفي (١٢٧هـ)، تحقيق
عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين، مطبعة بكاريش، منشورات دليل ما، قم .
إيران، ط ١، ١٤٣١ هـ.

٦٥- تفسير القمي. أبي الحسن علي بن أبراهيم القمي (ت ٣٢٩ هـ)، صححه وعلق
عليه وقدم له السيد طيب الموسوي الجزائري، دار الكتاب مطبعة النجف، قم .
إيران، (د. ط)، ١٣٨٧ م.

٦٦- تفسير القاسمي محاسن التأويل (ت ١٣٣٢ هـ)، محمد جمال الدين، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي، ط ١، ١٣٧٦ هـ . ١٩٥٧ م.

٦٧- التفسير الكاشف. محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، دار الأنوار، بيروت . لبنان،
ط ٤، (د. ت).

٦٨- تفسير المبسوط، علي مشكيني (ت ١٣٥٨ هـ)، تحقيق جواد فاضل البخايش،
مؤسسة دار الحديث العلمية والثقافية، قم . إيران، ط ١، ١٤٣٤ هـ.

- ٦٩- التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٠٤ هـ . ١٩٨٣ م.
- ٧٠- التفسير المبين، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠ هـ)، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، إيران، ط٣، منقحة، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٤ م.
- ٧١- تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي (ت ١٣٧١ هـ)، تحقيق باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م.
- ٧٢- تفسير مقتنيات الدرر، السيد ميرعلي الحائري الطهراني (ت ١٣٣٧ هـ)، تحقيق السيد محمد وحيد الطبرسي الحائري، مراجعة وتدقيق محمد تقي الهاشمي، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، قم . إيران، ط١، ١٤٩١ هـ . ٢٠١٢ م.
- ٧٣- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج، وهبة الزحيلي، القدس . دار الفكر آفاق معرفية متجددة، دمشق، ط١٠، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م.
- ٧٤- تفسير نور الثقلين، تأليف المحدث الجليل العلامة الشيخ عبد علي جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ)، تحقيق السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان، ط١، (د.ت).
- ٧٥- تهذيب الأحكام. أبي جعفر محمد بن جعفر بن الحسين بن علي الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق، دار الكتب الإسلامية طهران، ط١، ١٣٨٦ هـ .
- ٧٦- تهذيب الأخلاق، أبو علي أحمد بن محمد بن مسكويه (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق السيد حسن المؤمن، المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية مركز أحياء التراث الإسلامي، طهران . إيران، ط١، ١٤٣٧ هـ . ٢٠١٦ م.

- ٧٧- تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠ هـ)، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي . محمود فرج العقيدة، مراجعة علي محمد اليحاوي، دار أحياء التراث العربي، بيروت العربي، بيروت، ط ١، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠١ م.
- ٧٨- التوقيف على مهمات التعريف، عبد الرؤوف بن المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق، عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٤١٠ هـ . ١٩٩٠ م.
- ٧٩- التيسير في التفسير للقرآن برواية أهل البيت، ماجد ناصر الزبيدي، دار المحجة البيضاء، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م.
- ٨٠- تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦ هـ)، (د. ط)، (د. ت).
- ٨١- ثبات الأخلاق، مرتضى مطهري (ت ١٣٩٩ هـ)، ترجمة لجنة الهدى، دار المحجة البيضاء، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م.
- ٨٢- الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد الحسين التركي كامل محمد الخراط . محمد أنس مصطفى الخن، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م.
- ٨٣- جامع الأصول، مهدي النراقي (ت ١٢٠٩ هـ)، تحقيق رضا الأستاذي، مطبعة قم سلمان الفارسي، إيران، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
- ٨٤- جامع الأفكار وناقذ الأنظار، محمد مهدي النراقي، صححه وقدم له مجيد هادي زادة، مؤسسة انتشارات حكمت، إيران، (د. ط)، ١٣٨١ هـ.
- ٨٥- جامع البيان في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأيجي الشيرازي الشافعي (٩٠٢ هـ)، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٤ م.

- ٨٦- جامع السعادات، محمد مهدي بن أبي ذر النراقي (ت ١٢٠٩ هـ)، تحقيق السيد محمد كلانتر، دار المرتضى، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٤٣ هـ . ٢٢٠٢ م.
- ٨٧- الحقائق في محاسن الأخلاق قرّة العيون، الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق محسن عقيل، دار الكتاب الإسلامي، ط ١، ١٤٠٩ هـ . ١٩٨٩ م.
- ٨٨- حضور القلب في الصلاة، محمد مهدي الأصفى، مطبعة مجمع أهل البيت (عليهم السلام)، النجف الأشرف، العراق، ط ٢، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١٠ م.
- ٨٩- خمسون درساً في الأخلاق، عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، تحقيق نزار الحسن، هيئة ومكتبة محمد أمين (ص)، العراق - كربلاء المقدسة، قم - إيران، مكتبة الأمين . الكويت، ط ١، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٤ م.
- ٩٠- الخطاب الديني، محمد مهدي الأصفى، مطبعة مجمع أهل البيت (ع)، النجف الأشرف، العراق، ط ٢، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م.
- ٩١- الداء والدواء، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزي (ت ٧٥١٥ هـ)، تحقيق محمد أجمل الأصلاحي، دار عالم الفوائد، جدة - السعودية، (د.ت).
- ٩٢- درر الأخلاق، سلسلة من حلقات برامج إذاعية الكفيل صوت المرأة المسلمة، إعداد نورس فائق، التدقيق اللغوي موفق هاشم رحال، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة . مطبعة دار الكفيل، العراق ط ١، ١٤٣٧ هـ . ٢٠١٦ م.
- ٩٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار المعارف العثمانية - الهند، ط ١، ١٣٥٠ هـ.

- ٩٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية، ط ١، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م.
- ٩٥- درة التنزيل وغرة التأويل، لأبيث عبد الله محمد بن عبد الله الأصفهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ)، تحقيق محمد مصطفى آيدن، شركة منازل العقارية، ط ١، ١٤٣٠ هـ . ٢٠٠٩ م.
- ٩٦- دروس في الأخلاق، المشكيني (ت ١٤٢٨ هـ)، الناشر الهادي، قم . إيران (د. ط)، ١٤١٦ هـ.
- ٩٧- دروس في التربية الأخلاقية، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط ١، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م.
- ٩٨- دروس مجيزة في العقائد والفقه والأخلاق، شعبة البحوث والدراسات . الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، دار الكفيل، العراق، ط ١، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٥ م.
- ٩٩- دليل الطالب لنيل المطالب، مراغي بن يوسف الكرمي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ)، تحقيق سلطان بن عبد الرحمن العيد، مؤسسة الرسالة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٠٠- الدوافع نحو المادية الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة محمد علي التسخيري، المشرف للثقافة والنشر، قم . إيران، (د . ط)، (د . ت).
- ١٠١- دور العقل في تشكيل المعرفة الدينية، مالك مصطفى وهبي العاملي، دار الهادي بيروت . لبنان، ط ٢، ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨ م.
- ١٠٢- الدين النصيحة، سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير حسين النجفي، دار الضياء للطباعة والتصميم . مؤسسة الأنوار النجفي، ط ٢، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م.
- ١٠٣- الذريعة في مكارم الشريعة، أبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، فراه دحروج، أحدثه وعلق عليه محمود بيجو، دار أقرأ، سوريا . دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠١ م.

١٠٤- الذكر معراج الروح ولذة المحبين، عبد الرسول محمد، شبكة الفكر، (د.ب)، ط١، ١٤١٥ هـ. ١٩٩٥ م.

١٠٥- رجال النجاشي، الشيخ الجليل أبو عباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس النجاشي(ت٤٥٠هـ)، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت -لبنان، ط١، ١٤٣١ هـ-٢٠٠٣ م.

١٠٦- رسائل الشريف المرتضى(ت٤٣٦ هـ)،تقديم وأشرف السيد أحمد الحسيني، إعداد، السيد مهدي الرجائي، دار القرآن الكريم، قم . إيران، مطبعة الخيام . قم، (د.ط)، ١٤٠٥ هـ .

١٠٧- الرجوع إلى الله، العلامة الفيض الكاشاني(ت١٠١٩ هـ)، منشورات ذوي القربى، قم . إيران، ط١، ١٤٢٦ هـ.

١٠٨- رسائل العدل والتوحيد، إمام أهل السنة الحسن البصري، إمام أهل الزيدية القاسم الرسي، إمام المعتزلة القاضي عبد الجبار، إمام الأثنى عشرية الشريف المرتضى' دراسة وتحقيق الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط٢، ١٤٠٨ هـ. ١٩٨٨ م.

١٠٩- روحانية العبادة دروس في الأخلاق التعليمية والواقعية، السيد كمال الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الأمام الجواد (عليه السلام)للفكر والثقافة . الكاظمية المقدسة، العراق، (د. ط)، ١٤٣٥ هـ. ٢٠١٤ م.

١١٠- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي(ت٦٧٦هـ)، تعليق وتحقيق ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير، دمشق بيروت، ١٤٢٨ هـ. ٢٠٠٧ م.

١١١- زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الشريف الكاشاني(ت٩٨٨ هـ)، تحقيق مؤسسة المعارف الإسلامية، قم . إيران. ط١، ١٤٢٣ هـ.

١١٢- الزهد، موفق هاشم الرحال، التدقيق مصطفى كامل الخفاجي، دار الكفيل .
كربلاء المقدسة، ط١، ١٤٣٦ هـ . ٢٠١٤ م.

١١٣- سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ)، دار الأسوة
للطباعة والنشر التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية، طهران، ط٢، ١٤١٦ هـ.

١١٤- سنن أبن ماجه، أبي عبد الدجين القزويني بن ماجه (ت ٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد
قوائد عبد الباقي، مطبعة دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٣٦ هـ .
١٩١٨ م.

١١٥- سنن الصالحين وسنن العابدين، أبو الوليد بن خلف الباجي (ت ٤٧٤ هـ)،
تحقيق أبراهيم باجس عبد المجيد، دار أبن حزم، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ .
٢٠٠٣ م.

١١٦- سيرة أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان
الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف والدكتور محي هلال
الرحال، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

١١٧- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبن العمان شهاب الدين أبي الفلاح عبد
الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي الدمشقي (١٠٨٩ هـ)، تحقيق عبد القادر
الأرنؤوط- محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، (دز ط)، (د.
س).

١١٨- الشهيد الصدر بين أزمة التاريخ وذمة المؤرخين، مختار الأسدي دار الهادي ،
بيروت . لبنان، ٢، ١٩٩٨ م.

١١٩- الصافي في تفسير القرآن، محمد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن
الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق السي محسن الحسيني الأميني، دار الكتب
الإسلامية، طهران . إيران، ط١، ١٤١٩ هـ.

- ١٢٠- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبي نصير أسماعيل بن حماد الجواهري (ت ٣٩٨ هـ)، تحقيق محمد محمد ثامر، ط ١، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م.
- ١٢١- صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، بعناية حسن المساحي سويدان، دار القلم . دمشق، ط ١، ١٤٢٥ . ٢٠٠٤ م.
- ١٢٢- ضياء الفرقان في تفسير القرآن، سيد تقي النقوي (ت ١٣٠٨ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ١، ١٤٣٩ هـ.
- ١٢٣- طرائق التربية دراسة في آراء الأمام الخميني للتربية، مهدي الموسوي الكاشاني (ت ١٣١٠ هـ)، ترجمة حسن النمر الصائغ الموسوي، دار الولاء، بيروت . لبنان، (د.ت.).
- ١٢٤- عقد المرجان في تفسير القرآن، نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢ هـ)، تحقيق مؤسسة شمس الضحى الثقافية إحياء الكتب الإسلامية، قم . إيران، ١٤٨٨ هـ .
- ١٢٥- العلم . التفكير . العقائد، الفيض الكاشاني (ت ١٠١٩ هـ)، منشورات ذوي القربى، قم . إيران، ط ١، ١٤٢٦ هـ.
- ١٢٦- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠ هـ)، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .
- ١٢٧- عيون اخبار الرضا، أبيس جعفر الصادق محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، تصحيح السيد مهدي الحسيني الأجرودي، الناشر الميرزا رضا المشهدي، إيران، ط ١، ١٣٧٧ هـ.
- ١٢٨- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، شمس الدين أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاديني، الحنبلي، (ت ١١٨٨ هـ)، مؤسسة قرطبة . مصر، ط ٢، ١٤١٤ هـ . ١٩٩٣ م.

- ١٢٩- غُرر الحِكم ودر الكلم، عبد الواحد الأمدي التميمي (ت ٥١٠ هـ)، صححه ورتبه حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت . لبنان، ط١،
- ١٣٠- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، تحقيق يوسف الغواشي، دار المعارف بيروت . لبنان، ط٤، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م.
- ١٣١- فقه الأخلاق، السيد محمد الصدر (ت ١٤١٩ هـ)، هيئة تراث السيد الشهيد الصدر النجف الأشرف، دار مكتبة البصائر، بيروت . لبنان، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م.
- ١٣٢- فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين، مصطفى العدوي، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة . السعودية، ط١، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م.
- ١٣٣- في الأخلاق والعرفان، لأحد الحفاظ من أعلام الشيعة الإمامية (في القرن الخامس أو السادس)، تحقيق رضا الأستاذي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد . إيران، ط٢، ١٤٢٩ هـ.
- ١٣٤- في رحاب الإيمان، السيد محمد تقي المدرسي، أنتشار اتمدرسي، إيران، ط١، ١٤١٧ هـ .
- ١٣٥- في ظلال القرآن، سيد قطب (١٣٨٦ هـ)، دار الشروق، القاهرة . مصر، ط٢، ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٣ م.
- ١٣٦- فلسفة الأخلاق الإسلامية، العلامة الحجة السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، ط٢، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م.
- ١٣٧- في فلسفة الأخلاق، مرتضى المطهري (ت ١٣٩٩ هـ)، ترجمة وجيه المسبح، مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر، إيران بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ .
- ١٣٨- في فلسفة التربية نظرية وتطبيق، أحمد علي الحاج محمد، دار المناهج، عمان الأردن، ط١، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م.

- ١٣٩- القاموس المحيط، مجد الدين محمد يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي (ت ٨١٧ هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م
- ١٤٠- قبسات من نهج البلاغة، السيد سامي خضرا، دار الهادي، بيروت . لبنان ط ٢، ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م.
- ١٤١- القرآن يواكب الدهر، محمد رضا الحاج عباس الحلمي (ت ١٤١٢ هـ)، دار الصادق، بيروت . لبنان، ١٣٩٣ هـ . ١٩٩٧ م.
- ١٤٢- قلادة النعم سلسلة من حلقات برامج أذاعه الكفيل، إعداد الآء طعمة، التدقيق اللغوي موفق هاشم الرحال، مطبعة دار الكفيل . قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة العراق، ط ١، ١٤٣٥ هـ . ٢٠١٤ م.
- ١٤٣- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق قسم أحياء التراث مركز بحوث دار الحديث، قم . إيران، ط ٣، ١٤٣٤ هـ.
- ١٤٤- الكافي، الكليني (٣٢٩ هـ)، منشورات الفجر، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٧ م.
- ١٤٥- كاشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء، جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ)، تحقيق مكتب الأعلام الإسلامي . فرع خرسان الرضوي . قم ، مؤسسة بوستان كتاب، ط ٢، (د.ت).
- ١٤٦- كتاب الوافي، محمد محسن الفياض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، تحقيق مكتبة الأمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أصفهان، موسى المكتبة العلم المجاهد، الحاج السيد كمال الدين فقه إيماني عطر عترت عليهم السلام، إيران، ط ١، ١٤٣٠ هـ.
- ١٤٧- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي (ت ١١٥٨ هـ)، تقديم وأشرف ومراجعة، رفيق العجم، تحقيق علي دحروج، ترجمة جورج زينات، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦ م.

١٤٨- الكشف عن الحقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، ضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ. ١٩٨٧ م.

١٤٩- كمال الروح سلسله من حلقات برنامج إذاعة الكفيل صوت المرأة، إعداد نور عبد الرضا، التدقيق اللغوي موفق هاشم الرحال، مطبعة دار الكفيل، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة إذاعة الكفيل، العراق، ط ١، ١٤٣٥ هـ. ٢٠١٤ م.

١٥٠- كنز الدقائق وبحر الغرائب، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تحقيق حسين دركاهي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية، طهران إيران، ط ١، ١٤١١ هـ. ١٩٩١ هـ.

١٥١- كنز العرفان، أبو عبد الله المقداد السيوري الحلبي، (ت ٨٢٦ هـ)، دار الأضواء في النجف الأشرف، (د. ط)، (د. ت).

١٥٢- كلمات طريفة في الأخلاق والأخلاق، المولى محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، دار البلاغة، بيروت. لبنان، ط ١، ١٤١٧ هـ. ١٩٩٧ م.

١٥٣- الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو أيوب بن موسى الحسيني الكوفي (ت ١٠٩٤ هـ)، إعداد عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ط ٢، ١٤١٩ هـ. ١٩٩٨ م.

١٥٤- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، محمد بن يوسف بن علي بن سعيد شمس الدين الكرمانلي (ت ٧٨٦ هـ)، ط ٢، ١٤٠١ هـ. ١٩٠٨١ م.

١٥٥- لقاء الله تعالى، الميرزا جواد المالكي التبريزي، تحقيق وترجمة محسن بيد ارفر، شريعت، قم، ط ١، ١٤٣٠ هـ.

- ١٥٦- لسان العرب، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم أبْن منظور الأنصاري(ت ٧١١ هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط٢، ٢٠٠٩ م.
- ١٥٧- لباب اللباب، أبي الحسين قطب الراوندي(ت ٥٧٣ هـ)، حققه وعلق عليه حسين الجعفري الزنجاني، مطبعة شريعت، إيران، ط ١، ١٤٣١ هـ.
- ١٥٨- مباحث في فلسفة، الأخلاق، محمد يوسف موسى، مطابع دار الكتاب العربي . مصر، مؤسسة مصرية للطباعة الحديثة، (د. ط)، ١٣٦٨ هـ . ١٩٤٨ م.
- ١٥٩- مجمع البحرين وملتقى النيرين في الفقه الحنفي، مظفر الدين أحمد بن علي بن ثعلب المعروف بأبن الساعداني الحنفي(ت ٦٩٤ هـ)، دراسة وتحقيق إلياس قبلان، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ . ٢٠٠٥ م.
- ١٦٠- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبي علي الفضل بن الحسين الطبرسي(ت ٥٤٨ هـ)، دار المرتضى، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٧ هـ . ٢٠٠٦ م.
- ١٦١- المحاسن، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي(ت ٢٧٤ هـ)، تحقيق السيد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت، ط ٣، ١٤٣٢ هـ . ٢٠١١ م.
- ١٦٢- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي(ت ٢٧٤ هـ)، تصحيح وتعليق السيد جلال الحسيني، دار الكتب الإسلامية، قم . إيران، ط ٢، (د.ت).
- ١٦٣- محاسن الأخلاق ومساوئها من أصول الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن أسحاق الكليني الرازي(ت ٣٢٩ هـ)، إعداد أسعد السيد كاظم، (د. ط)، (د.ت).
- ١٦٤- المحاسن والمساوي، أبو طالب التحليل التبريزي(ت ١٤٢٩ هـ)، مؤسسة الإسلام التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، ط ١، ١٤٢٦ هـ .

- ١٦٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبي عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت ٥٤١ هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين . بإشراف إدارة الشؤون الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية، دولة قطر، ط ١، ١٤٣٦ هـ . ٢٣٠١٥ م.
- ١٦٦- المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، محسن الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ)، مكتبة الصدوق، (د. ط)، طهران، (د. ت).
- ١٦٧- المحكم والمحيط الأعظم، أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي المعروف بأبن سيدة، (ت ٤٥٨ هـ)، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ . ٢٠٠٠ م.
- ١٦٨- محمد باقر الصدر بين الدكتاتوريين، عادل رؤوف، المركز العراقي للأعلام والدراسات، سوريا . دمشق، ط ١، ١٤٢٢ هـ . ٢٠٠٠-١ م.
- ١٦٩- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت ٦٠٤ هـ)، تحقيق دائرة المعاجم مكتبة لبنان، رياض الصلاح بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م.
- ١٧٠- مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الغرناطي (٤٥٦ هـ)، حققه وعلق عليه الدكتور محمد مطر سالم الكعبي، دار القلم، دمشق، ط ٥، ١٤٤٣ هـ . ٢٠٢٢ م.
- ١٧١- المرأة في فكر المرجع الديني الكبير، السيد محمد الصدر (ت ١٤١٩ هـ)، قدم السيد مقتدى الصدر، إعداد وأشرف مكتب السيد الشهيد الصدر، منشورات . المحبين، قم . إيران، ط ١، ١٤٢٩ هـ.
- ١٧٢- مصباح المتهجد، أبي جعفر محمد بن الحسن الطبرسي (ت ٤٦٠ هـ)، صححه وأشرف على طباعته حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م.
- ١٧٣- مصباح الشريعة للأمام جعفر الصادق (عليه السلام)، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، ط ٢، ١٤٠٣ هـ . ١٩٨٣ م.

١٧٤- معالم العبر في أستدراك البحار السبع عشر، الحسين بن محمد تقي النوري الطبري (١٣٢٠ هـ)، تحقيق جعفر الفتلاوي رسول كاظم عبد السادة، دار الكفيل، بغداد . العراق، ط ١، ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٧ م.

١٧٥- معاني الأخبار، أبي جعفر محمد بن محمد علي بن الحسين بن بابوية القمي (ت ٣٨١ هـ)، منشورات مطبعة الحيدري . النجف الأشرف، (د. ط)، ١٣٩١ هـ . ١٩٧١ م.

١٧٦- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٧٧- معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، مطابع المدوخل . الدمام . السعودية، ط ١، ١٤١٥ هـ . ١٩٩٥ م.

١٧٨- معجم المصطلحات الأخلاقية، أشرف وأعداد، ليلى سووراني، فادية مروة، ندى حيدر، موزان فلحة، جمانة سويد السيد عباس نور الدين، مركز باء للدراسات، بيت الكتاب للنشر و التوزيع، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦ م.

١٧٩- معجم فقه التمهيد، علي بن عبد القادر، دار أبن حزم، رفعه عبد الرحمن النجدي، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م.

١٨٠- المعجم الفلسفي، جميل صليبا (ت ١٣٩٦ هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت . لبنان، (د. ط)، ١٩٨٢ م.

١٨١- معجم المحاسن والمساوئ، أبو طالب التجليل التبريزي (ت ١٤٢٩ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم . إيران، ط ٢، ١٤٣٢ م.

١٨٢- المعجم المفصل في اللغة والأدب، أميل بديع يعقوب . رميثال عاصي، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط ١، ١٩٨٧ م.

- ١٨٣- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق وضبط عبد السلام محمد بن هارون (ت ٣٥٩ هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، (د. ط)، ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩ م.
- ١٨٤- مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف أبو عبد الله الكاتب البلخي الخوارزمي (ت ٣٨٧ هـ)، تحقيق أبراهيم الأنباري، دار الكتاب العربي، ط ٢، (د. ت).
- ١٨٥- مفاهيم القرآن محاضرات جعفر السبحاني، جعفر هادي، مؤسسة الأمام الصادق (عليه السلام)، قم . إيران، ط ٥، ١٤٣٠ هـ.
- ١٨٦- مفتاح دار السعادات، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزي (ت ٧٥١ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، دار عالم الفوائد، السعودية، (د. ط)، (د. ت).
- ١٨٧- مفحمت الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضير (ت ٩١١ هـ)، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف، سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط ١، ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م.
- ١٨٨- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق . الدار الشامية. بيروت، ط ١، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
- ١٨٩- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، تحقيق صفوان عدنان الدوري، دار القلم ، الدار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ١٩٠- مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسنة، سعدي حمود الشمري، دار الشائر الإسلامية، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٤٢ هـ . ٢٠٢٠ م.
- ١٩١- مكارم الأخلاق وورثاتها، السيد علي الخامنئي (ت ١٤٤٧ هـ)، إعداد السيد علي عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٢٨ هـ . ٢٠٠٨ م.

- ١٩٢- من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، أشرف على تصحيحه والتعليق عليه حسين الاعلمي، مؤسسة لا علمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٠٦ هـ . ١٩٨٩ م.
- ١٩٣- من وحي الأخلاق، حسين عبد الرضا الأسدي، تقديم معهد تراث الأنبياء (عليهم السلام)، للدراسات الحوزوية الإلكترونية، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ط ١، ١٤٤٠ هـ.
- ١٩٤- المواعظ الأخلاقية في شرح الأحاديث القدسية، السيد حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، بيروت . لبنان، ط ١، ١٤٣١ هـ . ٢٠١٠ م.
- ١٩٥- الموسوعة الأخلاقية الإسلامية، إعداد مجموعة من الباحثين، إشراف علوي بن عبد القادر السقاف، موقعه الدرر السنية على الأنترنت، ١٤٣٣ هـ.
- ١٩٦- الموسوعة الشيخ الصدوق . المقنع، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي الحسين بن بابوية قمي (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق مؤسسة شمس الضحى الثقافي، قم . إيران، ط ١، ١٤٤٤ هـ.
- ١٩٧- الموسوعة التاريخية، أعداد مجموعة من الباحثين، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية، ١٤٣٣ هـ.
- ١٩٨- الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . الكويت، ط ١، ١٤٢٥ هـ . ٢٠٠٥ م.
- ١٩٩- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ)، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم . إيران، (د. ط)، ٢٠١٥ م.
- ٢٠٠- النبأ العظيم في تفسير القرآن الكريم، محمد عبد النبي الخرساني الحائري (ت ١٢٣٢ هـ)، تحقيق عادل عبد الجبار ثامر الشاطي، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، كربلاء . العراق، ط ١، ١٤٣٨ هـ . ٢٠١٧ .

٢٠١- نخب المناقب لآل أبي طالب، أبي عبد الله الحسين بن جبر، تحقيق السيد مهدي الرجائي، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى . الخزانه العالمية للمخطوطات الإسلامية، قم . إيران، ط١ ، ١٤٣٣ هـ.

٢٠٢- نحو حياة أفضل، تأليف جماعة من العلماء، دار الهادي، بيروت . لبنان، ط١، ١٤١١ هـ . ١٩٩١ م.

٢٠٣- نفحات الرحمن في تفسير القرآن، محمد بن عبد الرحمن النهاوندي(ت١٣٧١ هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية . مؤسسة البعثة، قم . إيران، ط١، ١٤٢٨ هـ.

٢٠٤- نفحات عرفانية السيد الأعلى السبروازي، إبراهيم سرور، آية حيات . قم، ط١، ١٣٨٥ هـ.

٢٠٥- نور الحقيقة ونور الحديقة في علم الأخلاق، عز الدين الحسين بن عبد الصمد الحارث الهمداني العاملي(ت٩٨٤ هـ)، ولد الشيخ البهائي، تحقيق جواد الحسيني الجاللي، منشورات مؤسسة النور المطبوعات، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م.

٢٠٦- همسات للأخرة، السيد سامي خضرة، دار الرسول الأكرم، بيروت . لبنان، ط١، ١٩٩٨ م.

٢٠٧- الواضح في التفسير، عباس علي الموسوي، مركز الغدير، بيروت . لبنان، ط١، ١٤٣٣ هـ . ٢٠١٢ م.

٢٠٨- الوافي، محمد محسن الفيض الكاشاني(ت١٠١٩ هـ)، تحقيق مكتبة الأمام أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، العامة، أصفهان، إشراف مؤسسة المكتبة العلم المجاهد حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد كمال الدين فقيه أيمن، عطر عترت (عليهم السلام)، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٢٠٩- الوجيز في تفسير القرآن العزيز، علي بن الحسين بن أبي جامع
العالمي(ت ١١٣٥ هـ)، تحقيق ومراجعة مالك المحمودي، دار القرآن الكريم، قم .
إيران، ط١، ١٤١٧ هـ.

٢١٠- الوسواس والهواجس النفسية، علي القائمي، دار النبلاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٢ هـ
٢٠٠١ م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

٢١١- الآثار الوضعية للأخلاق في القرآن الكريم والسنة الشريفة(دراسة موضوعية)،
حيدر علي كريم الذبحاوي، كلية العلوم الانسانية . جامعة بابل، ١٤٤٧ هـ
٢٠٢٥ م.

٢١٢- آراء الشريف المرتضى العقدية، محمد بن سعيد بن حامد، بن أحمد آل مدشة
الغامدي، كلية الدعوة وأصول الدين . أم القرى، ١٤٣٤ هـ.

٢١٣- التربية الأخلاقية في الآيات المكية والمدنية(نماذج مقارنة)، عدنان عبد
الرحمن الميمني، كلية التربية . جامعة أم القرى، ١٤١١ هـ.

٢١٤- المفاهيم القرآنية في أحاديث الأمام الحسين(عليه السلام)، في ضوء التربية
الإسلامية، أحمد عباس عبد موسى، كلية التربية' جامعة واسط، ٢٠٢٢ م.

ثالثاً: البحوث

٢١٥- أثر استخدام استراتيجية تومس و روبنسن في تحصيل وتنمية مهارات التفكير
التأملي في مادة علوم القرآن لدى طلبة كلية التربية للعلوم الإنسانية، الدكتور وليد
عبد الرحمن أسماعيل العبيدي، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٥٧، العدد
الأول، ٢٠٢٤ م.

- ٢١٦- الانفصال الأخلاقي وعلاقته بالاتجاهات التعصبية لدى طلبة المرحلة الإعدادية، الدكتور ضرغام رضا عبد السيد، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٦٠، العدد الثالث، ٢٠٢٥ م.
- ٢١٧- التكافل الإنساني في المجتمع الإسلامي من خلال سورة البقرة، الدكتور حيدر تقي فضيل، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٦٠، العدد الثاني، ٢٠٢٥ م.
- ٢١٨- السلوك الاجتماعي الإيجابي وعلاقته بأساليب الحياة الشخصية لدى طلبة الجامعة، الدكتور حسن فلاح حسن علي، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٦١، العدد الثاني، ٢٠٢٥ م.
- ٢١٩- الصدقة وآثارها الاجتماعية، الدكتورة زينب سمير علي، المجلد ٦١، العدد الأول، ٢٠٢٥ م.
- ٢٢٠- دور التعليم في التنمية المستدامة (بين النظرية والتطبيق)، الدكتورة أحلام حميد نعمة الجنابي، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٦٠، العدد الأول، ٢٠٢٥ م.
- ٢٢١- صيغ الجموع في الجمع في آيات العبادات (دراسة صرفية دلالية)، زمن حسين ثامر الشمري، كلية التربية . واسط، المجلد ٦١، العدد الثاني، ٢٠٢٥ م.
- ٢٢٢- العلاقة بين الجودة والأخلاقيات والمعايير الأداء وأثرها في جودة الأداء دراسة تطبيقية في جامعة ذي قار، الدكتور أمين محمد حسن علوان، المجلد ٦٠، العدد الثاني، ٢٠٢٥ م.
- ٢٢٣- مقارنة المزج المفهومي في القرآن . دراسة دلالية معرفية، الدكتور نيا عثمان شريف، مجلة كلية التربية . واسط، المجلد ٦٠، العدد الثاني، ٢٠٢٥ م.
- ٢٢٤- من صفات الباحث إلى شروط المفسر مقارنة منهجية في أصول البحث العلمي ومحصلات عصمة النظر في الخطاب القرآني، الدكتور عماد جبار كاظم داود العميري، مجلة كلية التربية، واسط، المجلد ٥٦، العدد الثاني، ٢٠٢٤ م.

Abstract

In concluding my research, with God's help and guidance, and after a considerable period of study, I have carefully examined the Holy Quran and its commentaries, reflecting deeply upon them, as well as books of Hadith, dictionaries, and works on ethics, among others.

This study has demonstrated the scholarly efforts of Sheikh Naraqī in the field of ethics, focusing on the virtues of morality derived from Quranic concepts and their crucial role in shaping the human soul. These virtues are not isolated from contemporary life; rather, they are inextricably linked to all aspects of a Muslim's daily conduct. This study sheds light on the Quranic concepts of moral education presented in the book *Jami' al-Sa'adat*, and affirms that the approach of the Holy Quran is distinguished by its comprehensiveness and completeness, encompassing all aspects of human life, from organizing one's life and refining the soul through moral education and the rectification of human behavior. This is achieved through Quranic insights related to intellectual and cognitive aspects, the foundation of psychological makeup and its inclinations, which aim for righteousness and virtue, leading to moderation and balance, ultimately resulting in true happiness in this life and the hereafter.

Based on all that has been presented in this thesis (Quranic Concepts of Quranic Education in Sheikh Naraqī's *Jami' al-Sa'adat*), I can arrive at some conclusions in my research journey, and success comes from God. The most prominent of these is:

1- It has become clear that the Quranic concepts presented by Sheikh Naraqī in his book *Jami' al-Sa'adat* are based on sound intellectual, philosophical, and educational foundations that contribute to the growth and development of a balanced human personality.

2- The Quranic verses cited by Naraqi demonstrate that moral education is not limited to theoretical aspects alone, but rather relies on practical application in a person's daily life.

3- The study reveals the depth and precision of the approaches presented in his book, "Jami' al-Sa'adat," and in linking Quranic concepts to psychological, intellectual, and behavioral aspects, and subsequently analyzing them.

4- There is a cohesive and close connection between the topics of intellectual concepts and their relationship to moral education, and in shaping the educational framework, which produces and reflects the comprehensiveness of the methodology.

5- The Quranic concepts presented by Sheikh Naraqi achieve flexibility and are distinguished by their ability to meet the demands of contemporary human life and keep pace with its development.

6- The fundamental axis in implementing moral values lies in refining the soul, and the reverse is also true, as explained by Sheikh Naraqi and found in the Quranic texts. 7- The study emphasized the importance of awareness-raising and Quranic exhortations in establishing moral values that are ingrained in a person's emotions and behaviors within society, transforming them into an active and positive member of the community.

8- One of the most prominent characteristics of moral education lies in the integration of cognitive and applied aspects of Quranic concepts, whether intellectual, psychological, or legal.

9- Weak intellectual, psychological, and legal understanding is a direct cause of deviance and a failure to purify the soul.

10- Sheikh Naraqi relied on an analytical, intellectual, and philosophical approach, supported by legal evidence from the Holy Quran and the Prophetic traditions.

Recommendations can be made based on the study's findings, the most important of which are:

1- The importance of utilizing Quranic concepts in establishing and developing modern educational curricula.

2- Directing researchers' attention to the necessity of studying Quranic ethical concepts from a specialized, practical, and applied perspective within society. 3. Returning to and grounding the heritage of Muslim scholars, particularly the book "Jami' al-Sa'adat" (The Collection of Felicity), as a rich legacy, with all its dimensions and profound educational depth.

4. The necessity of integrating moral education, with all its Quranic concepts, into political curricula in a systematic and well-considered manner, starting from the early educational stages and progressing according to the child's cognitive and intellectual development, then through adolescence, and finally into youth and maturity, to ensure a comprehensive understanding of all educational and ethical content. This is essential for building generations according to the Quranic approach.

5. Strengthening and enhancing the important role of educational institutions in establishing and instilling educational and ethical values derived from Quranic concepts.

6. Advocating for the establishment of educationally designed programs based on positive development in purifying the soul in light of the Holy Quran.

7. Conducting comparative studies between the Quranic concepts of moral education and contemporary humanistic educational theories.

8. Employing Quranic methodologies and discourse to address moral and behavioral deviations through practical application.

9. Focusing on youth and adolescents by establishing seminars and supporting charitable organizations to train them and harness their potential for charitable work and humanitarian activities, instilling in them a powerful and effective faith that contributes to personal and societal development.

10. Emphasizing the promotion of intellectual, psychological, and legal awareness to cultivate virtuous human behavior and ethics through social media, the creation of purposeful content, and other diverse media platforms.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Wasit / College of
Education for Humanities
Department of Quranic Sciences and
Islamic Education
Postgraduate Studies



Qur'anic Concepts of Moral Education in the Book Jami' al-Sa'adat by Sheikh Naraqī

A thesis submitted by

Amal Hassan Abdulnabi,

**To The Council of the College of Education\ Wasit University in
partial fulfillment of the Requirements for the Degree of Master
of Arts in Qur'anic Sciences and Islamic Education\Qur'anic
studies**

Supervised by

Professor Dr.Majeed Tarish Al.Rubai'e

1448 A.C

2026 A.H